المسيح عيسى بن مريم في القرآن الكريم

مع الرد على افتراءات البابا بالنسبة للإسلام

وعلى رسول الله ﷺ

الدكتور

محمد رامز عبد الفتاح العزيزي

دار تسنيم للنشر والتوزيع

www.dartasneem.jeerav.com

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2007/1/180)

280
العزيزي، رامز عبد الفتاح
المسيح بن مريم في القران الكريم مع الرد على افتراءات البابا بالنسبة للإسلام وعلى رسول الله صلى الله علية وسلم / رامز عبد الفتاح العزيزي .- عمان: المؤلف 2007.
(287) ص
ر.أ.: (180 / 1/ 2007) .
الواصفات : / القران // الرد على الشبهات //الإسلام /

*تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

من سلسلة في رحاب كتاب الله

للدكتور "محمد رامز" عبدالفتاح العزيزي

رقم 2

المسيح عيسى بن مريم

في القرآن الكريم

مع الرد على افتراءات البابا بالنسبة للإسلام وعلى رسول الله ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم

1-قال الله تعالى:

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ سورة آل عمران:64.

2-وقال سبحانه:

﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ سورة المؤمنون: 91.

3-وقال سبحانه:

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً﴾ سورة المائدة: 48.

4-وقال سبحانه:

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ سورة النحل: 44.

روى الإمام أحمد والترمذي عن عـدي بـن حـاتم الطائي رضي الله عنه أنه لما قدم على رسـول الله ﷺ - وكان نصرانياً- دخل عليه وهو يقرأ:

﴿اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابـاً مِّـن دُونِ اللّـهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهاً وَاحِـداً لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ سورة التوبة: 31.

قال: قلت: إنهم لم يعبدوهم. فقال: بلى، إنهم حرموا عليهم الحلال، وأحلوا لهـم الحـرام، فـاتبعوهم، فتلـك عبادتهم إياهم. ثم دعاه إلى الإسلام فأسلم وشهد بشهادة الحق.

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــداء

أهدي كتابي هذا إلى السائرين في الظلمة، إلى الباحثين عن الحقيقة في أمر المسيح عليه السلام، والبـــاحثين عـــن الدين الحق الذي لا اعوجاج فيه، الذي يدعو الناس جميعهم لعبادة الله خالق هذا الكون، وعدم الإشراك في عبادته أحـــداً لينالوا سعادة الدنيا والآخرة وينجوا من عقابه يوم القيامـــة يوم لا ينفع مال ولا بنون ولا سلطان إلا من أتـــى الله بقلـــب سليم.

والله ولي التوفيق

الدكتور

"محمد رامز" عبدالفتاح العزيزي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون.

وبعد:

لقد صدر عن الدار العربية للعلوم ترجمة كتاب صدر باللغة الإنجليزية بعنوان The Davinci Code (شيفرة دافنشي) تأليف Dan Brown (دان براون) ترجمة بسمة محمد عبد ربه والترجمة صادرة عن: مركز التعريب والترجمة -بيروت.

وقد جاء في أول الكتاب تحت عنوان:

حقـــائق

جمعية سيون الدينية –هي جمعية سرية أوروبية تأسست عام 1099م وهي منظمة حقيقية.

في عام 1975م اكتشفت مكتبة باريس الوطنية مخطوطات عرفت باسم الوثائق السريَّة، ذكرت فيها أسماء أعضاء عدة انتموا إلـــى جمعيـــة ســـيون الدينية، ومن ضمنهم: السير إسحاق نيوتن، وساندروبتشلّي، وفيكتور هوجو، وليوناردو دافنشي.

المجموعة الأسقفية الفاتيكانية التي تعرف باسم "أوبـــوس داي" هـــي مذهب متشدد كاثوليكي، وهو حديثاً مثار جدل؛ بسبب تقارير أفادت عن غسيل للأدمغة، والإكراه والقسر، والقيام بممارسات خطيرة تعرف: "بالتعذيب الجسدي الذاتي".

وقد أتمت "أوبوس داي" لتوّها بناء مقر عالمي لها فـــي 243 جـــادة ليكسينغتوت في مدينة نيويورك بتكلفة بلغت 47 مليون دولار أمريكي.

إن وصف كافة الأعمال الفنية والمعمارية، والوثائق والطقوس السرية في هذه الرواية هو وصف دقيق وحقيقي.

وقد جاء في الكتاب: (لا يمكن لأحد أن ينكر الخير العميم الذي نـــشرته الكنيسة الحديثة في العالم المليء بالاضطرابات هذه الأيام، لكن بالرغم من ذلك فقد كان للكنيسة تاريخ مطبوع بالعنف والخداع.

فحملتها الشعواء التي شنتها بهدف "إعادة الأديان الوثنية التي تقوم على تقديس الأنثى إلى جادة الحق وطريق الصواب" استمرت على مدى ثلاثة قرون استخدمت فيها طرقاً ووسائل تثير الرعب في النفوس.

وقد قامت محكمة التفتيش الكاثوليكية، بنشر الكتـــاب الـــذي يمكـــن أن يصنف؛ على أنه أعنف منشور دموي عرفه تاريخ البشرية على الإطلاق، وهو

"مالوس مالفيكاروم" –أو مطرقة الساحرات– هذا الكتاب الذي لقن العالم فكـرة "خطر النساء الملحدات ذوات الأفكار المتحررة" وعلمت الأكليروس كيفية العثور عليهن وتعذيبهن وقتلهن.

ومن بين اللواتي كانت تحكم عليهن الكنيسة بأنهن "ساحرات" كانت كـل العالمات، والكاهنات، والغجريات، والمتصوفات، ومحبات الطبيعة، وجامعـات الأعشاب الطبية، وأي امرأة "يشك بأنها تنسجم مع العالم الطبيعي".

وكان يتم قتل القابلات بسبب ممارستهن المهرطقة حيـث يـستخدمن الخبرة والمعرفة الطبية لتخفيف آلام الوضع –وهي حسب ادعاء الكنيـسة آلام فرضتها العدالة الإلهية على النساء عقاباً لهن على ذنب حواء التي أكلـت مـن تفاحة المعرفة، هذا الادعاء كان أساساً لنشوء فكرة الخطيئة الأولى.

وعلى مدى ثلاث مائة عام من مطاردة الـساحرات، حرقـت الكنيـسة خمسة ملايين امرأة!!!

في النهاية أثمر تشويه الحقيقة وإراقة الدماء.

والعالم اليوم هو دليل حي على ذلك[1].

وقد نشرت مجلة نيوزويك مقالاً عن هذا الكتاب، بقلم جوناثان دارمـان وقد نشر هذا المقال في هذه المجلة التي تصدر باللغة العربية عن دار الوطن في الكويت، وهو يشوه حقيقة المسيح عليه السلام.

وقد جاء في هذا المقال: أن هذا الكتاب قرأه نحو (60) مليون شـخص، وبدأ عرضه بالنسخة السينمائية في ثلاثة آلاف وسـبعمائة وخمـس وثلاثـين (3735) دار سينما في كل أنحاء أمريكا، يظهر لمـريم المجدليـة دور جديـد كزوجة يسوع، وأم ابنته التي ربتها مريم بعد موت يسوع، وهربها من الأرض

[1] –شيفرة دافنشي لدان براون، ص142.

المقدسة وفقاً للفلم. وأن الطفلة هربت وتزوجت رجلاً من سلالة ملكية في فرنسا، وما زالت ذرية المسيح ومريم المجدلية موجودة حتى يومنا هذا.

ومريم المجدلية هذه تتميز باسم بلدتها الأم مدينة مجدل الساحلية، وقد انضمت إلى كنيسة يسوع فيما كان يبشر في الجليل، وأنه أخرج منها سبعة شياطين، وهي من أتباع المسيح المفضلين، أو بالأحرى التلميذة المفضلة لديه في "إنجيل توما" هي وامرأة أخرى تدعى سالومي، واحدة من ستة "وليس 12" من تلاميذ يسوع الحقيقيين -كما يقول الكاتب- وفي حوار المخلص الغنوسي يشار إليها على أنها (المرأة التي فهمت كل الأمور) وأن الإنجيل الأكثر جاذبية هو إنجيل مريم المجدلية، ليس فقط لتصويره المجدلية على أنها امرأة قوية وعنيدة، بل أيضاً لأفكاره الجذرية حول الجنسين، في حين أن مريم تسمى بالتليمذة المحبوبة من المخلص... أكثر من كل النساء الأخريات، فإنها ويسوع يعتبران أن جنس المرء غير مهم، وأنه أمر سيختفي عند الانتقال إلى الحياة الآخرة.

ويقول الكاتب: توافر الأناجيل غير المعترف بصحتها في الكنيسة إجابة مقلقة.

في النصوص الغنوسية، تتعرض المجدلية لهجمات مستمرة معظمها من قبل بطرس الذي يتوسل إلى يسوع في "إنجيل توما" قائلاً: قل لمريم أن تتركنا، لأن النساء لسن جديرات بالحياة!!! وقد فهمت المجدلية تهديده وقالت ليسوع في الكتاب الغنوسي "إيمان الحكمة": أنا خائفة من بطرس إنه يهددني ويكره جنسنا".

في صوتها الخائف يمكن تبين بداية شقاق سيحدد مستقبل المجدلية في الكنيسة.

ويقول: تقول باغلز في أحد الأناجيل: يلعب بطرس دوراً بالغ الأهمية ويبقى دور مريم هامشياً.

وفي إنجيل آخر تكون مريم الشخصية المهمة، وبطرس موضع شـك، لكن رواية بطرس هي التي وصلتنا، مما يعني أن قصته تغلبت على قصتها.

ويقول: هذا التوتر ليس مجرد شذوذ من قبل الغنوسيين، فطيلة قـرون أربك المقطع بالقيامة في إنجيل يوحنا العلماء؛ في رواية يوحنا تدرك المجدليـة أن الشخص الذي يكلمها هو يسوع وتحاول الاقتراب منه، لكنه يبتعد عنها قائلاً: "لا تلمسيني".

لكن في وقت لاحق من اليوم نفسه يَظهـر يـسوع لتلاميـذه الرجـال ويعرفونه على الفور، فيريهم يديه وجنبيه وينفخ فيهم. وبعد ثمانية أيـام يظهـر للتلميذ توما المشكك، ويطلب منه أن يلمسه لكي يؤمن به قائلاً: "هات أصـبعك علي ههنا وانظر يديّ".

وصف المجدلية للمسيح القائم من الأموات -لا يمكن التعرف إليـه ولا يمكن لمسه- لا يناقض وصف القيامة في النصوص الغنوسية، لكن في العهـد الجديد، يصف الرجال يسوع ككائن متجسد أمامهم، في جسم حي، يسير ويتنفس في إنجيل لوقا، فيما يدعو المسيح التلامذة للمسه يشير إلى أن قيامتـه الجـسدية تجعله مختلفاً عن الأشباح والأرواح، ويقول لهم في حال فاتهم ذلك: المـسوني وانظروا فإن الروح لا لحم لها ولا عظم كما ترون.

وقد ساد هذا الخلاف -حول قيامة الجسد أو الروح- ففي القرون الثلاثة الأولى من المسيحية. كان الرجال التقليديون يخشون أن يهدد إيمان الغنوسـيين بأن القيامة كانت روحية، تعاليمهم بأن المسيح تعذب جسدياً للتكفير عن خطايـا البشر. وقد اعتبروا الغنوسيين غير مؤمنين ومحبين للمتعة، ونـشروا قصـصاً غريبة لجعلهم يبدون كفاراً (الكاتب الكنسي ايبفانيوس في القرن الرابع زعـم أن الغنوسيين يعتقدون أن يسوع أجبر المجدلية على مشاهدته يأكل منيه)!!!-المني: ماء ذكر الرجل الذي يخرج عند شهوته-.

ويقول الكاتب: عندما اهتدى الإمبراطور الروماني قسطنطين إلى المسيحية عام (312م) فاز التقليديون بالسلطة السياسية والعسكرية، وخشية أن يقوم الأساقفة الذين يفرضون المعتقدات التقليدية بإتلاف النصوص، حاول الرهبان محو كل الأدلة عن المعتقدات الغنوسية. فأخفوا الأناجيل التي تصف الدور البارز لمريم المجدلية.

...ومع تطور تعاليم الكنيسة اتخذت النساء دوراً أكثر شؤماً واتُهمن بأنهن سبب الخطايا الدنيوية.

في أعقاب موت يسوع فسر أتباعه القيامة على أنها دليل على اقتراب نهاية العالم، لكن مع مرور السنوات وعدم حلول ملكوت السموات، احتاج ناشرو التعاليم الكنسية إلى نظرية جديدة تفسر القيامة.

بحلول القرن الثاني اعتبروا صلب المسيح نهاية حلقة توراتية بدأت في جنة عدن. وقال رجال الدين إن يسوع مات ليخلص العالم من خطايا آدم. لكن النساء كن يشكلن مشكلة بسبب دورهن في التناسل الجنسي، مما يذكِّر بأن الصلاح لا يتم إلا عند عودة المسيح، وقد حرم الأساقفة النساء من الكهنوت واتهموهن بنشر الخطيئة. وكتب ترتوليان في القرن الثالث متوجهاً بكلامه إلى النساء : "بسببكن... حتى المسيح اضطر للموت".

وسرعان ما هوجمت مريم المجدلية أيضاً. وذلك في يوم أحد خريفي عام "591م" خلال عظة ألقيت في وسط الكنيسة الكاثوليكية، على منبر كنيسة سان كليمنتي في روما، قدم البابا غريغوريوس الكبير خلاصة مدهشة بشأن المجدلية: بأنها كانت ساقطة. وشرح غريغوريوس أنه قبل لجوء المجدلية إلى المسيح كانت خطاياها كثيرة: "كانت تشتهي بعينين دنيويتين" "وتسدل شعرها لإبراز وجهها"، والأمر الأكثر خزياً أنها "استعملت المراهم لتعطير جسمها بشكل محظور" وأمام جمهوره المؤلف من رهبان متجهمين. منح غريغوريوس

المجدلية هوية جديدة ستحدد صورتها خلال الـــ(1400) سنة التالية وأعلن: "من الواضح يا إخوتي أنها كانت ساقطة".

لكن ذلك لم يكن واضحاً البتة، كانت تأكيداتُ غريغوريـــوس المدهـــشة القائمة على الفكرة القائلة بأن المجدلية هي (المرأة الخاطئـــة) المجهولـــة التـــي دهنت رجلي يسوع بالطيب في الفصل السابع من إنجيل لوقـــا؛ وهـــو مفهـــوم يرفضه الكثير من العلماء المعاصرين. حتى لو كانت المرأة الآثمة، فما من دليل في أي من الأناجيل على أن خطاياها جسدية.

في القرن الأول كانت المرأة تعتبر آثمة إذا تكلمت مـــع رجـــال غيـــر زوجها أو ذهبت إلى السوق بمفردها. وقد اختلق غريغوريوس قصة الـــساقطة من دون الاستناد إلى أي أساس.

ويقول الكاتب تحت عنوان: واقع أم خيال؟ ما يلي:

وسط كل المزاعم من المؤامرات والحقائق المخفية في (شيفرة دافنشي) من الصعب تمييز الحقيقة عن الخيال. في هذا الملحق، نساعدكم على ذلك :

1-ما هي منظمة صهيون؟

شفرة دافنشي: عام 1099م أسسها ملك فرنسي لحماية الحقيقـــة حـــول نسبه، ولنقل هذه المعرفة سراً إلى ورثته.

ما نعرفه: إنها مجموعة صغيرة أنشأها عام 1956م بيار بلانتار- الذي أدين مرة بتهمة الاحتيال- و اختلق تاريخها.

أقول: والصحيح هو ما ورد في برتكولات حكماء صهيون أنها نشأت قبل 1956 يدل على ذلك أن أول مؤتمر صهيوني عقد عام 1897م في مدينة بال بسويسرا[1] فيكون تأسيسها قبل ذلك.

2-ما هو أوبوس داي؟

شفرة دافنشي: أوبوس داي هي فرع هامشي للكنيسة بقيادة اسقف فاسد نفذ إرادته راهب يحب جلد نفسه.

ما نعرفه: أنها مجموعة محافظة تضم بالإجمال كاثوليكيين علمانيين، تقوم أقلية منهم بإنزال العذاب الجسدي بنفسها يومياً، معظمهم يعيشون حياة تتسم بالتقوى؛ ويحيون حياة عادية.

3-من يجلس إلى يمين يسوع في العشاء الأخير؟

شفرة دافنشي: الشخص ناعم الملامح إلى جانب يسوع ليس سوى مريم المجدلية، وهو أمر غاب عن عيون النقاد طيلة قرون.

ما نعرفه: يوافق العلماء بالإجماع على أنه القديس يوحنا، ويبدو أن المفهوم القائل إنها مريم المجدلية نشأ مع كتاب "شفرة دافنشي".

4-هل هربت مريم المجدلية إلى بلاد الغال بعد صلب المسيح؟ -كما يزعمون-.

شفرة دافنشي: حرصاً على سلامتها وسلامة جنينها غادرت مريم المجدلية الأرض المقدسة متجهة إلى بلاد الغال التي تعرف الآن باسم فرنسا.

ما نعرفه: ما من سجلات مكتوبة تثبت ذلك، لكن الأساطير المتداولة بهذا الشأن كثيرة، هذه الأسطورة تعود إلى بداية القرن الحادي عشر.

---

[1] -انظر بروتوكولات حكماء صهيون لمحمد خليفة التونسي صفحة 7، مطبعة دار الكتاب العربي القاهرة 1951.

5-ما هي الكأس المقدسة؟

شفرة دافنشي: خلافاً للاعتقاد السائد، كانت الكأس ترمز إلى مريم المجدلية وبالأخص إلى أحشائها التي كانت تحمل طفلة يسوع.

ما نعرفه: هناك الكثير من الأساطير التي يفيد الكثير منها بأنها الكأس التي استعملها يسوع في العشاء الأخير.

6-من كان فرسان الهيكل؟

شفرة دافنشي: فرع عسكري لمنظمة صهيون. تأسست لإيجاد مجموعة من الوثائق المخبأة التي تكشف حقيقة ذرية يسوع .

ما نعرفه: كان الفرسان جنوداً مؤمنين مكلفين بحماية الحجاج المسيحيين في طريقهم إلى أورشليم.

أقول: والصحيح أنها إحدى القيادات التي اشتركت في الحروب الصليبية.

7-هل جمع قسطنطين عمداً إنجيلاً يركز على ألوهية المسيح؟

شفرة دافنشي: لتهدئة الاضطرابات الدينية وتوحيد الامبراطورية الرومانية، طلب قسطنطين من مجمع نيقيا جمع إنجيل يصور يسوع كإله أكثر منه كإنسان.

ما نعرفه: لم يكن لقسطنطين علاقة بجمع الإنجيل، كانت المبادئ الأساسية محددة؛ لكن المجمع قرر كيفية تفسيرها.

8-ما هو إنجيل فيليب؟

شفرة دافنشي: إنه واحد من عدة أناجيل لا تعترف الكنيسة بصحتها، ويشير إلى أن يسوع ومريم المجدلية كانا متزوجين في الحقيقة.

ما نعرفه: وجد في مكتبة نجع حمادى في خمسينيات القرن الماضـــي، لكن الخبراء يقولون إن أي اتحاد يشير إليه هو روحي بحت.

9-هل قللت الكنيسة فعلاً من أهمية دور النـــساء فـــي أولـــى مراحـــل المسيحية لإرساء نظام أبوي؟

شفرة دافنشي: لترجيح الكفة لمصلحة الرجال، بدأت الكنيـــسة بتـــشويه صورة النساء، ووصفتهن أولاً أنهن مشعوذات لحرمانهن من مناصـــب القـــوة، ولاحقاً أحرقتهن بالآلاف.

ما نعرفه: بعض النساء لعبن أدواراً مهمة في بداية الكنيسة.

الفكرة القائلة إنها شوهت سمعتهن عمداً للحد مـــن دورهـــن لا تـــزال موضع جدال.

10-ما الخط الوردي؟

شفرة دافنشي: كان الخط الوردي في باريس يـــشكل خـــط التنـــصيف الأساسي للكوكب بأسره، وفي كنيسة سان سولبيس، تحدد مساره علامـــة علـــى الأرض.

ما نعرفه: الخط المعروف بخط التنصيف الباريسي يمر فعلاً عبر باريس وحتى كنيسة سان سولبيس، لكن مساره لا يتوافق مع العلامة على الأرض.

11-ما أصل النجمة ذات الرؤوس الستة؟

شفرة دافنشي: تلمح إلى أن النجمة هي مزيج من الرموز الوثنية التـــي تدل على الذكورية والأنثوية.

ما نعرفه: هذه النجمة معروفة باسم نجمة داود، لكن قبل أن تصبح رمز اليهودية، لعلها استعملت لتعني انصهار قوتين متضادتين.

12–هل كنيسة روسلين في اسكتلندا موجودة فعلاً؟

شفرة دافنشي: بنى الكنيسة فرسان الهيكل عام 1466م ورقد فيها رفات مريم المجدلية في رحلة ما.

ما نعرفه: الكنيسة موجودة، لكن لم يبنها فرسان الهيكل، ولم يقترن اسمها بها إلا في القرن التاسع عشر، وعظام مريم لم تكن هناك.

ويقول الكاتب: في الحقيقة بالرغم من كل مزاعمه الثورية، فإن كتاب شفرة دافنشي قديم الطراز ويولي الأهمية لجسد المجدلية بدلاً من عقلها.

في الفلم نرى المجدلية حزينة وشاحبة بطنها منتفخ، فيما يرافقها حشد من الرجال إلى خارج أورشليم. لكننا لا نسمع صوتاً أبداً، يبدو أن كتاب شفرة دافنشي يعتقد أن سرّ مريم المجدلية مرتبط بالجسد. وهو في الحقيقة يكشف أمراً أكثر ثورية؛ ألا وهو المساواة الفكرية بين الجنسين. وما زال الولع الحالي بالمجدلية يركز على جنسانيتها مع أن كتابات المسيحيين الأوائل لا تذكر جنسانيتها أبداً.

وتتساءل كارين كينغ مؤلفة كتاب بعنوان: The Gospel of Mary of Magdala (إنجيل مريم المجدلية): لماذا نشعر بالحاجة إلى إعادة إضفاء صفة جنسانية على مريم؟ لقد تخلصنا من خرافة المرأة الساقطة. والآن نميل إلى رؤيتها كزوجة وأم. لماذا ليس من اللائق أن نراها كإحدى تلاميذ يسوع وربما كمبشرة؟

إن كتاب شفرة دافنشي يُغفل حقيقة مريم عندما يحاول إثبات أنها زوجة المسيح. كل من الرواية والفيلم يستندان إلى نص من إنجيل فيليب ويقول إنه ورد فيه: أحب يسوع المجدلية أكثر من التلاميذ الذكور، وقبلها على فمها، فإن هذه الفقرة أقل إثارة مما نظن. بحسب التقاليد الغنوسية، فإن التقبيل على الشفتين ليس عملاً شهوانياً بل بادرة حقيقة ترمز إلى نقل المعرفة والحقيقة الروحانية.

في فقرات أخرى من إنجيل فيليب، يقبل يسوع تلاميذه الذكور أيضاً على شفاههم. (إن أراد مانعوا فيلم code the davinci تفسير تلك الحركة بأنها شهوانية سيواجهون حتماً احتجاجات أقوى من قبل المسيحيين التقليديين).

لا شك أن تلك الفقرة مهمة، لكنها قد تلمح إلى أن يسوع منح المجدلية سلطة خاصة في كنيسته. غير أن كتاب شفرة دافنشي يفوت هذه النقطة من خلال إساءة تفسيره طبيعة قبلة يسوع.

يمكن فهم غلطة براون هذه، فالجنس مربح في زمننا، كما كان في أيام غريغوريوس، وأيام يسوع أيضاً على الأرجح.

وتبقى المجدلية سجينة ومتهمة زوراً بالفحش. لكن التاريخ قد يحررها في المستقبل. وما زال هناك أناجيل غير مكتشفة قابعة في صحاري مجهولة، أو على رفوف مكتبة مجهولة.

يقول العلماء إن بعضها سيظهر مع مرور الوقت ويغير نظرتنا إلى مريم المجدلية ويسوع مرة أخرى، حتى ذلك الحين ستبقى لغزاً. كل ما يمكننا معرفته فعلاً هو: أنها كانت دائماً وفية لرسالة يسوع التي تدعو إلى المحبة والأمل، ومستعدة دائماً للمخاطرة بكل شيء من أجله، ومنفتحة دائماً على إمكانات الرعاية الإلهية؛ مثالا يتجاوز حدود الزمن ونوع الجنس، ومنارة في ضباب الشقاقات والخيال السائد في أيامنا هذه.

هذا بعض ما ورد في مقال جوناثان دارمان في مجلة نيوزويك، التي تصدر مترجمة إلى اللغة العربية في الكويت، عن كتاب شيفرة دافنشي للكاتب دان براون والرواية التي تحولت الآن إلى إنتاج سينمائي ضخم.

وقد ذكرت هنا بعض فقرات من هذا الكتاب والذي أثار ضجة في العالم عن حياة المسيح عليه السلام.

وقد قامت قناة الجزيرة في قطر بتاريخ 2006/6/2م بعد صدور الكتاب وعرض الفيلم بمناقشة بعض ما ورد في الكتاب والفيلم في برنامج "أكثر من رأي" الذي يقدمه السيد سامي حداد ولكن لضيق وقت البرنامج لم يرد على معظم الافتراءات والمغالطات عن حياة المسيح عليه السلام.

وإنصافاً للحق وإظهاراً لحقيقة نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام كتبت هذا الكتاب بعنوان "المسيح بن مريم في القرآن الكريم" حيث أورد الآيات التي وردت في القرآن بالنسبة إليه. وأشرحها شرحاً وافياً معتمداً على المعاني اللغوية للمفردات وسالكاً طريقة تفسير القرآن بالقرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذي قال الله فيه لرسوله محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً ﴾ -سورة المائدة: 48- والمراد بقوله ومهيمناً عليه: أي رقيباً على ما سبقه من الكتب يقر الحق ويظهر خطأ ما حرفوه، وأثناء كتابتي لهذا البحث تعرض بابا الفاتيكان لسيرة رسول الله ﷺ وزعم بأن رسول الله ﷺ نشر دعوته بالسيف، وأن الإسلام يخالف العقل مما جعلني أرد على افتراءاته في هذا الكتاب. والله سبحانه هو الهادي إلى سواء السبيل. لتوضيح حقيقة المسيح عليه السلام وذلك لأن الإيمان به وبغيره من الأنبياء والرسل من أركان الإيمان في الإسلام والله الهادي والموفق إلى سبيل الرشاد.

الدكتور

"محمد رامز" عبدالفتاح العزيزي

الآيات التي وردت في القرآن الكريم بالنسبة لعيسى ابن مريم عليه السلام وتفسيرها

تفسير الآيات التي وردت في سورة آل عمران

أولاً: بالنسبة لما ورد لامرأة عمران في ولادتها للسيدة مريم أم سيدنا عيسى عليه السلام

قال الله تعالى:

﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَـذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

سورة آل عمران:35- 37

معاني المفردات:

محرراً: معتقاً من شواغل الدنيا، متفرغاً لخدمة بيتك المقدس.

وكان هذا النوع من النذر مشروعاً عندهم، وهو خاص بالذكور، فهي كانت تتوقع أن يكون المولود ذكراً.

وإني أعيذها بك: إني أجيرها بأن تحفظها.

وذريتها من الشيطان الرجيم: وأجير ذريتها من الشيطان الذي لعنته.

فتقبلها ربها: أي قبلها الله بأن تنشأ في مكان العبادة، لتقوم في خدمته وعبادة الله فيه.

أنبتها نباتاً حسناً: أي أنشأها نشأة صالحة في بيت الله المقدس.

وكفلها زكريا: أي جعلها في رعاية نبي الله زكريا.

المحراب: غرفة عبادتِها في بيت الله المقدس.

أنى لك هذا: كيف؟ أو من أين لك هذا؟

الشرح:

يقول الله تبارك وتعالى: واذكر أيها النبي، حال امرأة عمران، إذ كانت امرأة صالحة فنذرت وقت حملها تقديم ما تحمله، خالصاً لعبادة الله معتقاً من شواغل الدنيا، متفرغاً لخدمة بيتك المقدس. وكان هذا النوع من النذر مشروعاً عند بني إسرائيل الذين تنتسب إليهم امرأة عمران، أم مريم والدة عيسى عليه السلام، ولكن كان ذلك خاصاً بالولد الذكر دون الأنثى، وقد طلبت من الله أن يتقبل منها هذا النذر، ليقوم مولودها بخدمة البيت المقدس. وقالت في دعائها: إنك أنت السميع لكل قول، العليم بكل حال.

فلما وضعت حملها أنثى، وكانت ترجو أن يكون ذكراً، ليصلح أن يقوم بخدمة بيت الله المقدس، قالت متحسرة ومعتذرة إلى ربها، حيث إنها وضعت أنثى ولم تضع ذكراً، وذلك لأن الأنثى لم تكن لتقوم في بيت الله منقطعة للعبادة عند بني إسرائيل قالت: رب إني وضعتها أنثى وهي لا تصلح لما نذرته بأن تقوم في البيت المقدس منقطعة للعبادة. والله عليم بما وضعت، فهو سبحانه هو الذي قدر ذلك، لتنشأ في مكان مقدس وتحمل بسيدنا عيسى عليه السلام، فهذا المولود الأنثى خير من مطلوبها وهو الذكر.

وقالت: إني سميتها مريم، وإني أسألك أن تحصنها هي وأولادها من غواية الشيطان الملعون، فتقبلها خالقها برضى حسن، وجعلها تنشأ في البيت المقدس، ورباها تربية كاملة، ونشأها نشأة صالحة. وجعل نبي الله زكريا كافلاً لها ومتعهداً للقيام بمصالحها.

وبعد أن كبرت اتخذت لها مكاناً خاصاً بها للعبادة، منزوية عن الرجال.

وكانت كلما دخل عليها نبي الله زكريا مكان عبادتها وجد عندها فاكهة في غير موسمها. فقال لها زكريا متعجباً: يا مريم، من أين لك هذا الرزق الذي عندك ويأتيك في غير موسمه؟

فأجابته مريم: إن كل ما يصلها وما عندها من خير إنما هو من عند الله، وبإرادته سبحانه، إن الله يرزق من يريد بغير عدد ولا حساب.

ما يستفاد من هذه الآيات:

1-إن جدة سيدنا عيسى عليه السلام من أمه، هي امرأة عمران.

2-كانت امرأة عمران امرأة صالحة تقية، فلما حملت بابنتها مريم نذرت بأن تجعل مولودها معتقاً من شواغل الدنيا، متفرغاً لخدمة بيت الله المقدس، وكانت تتوقع أن يكون ذكراً.

3-عندما وضعت أم مريم ابنتها مريم قالت على وجه التحسر والاعتذار: يا رب إنها أنثى، ولا تصلح لأن تقوم في بيتك المقدس، لأنه لم يكن يقبل للإقامة فيه إلا الذكور.

4-لقد تقبل الله منها نذرها، وجعلها تنشأ في بيت الله المقدس، مع أن خدمة البيت كانت مخصصة بالذكور، ورباها تربية كاملة في بيت الله ونشأها نشأة صالحة.

5-لقد جعل الله نبيه زكريا كافلاً لها، أثناء إقامتها في بيت الله.

6-كان زكريا عليه السلام يجد عند السيدة مريم فاكهة في غير موسمها، فسألها عن مصدر هذا الرزق فأجابت إنه من عند الله الذي يرزق من يشاء بغير حساب.

ثانياً: اصطفاء الله السيدة مريم على نساء العالمين

قال الله تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ، ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾.

سورة آل عمران: 42-44

معاني المفردات:

إذ قالت الملائكة: المراد بالملائكة جبريل عليه السلام.

اصطفاك: المراد بالاصطفاء الاصطفاء الأول وهو قبولها لخدمة بيت الله المقدس، بحيث جعلها تنشأ فيه، ولم يكن يسمح للنساء بذلك.

طهرك: أي طهرك من كل دنس، يخدش العرض أو الكرامة أو الأخلاق.

واصطفاك على نساء العالمين: أي اختارك على نساء العالمين في كل زمان ومكان، وذلك للمهمة التي لم تقربها امرأة غيرها في العالم كله.

اقنتي: أخلصي العبادة لله.

يلقون أقلامهم: يطرحون سهامهم التي يستهمون بها ويقترعون.

الشرح:

واذكر أيها النبي، إذ قالت الملائكة: يا مريم، إن الله اختارك وقبلك خالصة لخدمة بيت الله المقدس، وما كان يسمح للنساء بالقيام بهذه الخدمة، وقد طهرك من كل دنس يخدش العرض أو الكرامة، واختارك أيضاً على نساء

العالمين في كل زمان ومكان، وذلك للمهمة التي لم تقم بها امرأة غيرك في العالم كله.

وهذا يا مريم يستوجب منك الشكر لربك فالزمي طاعته وصلي له، وشاركي الذين يعبدونه ويصلون له.

والمراد بالاصطفاء الأول قبولها بأن تنشأ في بيت الله المقدس، وتسخير زكريا للقيام بتربيتها ورعايتها.

والمراد بالاصطفاء الثاني؛ ولادة نبي من غير أن يمسها رجل، والذي ظهر فيما بعد.

ذلك الذي قصه القرآن عليك يا محمد، من الأخبار التي قصصناها عليك، من قصة امرأة عمران، وقصة ابنتها مريم، وقصة زكريا -التي تلتها- ودعائه لأن يهب له ذرية طيبة، واستجابة الله له بأن وهبه من زوجته العاقر يحيى عليه السلام، إنما هو من الأنباء المغيبة عنك وقد أوحى الله إليك بها وما كنت تعلمها من قبل، وما كنت حاضراً معهم وهم يقترعون بالسهام ليعلموا بالقرعة من يقوم بشئون مريم، وما كنت معهم وهم يختصمون في نيل هذا الشرف العظيم.

أقول: وهذا نوع من الإعجاز، وهو الإخبار عن أشياء قد وقعت في الزمن الماضي البعيد، وهو لم يكن قارئاً، بإقرار جميع خصومه. وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾[1] وقال: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[2] فلم يبق إذن إلا أنها وحي من الله.

---

[1] -سورة العنكبوت: 48.

[2] -سورة هود: 49.

ثالثاً: ولادة سيدنا عيسى عليه السلام ودعوته

قال الله تعالى:

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ، وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ، قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ، وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ، وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللّهِ وَأُبْرِئُ الأكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِـي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ، وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَطِيعُونِ، إِنَّ اللّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَـذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ .

سورة آل عمران: 45-51

معاني المفردات:

بكلمة منه: أي بمولود يحصل بمجرد كلمة من الله، وهي كلمة (كن) بدون وساطة رجل، وهو عيسى بن مريم عليه السلام.

وجيهاً في الدنيا والآخرة: ذو وجاهة ومكانة وكرامة في الدارين.

ومن المقربين: أي سيكون من الذين هم أعلا درجة يوم القيامة.

في المهد: في زمن طفولته قبل أوان الكلام.

كهلاً: حال اكتمال قوته.

ومن الصالحين: أي من عباد الله الصالحين.

قضى أمراً: أراد شيئاً.

الحكمة: العلم النافع الصحيح، وهو الصواب في القول والعمل.

بني إسرائيل: هم نسل يعقوب عليه السلام.

آية من ربكم: معجزة من قِبَلِ الله تثبت صدق نبوَّتي.

أخلق لكم: أي أصور وأقدر لكم لإثبات رسالتي والرد على إنكاركم.

أبرئ الأكمه: الأكمه الذي ولد أعمى، والمراد أخلص الأعمى خلقةً من العمى.

أحيي الموتى: أي أحيي بعض الموتى ليشهدوا بصدق رسالتي،وقد كانوا يموتون بعد ذلك مباشرة.

ما تدخرون: ما تخبئونه للأكل فيما بعد.

بين يدي: ما تَقدَّمني.

بعض الذي حرم عليكم: أي بعض ما ورد تحريمه في التوراة كلحوم كل ذي ظفر، وشحوم الأنعام.

الشرح:

اذكر أيها النبي؛ إذ بَشرتِ الملائكةُ مريمَ بمولود يحصل لها بمجرد كلمة منه، وهي (كن) بدون وساطة رجل، على غير السنة العادية في التوالد، لقبه المسيح واسمه عيسى بن مريم.

وقد نسبه إلى أمه تنبيهاً على أنها تلده بلا أب.

قوله تعالى: ﴿ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾: أي إنه ذو مكانة في الدنيا عالية بالنبوة والبراءة من العيوب. وفي الآخرة تعلو درجته حيث يكون مع الصفوة المقربين إلى الله من النبيين والشهداء والصالحين.

قوله تعالى: ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾: أي وإنه سوف يكلم الناس وهو طفل في مهده كلاماً مفهوماً حكيماً، كما يكلمهم وهو رجل سوي من غير تفاوت بين حالتي الطفولة والكهولة، وهو من الأتقياء الصالحين. ولقد أنطقه الله وهو في المهد يوم ولد، لأن اليهود اتهموا أمه بالزنا وهي الطاهرة البتول، فبرأ أمه مما اتهموها به، وهذا سر و حكمة تكلمه في المهد، وذلك لأن المسألة تتعلق بعرض أمه، وبعفتها وكرامتها، فكان أن جاء كلامه في المهد ليمحو عجباً من الناس حين يجدونها تلد بدون والد.

وهذه المسألة، وهي كلامه في المهد، ليبرئ أمه من اتهامها من الزنا، لا وجود لها في الأناجيل الأربعة، مع أنها يجب أن تذكر فيها، لأنها المعجزة التي تثبت براءة السيدة مريم من اتهام اليهود لها بالزنا، وفيها تمجيد لنبيهم عيسى عليه السلام.

والكلام الذي قاله وهو في المهد قد ذكره القرآن في سورة مريم وهو: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً، وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً، وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً، وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً﴾[1]. فهم لم يذكروا هذا الكلام الذي قاله، لأنه يناقض عقيدتهم في عيسى عليه السلام.

قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ أي إن السيدة مريم قالت متعجبة: كيف يأتيني الولد، وأنا لست متزوجة ولم يقربني رجل، لا بزواج ولا بغيره.

قوله تعالى: ﴿ قَالَ كَذَلِكِ اللّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ أي فأجابها الله سبحانه على سؤالها: إن الله يخلق ما يشاء بقدرته، غير مقيد بالأسباب العادية، فإنه إذا أراد شيئاً أوجده بقوله (كن) فيكون.

---

[1] -سورة مريم: 30-33.

مما سبق يظهر لكل ذي لب؛ لِمَ وُصِفَ عيسى عليه السلام (بكلمة الله) حيث بين لنا الله سبحانه في هذه الآية: أن عيسى خلق بمجرد كلمة الله، وهي (كن) فكان، ومن غير توسيط أب، لأن المادة الأولى للحي بمقتضى السنة العامة، لم تكن طريقة إيجاده، وإنما وجد بكلمة (كن) فكان.

(والكلمة) هنا ليست قديمة، وإنما هنا مستحدثة من الله بقوله (كن) فكان.

وقوله تعالى: ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ﴾: أي إن الله سبحانه سوف يعلم هذا المولود، الذي اسمه عيسى بن مريم، الكتابة والخط، أي سوف يكون قارئاً لا أمياً، ويعلمه التوراة التي نزلت على موسى عليه السلام، ويعلمه الإنجيل الذي سوف ينزل عليه.

من هنا نعلم أن الإنجيل الحقيقي هو كلام الله تعالى، كما ذكر القرآن، وليس منها الأناجيل الأربعة التي يؤمن بها النصارى، لأن هذه الأناجيل ليست نازلة على عيسى عليه السلام في نظرهم، وليست منسوبة له، ولكنها منسوبة لبعض تلاميذه، ومن ينتمي إليهم، وهي تشتمل على أخبار المسيح وقصصه، ومحاوراته، وخطبه، وابتدائه ونهايته في الدنيا كما يعتقدون هم. وقد ورد عندهم ذكر الإنجيل الحقيقي الذي أنزله الله على عيسى عليه السلام عندهم في إنجيل مرقس في الإصحاح الأول منه، فقد جاء فيه ما نصه: **(وبعد ما أُسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله، ويقول قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل)**[1].

وجاء في رسالة بولس إلى أهل رومية في الإصحاح الأول: **(أولاً أشكر إلهي يسوع المسيح من جهة جميعكم، إن إيمانكم ينادي به في كل العالم، فإن**

[1] -الإصحاح الأول، الفقرة 14 و15، الكتاب المقدس كتب العهد الجديد، طباعة جمعية الكتاب المقدس /بيروت 1958.

الله الذي أعبده بروحي فـــي إنجيـــل ابنـــه شـــاهد لـــي كيـــف بـــلا انقطـــاع أكرمكم.....ــ).

وجاء في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس فـــي إصـــحاحها التاســـع: **(صرت للكل لكل شيء لأخلص على كل حال قوما، وهذا أنا أفعله لأجل الإنجيل لأكون شريكاً فيه).**

مما سبق يظهر لنا أن الإنجيل الذي نزل على عيسى وعلمه الله إياه ورد ذكره في إنجيل مرقس، كما ورد ذكره في رسالة بولس إلى أهل روميـــة فـــي رسالته الأولى، كما ورد ذكره أيضاً في رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس في إصحاحها التاسع.

ولا شك أن هذا الإنجيل الذي ورد ذكره في إنجيل مرقس وفي رسالتي بولس هو الإنجيل الذي نزل على سيدنا عيسى عليه السلام وهو خاص بكـــلام الله، وهو الذي كان يعظ به ويبشر بما جاء فيه.

قوله تعالى: ﴿وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللّهِ وَأُبْرِئُ الأكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِـــي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

أقول: إن المسيح عليه السلام يقرر أنه مبعوث إلى بني إسرائيل خاصة، وهم قوم أمه، وهو ينسب إليهم، حيث إن اسمه عيسى بن مريم، وهي من نـــسل داود، فهو لم يرسل إلى الرومان والكنعانيين والفلسطينيين، الذين كانوا موجودين في فلسطين، إذ لم يوجه الدعوة إليهم، كما لم يبعـــث إلـــى العـــرب ولا إلـــى الأوروبيين أو غيرهم من الأمم، وإنما أرسل إلى بني إسرائيل خاصة، وذلك كما ورد في هذه الآيات، وكما ورد أيضاً على لسانه في إنجيل متى، فقد جاء فيـــه: (ثم خرج يسوع من هناك وانصرف إلى نواحي صـــور وصـــيدا، وإذا امـــرأة

كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت إليه قائلة: ارحمني يا سيد، يا ابن داود، إبنتي مجنونة جداً، فلم يجبها بكلمة، فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين: اصرفها لأنها تصيح وراءنا، فأجاب وقال: لم أرسل إلا إلى خراف بني إسرائيل الضالة، فأتت وسجدت له قائلة: يا سيد، أعنّي، فأجاب وقال: ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب!! فقالت: نعم يا سيد، والكلاب أيضاً تأكل من الفتات الذي يسقط من مائدة أربابها، حينئذ أجاب يسوع وقال لها: يا امرأة، عظيم إيمانك، ليكن لك ما تريدين فشفيت من تلك الساعة)[1].

ففي هذه الفقرة يحدد المسيح رسالته، فهو لم يجب المرأة المستغيثة لأنها كنعانية، لأنه لم يرسل إلى الكنعانيين -كما يقول - ولما ألح تلامذته عليه واستغاثت المرأة امتنع عن إغاثتها، وحدد من أرسل إليهم، واعتذر عن أن يجيبها إلى طلبها، فلما أعادت سؤاله أعاد عليها امتناعه بجواب آخر حيث ضرب لها المثل، بخبز البنين وأنه لا يصلح أن يعطيه غيرهم، وشبه غير بني إسرائيل بالكلاب!!! فردت عليه رداً أرضته به، عندما ذكرت له أن الكلاب نصيبها في الفتات الساقط من الخبز من أربابها، فأعجبه ردها، وأثنى على عظيم إيمانها، وأجابها وشفى لها ابنتها.

وما جاء في إنجيل متى، يؤكد أنه لم يرسل إلا لبني إسرائيل خاصة: (وهؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً: إلى طريق الأمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحري إلى خراف بني إسرائيل الضالة)[2].

فالمسيح عليه السلام بهذه الفقرة يحدد من يدعوهم إلى الإيمان برسالته، فيمنع تلاميذه من دعوة غير بني إسرائيل.

---

[1] -إنجيل متى الإصحاح، 15، الفقرات من 21 إلى 28.

[2] -إنجيل متى الإصحاح العاشر الفقرات: 5-6.

وليست استجابة المسيح عليه السلام للكنعانية مناقضة لرسالته، لأنه ليس من المحتم ألا يصيب الكلاب من الفتات، ولم يدع المرأة الكنعانية إلى اتباعه بعد أن رأت المعجزة وشفيت ابنتها، ولو دعاها لأجابته، ولكنه لم يدعها لأن رسالته خاصة ببني إسرائيل.

أقول: إن وصف المرأة الكنعانية وغيرها من غير بني إسرائيل بالكلاب، وأنه لم يرسل إليهم، وإنما أرسل لخراف بني إسرائيل الضالة يظهر المسيح عليه السلام أنه عنصري، ويؤصل التمييز العنصري الذي عند اليهود، وهذا لا يعقل أن يصدر من إنسان عاقل فضلاً عن نبي من أنبياء الله.

وإني أستغرب من العرب وغيرهم من الأمم الذين يقرؤون هذه العبارة التي تصفهم بالكلاب ثم يؤمنون بصحة هذه الأناجيل!!!.

وبعد أن ذكر القرآن أن المسيح عليه السلام يخبر قومه بأنه مرسل إلى بني إسرائيل خاصة ويستدل على صدق رسالته بمعجزات أيده الله بها وهي: أنه يصور لهم من الطين صورة مثل صورة الطير، فينفخ فيها فتحل فيها الحياة وتتحرك طائراً بإرادة الله، ويشفي بتقدير الله من ولد أعمى فيبصر، ومن به برص فيزول برصه، ويعيد الحياة إلى بعض الموتى وذلك ليشهدوا بصدقه، ثم يموتون ثانيةً، كل ذلك بإذن الله وإرادته، ويخبرهم بما يدخرون في بيوتهم من مأكول وغيره، ويقول لهم إن هذه الآيات التي أظهرها الله على يديَّ حجة على أن رسالتي حق إن كنتم ممن يذعنون ويؤمنون بالله.

أقول: فليس لأحد أن يقول: إني رسول من عند الله إلا إذا قدم بين يديه معجزة تثبت بأنه رسول من عند الله سبحانه، وهي تلزم المنكر وتتحداه. ومن لوازم التحدي ألا يتحدى الله الناس، فيعطي لرسوله معجزة، إلا بشيء قد نبغوا فيه واشتهروا به، لأنه لو جاءهم بشيء لم يعرفوه ولم ينبغوا فيه فإن الرد سيكون: هذا شيء لم نعرفه ولم نمارسه، ولم نروض أنفسنا عليه، ولو كنا نعرفه لأتينا بمثله. فالمعجزة إنما تأتي من جنس ما نبغوا فيه.

فلما كان قوم فرعون في عصر موسى مشهورين بالسحر ونابغين فيه، جاءهم الله على يد موسى بشيء يشبه السحر وليس سحراً، وهي العصا واليد، حيث تنقلب العصا إلى حية تسعى، واليد تصبح بيضاء من غير سوء، فكان أول من آمن به هم السحرة.

ولما كان العرب في العصر الذي بعث به رسول الله محمد ﷺ مشهورين في الفصاحة والبلاغة تحداهم بأن يأتوا بمثل هذا القرآن في فصاحته وبلاغته وأسلوبه. قال الله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ، فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾[1] .

وعندما عجزوا عن أن يأتوا بمثله تحداهم بأن يأتوا بعشر سور مثله، وأن يستعينوا بمن يمكن الاستعانة به من الإنس والجن، قال الله تعالى:
﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[2] .

وعندما عجزوا أن يأتوا بعشر سور مثله تحداهم مرة ثالثة بأن يأتوا بسورة واحدة مثله، وأباح لهم أيضاً أن يستعينوا على ذلك بمن يشاؤون من دون الله إن كانوا صادقين في دعواهم بأن القرآن كلام بشر، وأنه من عند محمد ﷺ .

والسورة كما نعلم قد لا تزيد على سطرين كسورة الكوثر أو سورة الإخلاص. قال تعالى مثبتاً هذا التحدي: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[3] .

وعندما عجزوا عن أن يأتوا بسورة مماثلة لسورة من القرآن، تنزل معهم من طلب المماثل إلى طلب شيء مما يماثل فطلب سورة واحدة من مثله، فلم يكلفهم في المرة الرابعة وهي الأخيرة من التحدي بأن يأتوا بالمماثلة التامة،

---

[1] –سورة الطور: 33-34.
[2] –سورة هود: 13.
[3] –سورة يونس: 38.

بل طالبهم بأن يأتوا بما يكون مثلاً على وجه التقريب لا التحديد، وهذا أقصى ما يمكن من التنازل في التحدي، ولذا كان هو آخر صيغ التحدي، قال تعالى:

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾[1].

ومع هذا التحدي لم يجدوا ثغرة ينفذون منها إلى معارضته فصمتوا عن منافسته مع ما عرف عنهم من إباء وعزة وفخار.

ولما كان الرومانيون أصحاب السلطان في البلاد التي نشأ فيها عيسى عليه السلام أهلَ علم واسع بالطب آتاه من المعجزات التي تناسبهم من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله.

أي فهذه الأمور ليست صنعته بل هي بإذن الله سبحانه ليثبت صدق رسالته.

قوله تعالى: ﴿ وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَطِيعُونِ، إِنَّ اللّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾.

أي وقد أرسلت إليكم وأنا مصدق لما تقدمني من التوراة التي نزلت على موسى عليه السلام، فرسالتي متممة لرسالته، ولكنني سأبيح لكم بعض الذي حرم عليكم في التوراة؛ كلحوم ذي الظفر وشحوم الأنعام، وذلك كما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وِإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾[2] .

---

[1] -سورة البقرة: 23-24.

[2] -سورة الأنعام: 146، والمراد بكل ذي ظفر: هو كل حيوان غير منفرج الأصابع كالإبل والنعام والبط والأوز. والمراد بالحوايا: المصارين الغليظة التي يكون فيها البعر.

ويقول لهم: إنني قد جئتكم بآية من الله على صدق رسالتي، فاتقوا الله وأطيعوني، إن الله خالقي وخالقكم فهو المستحق للعبادة دون سواه فأخلصوا العبادة له، فإن هذا هو الطريق الذي لا اعوجاج فيه.

ما يستفاد من هذه الآيات:

1-إن الله سبحانه علم المسيح بن مريم الكتابة والقراءة والعلم النافع الصحيح وعلمه التوراة والإنجيل.

2-إن رسالة المسيح عليه السلام هي لقومه خاصة وهم بنو إسرائيل، وذلك كما قرره القرآن وكما ورد على لسانه في إنجيل متى بأنه لم يرسل إلا إلى خراف بني إسرائيل الضالة.

3-إن المعجزات التي أيد الله بها المسيح عليه السلام هي منح الحياة إلى ما يصنعه على صورة الطير، وإبراء الذي ولد أعمى، وإبراء الأبرص، وإحياء بعض الموتى ليشهدوا له بصدق رسالته كل ذلك بإرادة الله وكذلك إخبارهم عما يخبئونه في بيوتهم.

4-إن رسالة المسيح عليه السلام هي متممة لشريعة موسى كما ورد في القرآن، وكما ورد على لسان المسيح في إنجيل متى، حيث جاء فيه: (لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض، بل لأكمل)[1].

5-لقد أباح المسيح عليه السلام لقومه ما كان قد حرم عليهم عقاباً لهم، وذلك بإباحته لحوم كل ذي ظفر وشحوم الأنعام.

6-إعلان المسيح وجهره بأن الله هو خالقه وخالق قومه، وأن معجزاته من صنع الله الخالق لا من صنعه، وأنها كانت الدليل على صدق دعوته.

7-دعوة قومه إلى عبادة الله وحده وتقواه وطاعته لأنه هو الخالق له ولهم.

---

[1] -إنجيل متى الإصحاح الخامس، الفقرة: 17.

رابعاً: قصة عيسى عليه السلام مع قومه

مع بيان حقيقة رفعه

قال الله تعالى:

﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللّهِ آمَنَّا بِاللّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ، رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ، وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ، إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ، فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ، وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ، ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾.

سورة آل عمران: 52-58

معاني المفردات:

أحس عيسى منهم الكفر: أي شعر من قومه بالكفر برسالته، وهمّوا بقتله.

الحواريون: هم خواصه وصفوة أتباعه، والحواريون جمع حواريّ بتشديد الياء.

مسلمون: مستسلمون منقادون لأمر الله.

الشاهدين: الذي يشهدون يوم القيامة للرسل بأنهم بلغوا رسالتهم.

مكروا: أي دبر كفار بني إسرائيل تدبيراً خفياً لقتل عيسى.

ومكر الله: أي دبر تدبيراً محكماً أبطل به مكرهم.

متوفيك: آخذك وافياً بروحك وبدنك، والمراد مستوفي أجلك في الدنيا وأنت مكرم.

ورافعك إلي: أي جاعلك في منزلة رفيعة مع إدريس والصالحين.

مطهرك من الذين كفروا: أي مبعدك عن سوء عملهم.

الشرح:

يقول الله سبحانه أي لما دعا سيدنا عيسى قومه بني إسرائيل إلى الإيمان به فأبى أكثرهم، فلما علم منهم ذلك اتجه إليهم منادياً:

من يناصرني في هذا الحق الذي أدعو إليه؟ فأجابه خاصة المؤمنين بالله وبرسالته: نحن نؤيدك وننصرك في تبليغ رسالة الله سبحانه، قد صدقنا بالله وبما جئتنا به، واشهد بأننا منقادون لرسالتك مخلصون في نصرتك. وقالوا مخاطبين الله سبحانه: يا ربنا صدقنا بكتابك وهو الإنجيل الذي أنزلته على نبيك عيسى عليه السلام، واتبعنا رسولك عيسى فاكتبنا مع من شهد لك بالوحدانية ولرسولك بالصدق، وهؤلاء هم تلامذة المسيح عليه السلام، ويطلق عليهم الحواريون وقيل: عددهم اثنا عشر.

قوله تعالى: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ أي فدبر الذين لم يؤمنوا به من بني إسرائيل، وهم اليهود، تدبيراً خفياً لقتل عيسى عليه السلام، ودبر الله تدبيراً محكماً أبطل به مكرهم، فلم ينجحوا فيما أرادوا، والله سبحانه أحكم المدبرين وأقواهم.

وقد ذكر الله سبحانه مكرهم وتدبيرهم في سورة النساء وكيف أبطل الله كيدهم حيث جعل تدميرهم في تدبيرهم. قال الله تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً﴾[1] .

---

[1] –سورة النساء: 157.

ومعنى هذه الآية: أي إن الله غضب على اليهود بسبب قولهم مستخفّين إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله، والحق المستيقن أنهم ما قتلوه كما زعموا، وما صلبوه كما ادعوا، ولكن شبه لهم، فظنوا أنهم قتلوه وصلبوه، وإنما قتلوا وصلبوا من يشبهه، وقد اختلفوا من بعد ذلك في المقتول أهو عيسى أم غيره؟ وأنهم جميعاً لفي شك من أمره، والواقع أنهم يقولون ما لا علم لهم به إلا عن طريق الظن.

المراد بالوفاة والرفع الذي ورد في هذه الآية:

القرآن الكريم ونهاية عيسى عليه السلام:

قوله تعالى في هذه الآية: ﴿إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.

المراد بالوفاة والرفع في قوله تبارك وتعالى: ﴿ إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾.

أقول: اختلف العلماء والمفسرون بالمراد بالوفاة والرفع في هذه الآية وانقسموا إلى طائفتين:

الطائفة الأولى: وهم معظم المفسرين الذين يعتمدون التفسير على المأثور من الروايات، بأن المراد بالوفاة النوم وقالوا بأن المسيح لم يمت وإنما رفع بروحه وجسده.

الطائفة الثانية: وهم العلماء الذين يفسرون القرآن بالقرآن، وعلى معاني الألفاظ اللغوية قالوا: بأن المراد بالوفاة الموت، وأن الرفع إنما كان لروحه فقط، وذلك كما ترفع أرواح النبيين والشهداء ومن هؤلاء:

فضيلة الأستاذ عبدالجليل عيسى شيخ كليتي أصول الدين واللغة العربية بالأزهر وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر (سابقاً) رحمه الله.

وأستاذي فضيلة الشيخ محمود شلتوت[1] أستاذ التفسير والفقه المقارن في الأزهر وعضو جماعة كبار العلماء بالأزهر ثم شيخًا للأزهر (سابقاً).

والشهيد سيد قطب في ظلال القرآن.

والدكتور محمود حجازي في تفسيره الواضح.

وفضيلة الشيخ المراغي في تفسيره.

قال فضيلة الأستاذ الشيخ عبدالجليل عيسى في تفسيره (المصحف الميسر) في تفسير قوله: ﴿ورافعك إليّ﴾: أي جاعلك في منزلة رفيعة مع إدريس والصالحين[2] وأشار في تفسيره للاستدلال على ذلك إلى قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً، وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾[3]، وإلى ما يرد على لسان المسيح عليه السلام يوم القيامة عندما يسأله الله عن قومه وذلك في سورة المائدة: ﴿وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ، مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[4] .

وقال المرحوم سيد قطب في تفسيره لهذه الآية: (لقد أرادوا قتل عيسى وصلبه، وأراد الله أن يتوفاه الوفاة العادية، وأن يرفعه كما يرفع أرواح

---

[1] –حيث درست عليه الفقه المقارن عندما كنت طالباً في السنة الرابعة في كلية الشريعة في الأزهر عام 1955م–1956م.

[2] –المصحف الميسر لفضيلته تفسير آية 55 من سورة آل عمران طبعة دار الفكر 1399هـ 1979م.

[3] –سورة مريم: 56–57.

[4] –سورة المائدة: 116–117.

الصالحين من عباده وأن يطهره من مخالطة الدين كفروا ومن البقاء بينهم وهم رجس ودنس...)[1].

وقال فضيلة الدكتور محمد محمود حجازي: (مكر الله بهم، إذ قال الله يا عيسى إني موفيك أجلك كاملاً، ولن يعتدي عليك معتد أبداً. والرفع رفع مكانة لا مكان، كما قال تعالى في شأن إدريس عليه السلام: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾[2] وكقوله في المؤمنين: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[3]، فليس المعنى، والله أعلم به، أن عيسى رفع إلى السماء، وأنه سينزل آخر الدنيا ويستوفي أجله ثم يموت)[4].

وأما بالنسبة لفضيلة الأستاذ محمود شلتوت رحمه الله، فقد وردَ إلى مشيخة الأزهر الجليلة، التي كانت مكونة من هيئة كبار العلماء في الأزهر، ومن ضمنهم مشايخ كليات الأزهر الثلاث، التي كانت في ذلك الوقت أعلى مرجع ديني في مصر والعالم الإسلامي، قبل إلغائها من قبل رجال الثورة في مصر، ورد من حضرة عبدالكريم خان بالقيادة العامة لجيوش الشرق الأوسط البريطانية سؤال جاء فيه:

هل "عيسى" حي أو ميت في نظر القرآن والسنة المطهرة؟ وما حكم المسلم الذي ينكر أنه حي؟ وما حكم من لا يؤمن به إذا فرض أنه عاد إلى الدنيا؟.

---

[1] -سيد قطب، ظلال القرآن، ج3 ص76، الطبعة الأولى دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي.

[2] -سورة مريم: 57.

[3] -سورة القمر: 55.

[4] -فضيلة الدكتور محمد محمود حجازي: التفسير الواضح الجزء الثالث ص64، الطبعة السابعة 1392هـ -1972م، مطبعة الاستقلال الكبرى.

وقد حولت مشيخة الأزهر هذا السؤال إلى فضيلته بصفته عضو جماعة كبار العلماء في الأزهر وأستاذ التفسير والفقه المقارن فيه.

وقد أجاب السائل إلى سؤاله وبين بالحجج والبراهين الدامغة بأن المراد بالوفاة هو موت عيسى عليه السلام، وأنه بعد أن أماته رفع روحه كما ترفع أرواح الأنبياء والشهداء والصالحين.

وذكر أدلة الفريق الأول الذي زعم بأن الله رفع عيسى بروحه وجسده،، وأنه سوف ينزل بآخر الزمان، ثم رد عليها وبين بطلانها، وذلك كعادته رحمه الله في كتابته في الفقه المقارن وفي أسلوبه في التدريس لهذه المادة في كلية الشريعة في الأزهر.

وأنقل هنا جوابه على سؤال السائل كما ورد في كتاب (مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء) لداعية العصر أحمد ديدات، ترجمة السيد علي الجوهري[1].

فقد جاء جوابه تحت عنوان، "القرآن ونهاية عيسى" كما يلي:

أما بعد، فإن القرآن الكريم قد عرض لعيسى عليه السلام فيما يتصل بنهاية شأنه مع قومه في ثلاث سور:

1-في سورة آل عمران قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللّهِ آمَنَّا بِاللّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ، رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ، وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ، إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ

[1] -مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء، لأحمد ديدات ص196-202، طبعة دار الاعتصام -القاهرة.

وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[1] .

2-وفي سورة النساء قوله تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً، بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾[2].

3-وفي سورة المائدة قوله تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ، مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[3] .

هذه هي الآيات التي عرض القرآن فيها نهاية شأن عيسى مع قومه.

والآية الأخيرة (آية المائدة) تذكر لنا شأناً أخروياً وما يتعلق بعبادة قومه له ولأمه في الدنيا، وقد سأله الله عنها.

وهي تقرر على لسان عيسى عليه السلام أنه لم يقل لهم إلا ما أمره الله به: ﴿اعبدوا الله ربي وربكم﴾ وأنه كان شهيداً عليهم مدة إقامته بينهم، وأنـه لا يعلم ما حدث منهم بعد أن ﴿توفاه الله﴾.

---

[1] -سورة آل عمران: 52-55.

[2] -سورة النساء: 157-158.

[3] -سورة المائدة: 116-117.

معنى التوفي:

وكلمة (توفى) قد وردت في القرآن كثيراً بمعنى الموت، حتى صار هذا المعنى هو الغالب عليها المتبادر منها.

ولم تستعمل في غير هذا المعنى إلا وبجانبها ما يصرفها عن هذا المعنى المتبادر: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾[1]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾[2]، ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُواْ الْمَلآئِكَةُ﴾[3]، ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾[4]، ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى﴾[5]، ﴿حَتَّىَ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ﴾[6]، ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[7].

ومن حق كلمة "توفيتني" في الآية أن تحمل هذا المعنى المتبادر، وهو الإماتة العادية التي يعرفها الناس ويدركها من اللفظ والسياق الناطقون بالضاد.

وإذن فالآية لو لم يتصل بها غيرها في تقرير نهاية عيسى مع قومه لما كان هناك مبرر للقول بأن عيسى حي لم يمت.

ولا سبيل إلى القول بأن الوفاة هنا مراد بها وفاة عيسى بعد نزوله من السماء، بناء على زعم من يرى أنه حي في السماء، وأنه سينزل منها آخر الزمان، لأن الآية ظاهرة في تحديد علاقته بقومه هو لا بالقوم الذين يكونون آخر الزمان وهم قوم محمد باتفاق، لا قوم عيسى.

---

[1] -سورة السجدة: 11.

[2] -سورة النساء: 97.

[3] -سورة الأنفال: 50.

[4] -سورة الأنعام: 61.

[5] -سورة الحج: 5.

[6] -سورة النساء: 15.

[7] -سورة يوسف: 101.

معنى ﴿رفعه الله إليه﴾: وهل هو إلى السماء؟

أما آية النساء فإنها تقول: ﴿بل رفعه الله إليه﴾ وقد فسرها بعض المفسرين بل جمهورهم بالرفع إلى السماء، ويقولون: إن الله ألقى شبهه على غيره ورفعه بجسده إلى السماء، فهو حي فيها وسينزل منها آخر الزمان، فيقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويعتمدون في ذلك:

أولاً: على روايات تفيد نزول عيسى بعد الدجال، وهي روايات مضطربة مختلفة في ألفاظها ومعانيها اختلافاً لا مجال معه للجمع بينها، وقد نص على ذلك علماء الحديث.

وهي فوق ذلك من رواية وهب بن منبه وكعب الأحبار وهما من أهل الكتاب الذين اعتنقوا الإسلام، وقد عرفت درجتهما عند علماء الجرح والتعديل.

ثانياً: على حديث مروي عن أبي هريرة اقتصر فيه على الإخبار بنزول عيسى، وإذا صح هذا الحديث فهو حديث آحاد. وقد أجمع العلماء على أن أحاديث الآحاد لا تفيد عقيدة ولا يصح الاعتماد عليها في شأن المغيبات.

ثالثاً: على ما جاء في حديث المعراج من أن محمداً ﷺ حينما صعد إلى السماء وأخذ يستفتحها واحدة بعد واحدة فتفتح له ويدخل، رأى عيسى عليه السلام هو وابن خالته يحيى في السماء الثانية.

ويكفينا في توهين هذا السند؛ ما قرره كثير من شراح الحديث في شأن المعراج، وفي شأن اجتماع محمد ﷺ بالأنبياء، وأنه كان اجتماعاً روحياً لا جسمانياً وقال: (انظر فتح الباري وزاد المعاد وغيرهما).

ومن الطريف؛ أنهم يستدلون بحديث المعراج على أن معنى الرفع في الآية هو رفع عيسى بجسده إلى السماء.

بينما نرى فريقاً منهم يستدل على أن اجتماع محمد بعيسى في المعراج كان اجتماعاً جسدياً بقوله تعالى: ﴿بل رفعه الله إليه﴾.

وهكذا يتخذون الآية دليلاً على ما يفهمونه من الحديث حين يكونون في تفسير الحديث، ويتخذون الحديث دليلاً على ما يفهمونه من الآية حين يكونون في تفسير الآية!!!.

الرفع في آية آل عمران:

ونحن إذا رجعنا إلى قوله تعالى: ﴿إني متوفيك ورافعك إلي﴾ في آيات آل عمران، مع قوله ﴿بل رفعه الله إليه﴾ في آيات النساء؛ وجدنا الثانية إخباراً عن تحقيق الوعد الذي تضمنته الأولى، وقد كان هذا الوعد بالتوفية والرفع والتطهير من الذين كفروا، فإذا كانت الآية الثانية قد جاءت خالية من التوفية والتطهير، واقتصرت على ذكر الرفع إلى الله، فإنه يجب أن يلاحظ فيها ما ذكره في الأولى جمعاً بين الآيتين.

والمعنى أن الله توفى عيسى ورفعه إليه وطهره من الذين كفروا.

وقد فسر الألوسي قوله تعالى: ﴿إني متوفيك﴾ بوجوه، منها -وهو أظهرها-: إني مستوفٍ أجلك ومميتك حتف أنفك لا أسلط عليك من يقتلك، وهو كناية عن عصمته من الأعداء وما هم بصدده من الفتك به عليه السلام، لأنه يلزم من استيفاء الله أجله وموته حتف أنفه ذلك.

وظاهر أن الرفع -الذي يكون بعد التوفية- هو رفع المكانة لا رفع الجسد، خصوصاً وقد جاء بجانبه قوله: ﴿ومطهرك من الذين كفروا﴾ مما يدل على أن الأمر أمر تشريف وتكريم.

وقد جاء الرفع في القرآن كثيراً بهذا المعنى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾[1]، ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء﴾[2]، ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾[1]، ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[2]... الخ.

---

[1] -سورة النور: 36.

[2] -سورة الأنعام: 83.

وإذن فالتعبير بقوله: ﴿ورافعك إلي﴾ وقوله: ﴿بل رفعه الله إليه﴾ كالتعبير بـ(إن الله معنا) بـ﴿عند مليك مقتدر﴾ وكلها لا يفهم منها سوى معنى الرعاية والحفظ والدخول في الكنف المقدس.

فمن أين تؤخذ كلمة السماء من كلمة "إليه"؟

اللهم إن هذا لظلم للتعبير القرآني الواضح، خضوعاً لقصص وروايات لم يقم على الظن بها -فضلا عن اليقين- برهان ولا شبه برهان!!

الفهم المتبادر من الآيات:

وبعد، فما عيسى إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، ناصبه قومه العداء، وظهرت على وجوههم بوادر الشر بالنسبة إليه، فالتجأ إلى الله -شأن الأنبياء والمرسلين- فأنقذه الله بعزته وحكمته، وجنبه مكر أعدائه.

وهذا ما تضمنته الآيات: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ...﴾ إلى آخرها.

بين الله فيها مكره بالنسبة لمكرهم، وأن مكرهم في اغتيال عيسى قد ضاع أمام مكر الله في حفظه وعصمته إذ قال: ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ فهو يبشره إنجاءه من مكرهم ورد كيدهم في نحورهم، وأنه سيستوفي أجله حتى يموت حتف أنفه من غير قتل ولا صلب، ثم يرفعه الله إليه.

وهذا هو ما يفهمه القارئ للآيات الواردة في شأن نهاية عيسى مع قومه، متى وقف على سنة الله مع أنبيائه حين يتألب عليهم خصومهم، ومتى خلا ذهنه من تلك الروايات التي لا ينبغي أن تحكم على القرآن.

---

[1] -سورة مريم: 57.

[2] -سورة المجادلة: 11.

ولست أدري كيف يكون إنقاذ عيسى بطريق انتزاعه من بينهم، ورفعه بجسده إلى السماء مكراً؟

وكيف يوصف بأنه خير من مكرهم مع أنه ليس في استطاعتهم أن يقاوموه، شيء ليس في قدرة البشر؟

إلا أنه لا يتحقق مكر في مقابله مكر إلا إذا كان جارياً على أسلوبه، غير خارج عن مقتضى العادة فيه.

وقد جاء مثل هذا في شأن محمد ﷺ : ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[1].

انتهى كلام فضيلة الأستاذ محمود شلتوت وهذا لا يعبر عن رأيه فحسب، في الإجابة على سؤال السائل الذي وجه السؤال إلى مشيخة الأزهر، منذ أكثر من ستين عاماً، بل يعبر أيضاً عن وجهة نظر مشيخة الأزهر، في ذلك الوقت، التي كانت مكونة من لجنة من كبار علماء الأزهر، والتي حولت إليه السؤال للإجابة عليه، واعتبرت جوابه هو جواب مشيخة الأزهر في ذلك الوقت، حيث أجابت السائل بما أجاب به فضيلته. وكانت تعتبر أعلا لجنة علمية دينية في العالم الإسلامي. وقد نشر هذا الجواب أيضاً، في ذلك الوقت، في مجلة الرسالة السنة العاشرة –العدد (462).

فقد بين فضيلة الأستاذ محمود شلتوت معنى كلمة التوفي وأن المراد بها عند الإطلاق هو الموت الحقيقي، حيث ذكر أن هذا هو المعنى المتبادر منها، وأنها لم تستعمل في غير هذا المعنى إلا وبجانبها ما يصرفها عن هذا المعنى المتبادر، واستدل على ذلك بورودها سبع مرات في القرآن ولم يرد منها سوى الموت الحقيقي، وأنه لم يرد في الآية ما يصرفها عن هذا المعنى، فمن حقها أن

---

[1] –سورة الأنفال: 30.

تحمل على هذا المعنى المتبادر وهو الإماتة العادية التي يعرفها الناس، و يدركها من اللفظ والسياق الناطقون بالضاد.

وأما بالنسبة للرفع، فبين بأن المراد رفع المكانة لا رفع الجسد. واستدل على ذلك، بأنه جاء في القرآن بهذا المعنى عدة آيات، وذكر منها خمس آيات تدل على هذا المعنى، وبعضها ورد بالنسبة لنبي الله إدريس عليه السلام إذ قال تعالى بحقه: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾ فيكون معنى قوله تعالى في سورة آل عمران ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ هو ما نقله عن الآلوسي في تفسيره: إني مستوف أجلك ومميتك حتف أنفك لا أسلط عليك من يقتلك، وهو كناية عن عصمته من الأعداء، وما هم بصدده من الفتك به عليه السلام.

وذكر فضيلته دليلاً آخر يدل دلالة قاطعة بأن المراد بقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿يا عيسى إني متوفيك﴾ هو أن عيسى مات موتاً طبيعياً ولم يرفع بجسده وروحه إلى السماء وذلك بما ورد في سورة المائدة في شأن عيسى مع قومه يوم القيامةوهو قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ، مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[1] فإنه لا يخفى، على ذي لب، بأن المراد بالوفاة في هذه الآية هو موته بعدما أنقذه الله من كيد اليهود. ﴿اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ وأنه كان شهيداً عليهم مدة إقامته بينهم، وأنه لا يعلم ما حدث منهم بعد أن (توفاه الله).

ولا سبيل إلى القول بأن المراد بالوفاة هنا وفاة عيسى بعد نزوله من السماء، بناء على زعم من يرى أنه حي في السماء، وأنه سينزل منها آخر الزمان.

---

[1] -سورة المائدة: 116-117.

وكيف يقول عيسى، عليه السلام، بأنه لا علم له بعبادتهم له ولأمه، وهم يقولون إنه سوف ينزل قبل يوم القيامة ويحاربهم على ذلك، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير!! فهل يعقل أن المسيح عليه السلام يكذب على الله في يوم القيامة؟ حاشا للمسيح عليه السلام ذلك، فهو لا يعلم ذلك، لأن الله أماته بعد أن نجاه من كيد اليهود لعنهم الله.

وبعد أن استدل رحمه الله بهذه الأدلة الدامغة، التي لا يخفى معناها على كل ذلك لب ممن قرأها.

ذكر أدلة من قال بنزوله في آخر الزمان فنقل عنهم ثلاثة أدلة، وردّ على كل واحد منها.

أما الدليل الأول الذي ذكره فقد قال: أولاً على الروايات التي تفيد نزول عيسى بعد الدجال، فقال: هي روايات مضطربة مختلفة في ألفاظها ومعانيها اختلافاً لا مجال معه للجمع بينها، وقد نص على ذلك علماء الحديث. وهي فوق ذلك من رواية وهب بن منبه وكعب الأحبار وهما من أهل الكتاب الذين اعتنقوا الإسلام، وقد عرفت درجتهما عند علماء الحديث.

فهو لم يتعرض لذكر هذه الروايات وبيان تناقضها في ألفاظها ومعانيها واكتفى بالإشارة إلى الرجوع لما أورده علماء الحديث في ذلك من تناقض، كما ذكر بأنها من روايات وهب بن منبه وكعب الأحبار، اللذين هما من أهل الكتاب الذين اعتنقوا الإسلام والمطعون في عدالتهما، ولم يفصل ذلك لضيق المقام.

ولتوضيح هذين الأمرين أقول:

فبالنسبة لظهور الدجال، فقد وردت روايات كثيرة يناقض بعضها بعضاً، كما قال فضيلة الأستاذ محمود شلتوت فمن ذلك:

ما رواه الإمام البخاري منسوباً إلى عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قام في الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال: "إني

أنذركموه وما من نبي إلا وقد أنذر قومه به، لقد أنذر نوح قومه به ولكن سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه، تعلمون أنه أعور وأن الله ليس بأعور"[1].

أقول: إن معظم الأحاديث ذكرت أنه سوف يظهر في آخر الزمان عند قرب نزول عيسى عليه السلام، وأن عيسى سوف يقتله.

فكيف كان رسول الله ﷺ يتعوذ منه، وأمر أصحابه أن يتعوذوا منه، مع أنه لن يظهر في زمانهم.

بل كيف أنذر نوح قومه منه، وقد مضى على بعثة نوح عليه السلام آلاف السنين، وهو إلى الآن لم يظهر، ولم يأتنا.

كما ورد في هذا الحديث "أن المسيح الدجال أعور، وأن الله ليس بأعور" فكيف يعقل مسلم أن يشبه الله بالمسيح الدجال، وأن له عينين، إلا أنه ليس بأعور إحدى عينيه كالمسيح الدجال؟؟ حاشا لله سبحانه وتعالى من التجسيم والتشبيه الذي نفاه الله عن نفسه بقوله تعالى: ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[2]، وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾[3].

وقد استدل من يزعم ظهور المسيح الدجال أيضاً بما رواه الإمام مسلم عن فاطمة بنت قيس، والذي ذكر فيه قصة الجساسة وذكر الدجال، وهو حديث طويل جاء فيه: أن النبي ﷺ نادى إلى الصلاة جامعة، فلما انتهت الصلاة جلس على المنبر، وهو يضحك وقال: إن تميماً الداري كان رجلاً نصرانياً، فجاء فبايع فأسلم، وحدثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم عن المسيح الدجال، حدثني أنه ركب سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لخم وجذام، فلعب بهم الموج شهراً في البحر، ثم نزلوا إلى جزيرة في البحر، فلقيتهم دابة غليظة الشعر وكثيرته، لا

---

[1] –صحيح البخاري، ج4 ص86، دار إحياء التراث العربي.

[2] –سورة الأنعام: 103.

[3] –سورة الشورى: 11.

يظهر وجهها من دبرها من كثرة الشعر، فقالوا: ويلك من أنــت؟ فقالــت: أنــا الجساسة، وأمرتهم أن يذهبوا إلى رجل في الدير، فرأوا أعظم إنسان رأوه قــط خلقاً، وأشدهم وثاقاً، مجموعة يداه إلى عنقه، وما بين ركبتيه إلى كفيه بالحديــد، فقال: أخبروني عن نخل بيسان هل يثمر؟ فقالوا له: نعم، قال: أما أنه يوشك أن لا يثمر.

قال أخبروني عن بحيرة طبريا، هل فيها ماء؟ قالوا هي كثيــرة المــاء، قال: إن ماءها يوشك أن يذهب، ثم قال: إني أنا المسيح الدجال، وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج فأخرج، وأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها فــي أربعين ليلة، غير مكة ويثرب، فهما محرمتان عليّ كليهما، كلما أردت أن أدخل واحدة منها استقبلني ملك بيده السيف يصدني عنها، وإن على كل نقــب منهــا ملائكة يحرسونها، ثم قال رسول الله ﷺ : أعجبني حديث تميم أنه وافــق الــذي كنت أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة، إلا أنه في بحر الشام أو بحر اليمن، لا بل من قبل المشرق وأومأ بيده قبل المشرق"[1].

أقول: إن هذه القصة غير صحيحة وهي من الإسرائيليات، يــدل علــى ذلك ما يلي:

أولاً: ذكر هذا الحديث أن المسيح الدجال كان حياً منذ زمن الرسول ﷺ وأنه يوجد في دير في إحدى الجزر في وسط البحر، وهو مقيد في الحديد، ففي أية جزيرة من البحر هو؟ وهل يعقل أنه إلى الآن لم تستكشف تلك الجزيرة ولم يصل إليها أحد من الناس!! مع أن الإنسان، في هذا العصر، لم يبق مكان علــى الأرض إلا وصله؟؟

ثانيــاً: إن القول بأن المسيح الدجال موجود منذ زمن الرسول ﷺ وهــو مكبل بالحديد يناقض بعض الروايات، التي في صحيح مسلم نفسه، وهــي أنــه

---

[1] -انظر حديث الجساسة بتمامه في صحيح مسلم شرح النووي، ج18 ص78.

يخرج من أصبهان، وفي حديث النواس بن سمعان عند مسلم أيضاً أنه يخرج بين الشام والعراق، وروى الحاكم وأحمد أنه يخرج من خراسان، وفي رواية الطبراني والخطابي أن الدجال تلده أمه في مدينة قوص التي تقع في جمهورية مصر العربية. فأية رواية من هذه الروايات المتعددة المتناقضة هي الصحيحة عندهم؟؟

ثالثاً: إن كان موجوداً ومكبلاً بالحديد في دير في جزيرة في وسط البحر، فمن الذي كبله بالحديد ووضعه في دير في وسط الجزيرة التي تزعمون أنه يوجد فيها؟؟

رابعاً: ورد في هذا الحديث أنه يعرف مدينة ببيسان التي تقع في فلسطين، كذلك يعرف بحيرة طبريا أيضاً، وأن تميماً الداري ومن معه يعرفونها، فمن الذي عرفه بهما؟ علماً بأنه مكبل بالحديد في وسط جزيرة نائية يعيش في دير فيها.

ومن الذي يطعمه ويسقيه فيها؟ أم أنه لا يأكل ولا يشرب كالملائكة؟؟

خامساً: ورد على لسان المسيح الدجال في هذا الحديث أن نخل بيسان يوشك أن لا يثمر، وأن بحيرة طبريا يوشك ماؤها أن يذهب، فمن الذي أعلمه بهذه التنبؤات؟ على أن نخل بيسان ما زال مثمراً، وبحيرة طبريا لم يجف ماؤها وقد مضى على تنبؤاته ما ينوف على ألف وأربعمائة عام!!!

سادساً: ورد على لسان المسيح الدجال في هذا الحديث؛ أنه يوشك أن يؤذن له في الخروج فيخرج، فيسير في الأرض فلا يدع قرية إلا هبطها في أربعين ليلة، غير مكة ويثرب –أي المدينة– فكلتاهما محرمتان عليه، وأنه كلما أراد أن يدخل تَصدُّه الملائكة عنهما، حيث تقف الملائكة بالسيوف لحمايتهما!!!

أقول: فمن الذي أعلمه بأنه يوشك أن يؤذن له في الخروج من الدير ومن الجزيرة التي هو محبوس بها ومقيد بالحديد؟؟؟

ومن العجيب أن نبوءته لم تتحقق بعد، حيث لم يؤذن له بالخروج، وقد مضى عليها أيضاً ما ينوف على ألف وأربعمائة عام!!

وكيف يستطيع أن يدخل كل قرية ومدينة في القارات الخمس في مدة أربعين يوماً؟! فهل يصلهما في طائرة أو سيارة؟!!

كذلك يقال: من الذي أعلمه بأن مكة والمدينة محرم عليه دخولهما، وأنهما محروستان بملائكة قد استلت سيوفها لحراستهما، وإذا كان بعلم ذلك فلماذا يحاول دخولهما؟ وكيف يصدق مسلم أن المسيح الدجال يعلم الغيب، مع أن رسول الله ﷺ كان لا يعلم الغيب، قال الله تعالى: ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ...﴾[1] .

كما روى الإمام مسلم روايات أخرى، عن فاطمة بنت قيس نفسها، في قصة الجساسة، وهي مختلفة عن الرواية الأولى منها:

إن الرسول ﷺ وقف على المنبر، فقال: أيها النّاس حدثني تميم الداري أن أناساً من قومه كانوا في البحر في سفينة لهم، فانكسرت بهم، فركب بعضهم على لوح من ألواح السفينة، فخرجوا إلى سفينة في البحر....إلخ.

وفي رواية فينزل في السبخة فترجف المدينة ثلاث رجفات، ويخرج منها كل كافر ومنافق، وفي رواية فيأتي سبخة الجرف فيضرب رواقه، وقال: فيخرج إليه كل منافق ومنافقة.

وفي رواية منسوبة إلى أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً عليهم الطيالسة.

أقول: إن أصبهان اليوم لا يوجد فيها عشر هذا العدد من اليهود، فمتى يوجدون وعليهم الطيالسة حتى يأتي المسيح الدجال فيتبعونه؟

---

[1] –سورة الأعراف: 188

وبالنسبة لرواية فاطمة بنت قيس لقصة الجساسة، فقد ثبت أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه رد حديثها لما قالت: بت زوجي طلاقي فلم يجعل لي رسول الله ﷺ نفقة ولا سكنى، وقال: لا ندع كتاب ربنا وسنة نبينا لقول امرأة لا ندري أصدقت أم كذبت حفظت أم نسيت[1].

وهذا بالإضافة إلى اختلاف الروايات عنها في قصة الجساسة وتناقضها، تلك التي رواها الإمام مسلم، مما دل على عدم صحة روايتها عنها.

وبالنسبة للرواية التي رواها الإمام مسلم عن نواس بن سمعان، وهو حديث طويل جاء في آخره: إن الله يبعث ريحاً شديدة فتقبض كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس، فيتهارجون تهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة، أقول: إن الذي يقرأ الأحاديث التي رواها الإمام مسلم عن المسيح الدجال، يرى أن المعجزات التي سوف تظهر على يديه لم تظهر على يد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، ولا على يد أي نبي من أنبياء الله، وهي متناقضة ومختلفة فيما بينها.

فمن الأحاديث التي رواها الإمام مسلم عن المسيح الدجال أنه أعور العين اليمنى، وروى الإمام مسلم أيضاً أنه أعور العين اليسرى، وروى أن معه نهرين يجريان، أحدهما رأى العين ماء أبيض، والآخر نار تأجج، وفي رواية أن الدجال يخرج ومعه ماء ونار، فأما الذي يراه الناس ماء فهو نار تحرق، وأما الذي يراه الناس ناراً فماء بارد عذب، فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يراه ناراً فإنه ماء عذب طيب!!!

وفي رواية أخرى أيضاً لمسلم أن الرسول ﷺ وصف الدجال فقال: إن إسراعه في الأرض كالغيث استدبرته الريح، فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنوا

---

[1] -تاريخ الفقه الإسلامي، مقرر السنة الثانية على طلبة كلية الشريعة ص43 تأليف مدرسي المادة مراجعة وتدقيق فضيلة الأستاذ محمد علي السايس.

به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، فيأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم، فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة، فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل، ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزئين رمية الغرض، ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك، فبينما هو كذلك إذ يبعث الله المسيح بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق واضعاً كفيه على أجنحة ملكين ... إلخ

أقول: إن هذه الأحاديث التي ذكرها الإمام مسلم وغيره من بعض رواة الحديث في قصة المسيح الدجال وأن الله تعالى أقدره على مقدرات من إحياء الميت الذي يقتله، وأنه يأمر السماء أن تمطر فتمطر، والأرض أن تنبت فتنبت.. إلخ، هذه المعجزات لم تظهر على يد المسيح عيسى بن مريم ولا على يد غيره من الأنبياء، وهي نوع من الخرافات والأباطيل.

كما روى الإمام مسلم أيضاً أحاديث كثيرة فيها ذكر لشخص يهودي كان موجوداً في زمن الرسول ﷺ، وكان يعيش في المدينة، ورآه رسول الله ﷺ اسمه ابن الصياد، وفي بعض الروايات ابن صائد، وقد شك رسول الله ﷺ أنه هو المسيح الدجال، بل روى عن محمد بن المنكدر أنه قال: "رأيت جابر بن عبدالله يحلف بالله أن ابن صائد الدجال، فقلت أتحلف بالله؟ قال: إني سمعت عمر يحلف على ذلك عند النبي ﷺ فلم ينكره النبي ﷺ "[1].

أقول: إن من يطلع على هذه الأحاديث يدرك أنها نسبت إلى رسول الله ﷺ كذباً وافتراءً عليه، وهي من وضع اليهود والفرس والروم من أعداء الإسلام الذين غلبوا على أمرهم، ولم يجدوا أمامهم منفذاً يدسون منه على المسلمين ما يفسد عليهم دينهم إلا أن يتظاهروا بالإسلام ويضعوا أحاديث في التشبيه

---

[1] -انظر صحيح مسلم شرح النووي، ج18 ص52-53، وانظر الأحاديث التي رواها الإمام مسلم بالنسبة لابن الصياد من صفحة 46 إلى صفحة 58.

والتعطيل، وتأليف القصص من الخرافات والأباطيل التي لا يقبلها عقل الإنسان السوي، حيث سد أمامهم التحريف أو التبديل أو الزيادة أو النقصان بالنسبة للقرآن الكريم، حيث قام أبو بكر الصديق الخليفة الأول لرسول الله ﷺ بجمعه وكتابته في مصحف واحد، وتحقق وعد الله لرسوله بقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1].

أما السنة النبوية فلم يدون منها في عصر النبوة أي مدة ثلاث وعشرين سنة إلا القليل النادر، وذلك لشيوع الأمية، وخوفهم من اختلاط السنة بالقرآن، ولئلا ينصرف الناس بحفظ السنة عن حفظ القرآن. وقد روى الإمام مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ قال: "لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه..."[2].

وروى الإمام أحمد في سنده عن أبي هريرة أنه قال: خرج رسول الله ﷺ ونحن نكتب، قال: "ما هذا الذي تكتبونه؟" قلنا: أحاديث نسمعها منك، قال: "كتاب غير كتاب الله؟ ما ضل أمم قبلكم إلا لما كتبوا من الكتب مع كتاب الله"[3].

وكذلك لم يدونوا منها في عصر الخلفاء الراشدين إلا النزر اليسير، بسبب تشدد الخلفاء الراشدين في روايتها، فكان أبو بكر وعمر يطلبون من الرواة شاهداً على صدق روايته عن رسول الله ﷺ ، وكان علي يحلّف الراوي على أنه سمع ذلك عن رسول الله ﷺ .

كذلك كان عمر رضي الله عنه ينهى عن تدوينها وروايتها لئلا ينصرف الناس بحفظ السنة عن حفظ القرآن.

---

[1] –سورة الحجر: 9.

[2] –رواه الإمام مسلم –كتاب الزهد باب التثبت في الحديث رقم (3004).

[3] –رواه أحمد في مسنده 3/12-13 وصححه الشيخ شعيب الأرناؤوط محقق مسند أحمد 157/17 بشواهده.

وظل أمر عدم تدوين السنة في زمن بني أمية أيضاً حتى نهاية المائة الأولى وأوائل المائة الثانية حيث أمر الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز الذي تولى الخلافة عام 99 إلى 101هـ بتدوينها.

وبسبب عدم تدوينها والاكتفاء بالاعتماد على الذاكرة في حفظها كثر وضع الأحاديث المكذوبة على رسول الله في هذه الفترة، حيث إن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما وهو الذي عرف عنه الرغبة في جمع الحديث والجد في طلبه مع روايته يقول فيما يرويه عنه الإمام مسلم في صحيحه: "إنا كنا نحدث عن رسول الله ﷺ إذ لم يكن يكذب عليه، فلما ركب الناس الصعب والذلول[1] تركنا الرواية عنه.

وفي رواية للإمام مسلم جاء إلى ابن عباس بشير بن كعب فجعل يحدث ويقول قال رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه ولا ينظر إليه، فقال: يا ابن عباس مالي لا أراك تسمع لحديثي، أحدثك عن رسول الله ﷺ ولا تسمع!! فقال ابن عباس: إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول قال رسول الله ﷺ ابتدرته أبصارنا وأصغينا إليها بآذاننا فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف.

أقول: إذا كان هذا الوضع قد ظهر في زمن الصحابة رضوان الله عليهم مما جعل ابن عباس رضي الله عنهما يترك السماع للحديث وجمعه، فما بالك في زمن التابعين وأتباع التابعين ومن جاء بعدهم.

وقد كثر الوضع من قبل بني إسرائيل بالنسبة لتفسير الآيات ولا يخلو تفسير من التفاسير التي اعتمدت على التفسير بالمأثور من هذه الإسرائيليات وكذلك معظم كتب الحديث.

---

[1] -أصل الصعب والذلول في الإبل، فالصعب العسر المرغوب عنه، والذلول السهل المرغوب فيه، فالمعنى سلك الناس كل مسلك مما يحمد ويذم.

ومن أراد أن يطلع على بعض ذلك فليرجع إلى كتاب "الإسرائيليات في التفسير والحديث" تأليف الأستاذ الشيخ محمد السيد حسين الذهبي.

فمما قاله فضيلته: "بل لا أكون مبالغاً، ولا متجاوزاً حد الصدق إن قلت: إن كتب التفسير كلها قد انزلق مؤلفوها إلى ذكر بعض الإسرائيليات، وإن كـان ذلك يتفاوت قلة وكثرة، وتعقيباً عليها وسكوتاً عنها"[1]، وقد ذكر من هذه الكتـب تفسير محمد بن جرير الطبري، وتفسير ابن كثير، وتفسير مقاتل ابن سـليمان، وتفسير الثعالبي، وتفسير الخازن، وتفسير روح المعاني للآلوسي، وتفسير المنار للسيد محمد رشيد رضا، وذكر نماذج من الإسرائيليات التي تضمنها كل واحـد من هذه التفاسير[2].

ويقول فضيلة الأستاذ محمد حسين الذهبي، بالنسبة للإسـرائيليات فـي كتب الحديث: "إن كتب الحديث على اختلاف عصورها قد حوى بعـضها مـن أباطيل الإسرائيليات شيئاً كثيراً، وكذلك بعض كتب المواعظ التي تقـوم علـى أحاديث الرقاق..."[3].

أقول: من هذه الإسرائيليات الروايات التي تفيد نزول عيسى بعد الدجال، والتي ضعفها علماء الحديث كما يقول فضيلة الأستاذ محمود شلتوت، ومن ذهب إلى أن عيسى عليه السلام قد مات ولن يعود إلى الدنيا وهم من سبق ذكرهم.

---

[1] -الإسرائيليات في التفسير والحديث تأليف محمد الـسيد حـسين الـذهبي ص158، مـن مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية -الأزهر الكتاب الـسابع والثلاثـون سلـسلة البحـوث الإسلامية.

أقول: لما كان اليهود لهم نصيب كبير في وضع الحديث كذباً ونسبته إلى رسول الله ﷺ فـي التفسير والحديث وغلب على ما وضعه غيرهم في التفسير والحديث أطلق الذهبي وغيره من العلماء على كل ما وضع من الأحاديث والآثار لفظ الإسرائيليات.

[2] -انظر المرجع السابق من صفحة 162-275.

[3] -المصدر السابق: ص275.

ويقول ابن خلدون في مقدمته بالنسبة للمفسرين المتقدمين وأسباب دخول الإسرائيليات في تفاسيرهم: "وقد جمع المتقدمون في ذلك -أي من التفسير- وأوعبوا إلا أن كتبهم ومنقولاتهم تشتمل على الغث والسمين، والمقبول والمردود، والسبب في ذلك: أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم، وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية، إذا تشوقوا إلى معرفة شيء مما تتوق إليه النفوس البشرية في أسباب المكونات وبدء الخليقة، وأسرار الوجود، فإنما يسألون أهل الكتاب قبلهم ويستفيدونه منهم، وهم أهل التوراة من اليهود، ومن تبع دينهم من النصارى، وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم، ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب، ومعظمهم من حِمْيَر الذين أخذوا بدين اليهودية، فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية التي يحتاطون لها، مثل أخبار بدء الخليقة، وما يرجع إلى الحدثان والملاحم وأمثال ذلك، وهؤلاء مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه وعبدالله بن سلام وأمثالهم، فامتلأت التفاسير من المنقولات عندهم[1]...الخ.

وبالنسبة لوهب بن منبه وكعب الأحبار الذين كثرت رواية أهل الحديث والتفسير عنهم، والذين قال بالنسبة إليهما فضيلة الأستاذ محمود شلتوت أثناء رده على دليل من زعم نزول المسيح: "وهي فوق ذلك من رواية وهب بن منبه وكعب الأحبار وهما من أهل الكتاب الذين اعتنقوا الإسلام، وقد عرفت درجتهم في الحديث عند علماء الجرح والتعديل".

أقول: يقول الشيخ محمد رشيد رضا صاحب تفسير المنار رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾[2]، الآية تتكلم عن أشراط الساعة وأماراتها وما يتصل بها من مشكلات، ومن هذه المشكلات التي

---

[1] -مقدمة ابن خلدون ص490 طبعة المطبعة العامرية لصاحبها حسين أفندي شرف في مصر، طبعة عام 1327هـ.

[2] -تفسير المنار، سورة الأعراف: 187، ج9 ص190.

تتناولها مشكلة الروايات الواردة في شأن الدجال. وقد ذكر فيها رواية عن كعب الأحبار وناقشها، وانتهى منها بحكمه على كعب فقال: (إنّ يد بطل الإسرائيليات الأكبر كعب الأحبار قد لعبت لعبها في مسألة الدجال "في كل واد أثر من ثعلبة")[1]. وساق الشيخ رشيد رضا رواية أخرى عن كعب في شأن الدجال ثم قال: بمثل هذه الخرافات كان كعب الأحبار يغش المسلمين ليفسد عليهم دينهم وسنتهم وخدع به الناس لإظهاره التقوى)[2].

أما وهب بن منبه فقد كثرت رواياته في التفسير كما ذكر ابن خلدون.

ومن رواياتهم الغريبة العجيبة التي لا يقبلها عقل. ما أورده ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ، ونَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاء لِلنَّاظِرِينَ ﴾[3].

قال ابن كثير: (وقال وهب بن منبه: لما دخل موسى على فرعون قال له فرعون: أعرفك، قال: نعم، قال: "ألم نربك فينا وليداً" قال فرد عليه موسى الذي رده فقال فرعون: خذوه فبادر موسى "فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين" فحملت على الناس فانهزموا منها، فمات منهم خمسة وعشرون ألفاً قتل بعضهم بعضاً، وقام فرعون منهزماً حتى دخل البيت. رواه ابن جرير والإمام أحمد في كتابه الزهد، وابن أبي حاتم وفيه غرابة في سياقه والله أعلم)[4].

قال محمد رشيد رضا بالنسبة لوهب بن منبه: "إني أرجح تضعيف عمرو بن الفلاس لوهب بن منبه على توثيق الجمهور له، أنا أسوأ فيه ظناً، على ما روي من كثرة عبادته، ويغلب على ظني أنه كان له ضلع مع قومه الفرس

---

[1] -انظر المصدر السابق.

[2] -المصدر السابق.

[3] -سورة الأعراف: 107-108.

[4] -تفسير ابن كثير ج2 ص236، طبعة دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

الذين كانوا يكيدون للإسلام وللعرب، ويدسون لهم من باب الرواية من طريق التشييع، فقد ذكر الإمام أحمد: أن والده منبهاً فارسي، أخرجه كسرى إلى اليمن، فأسلم في زمن النبي ﷺ ، وأن ابنه وهباً كان يختلف من بعده إلى بلاده بعد فتحها، وههنا موضع الشبهة في الغرائب المروية عنه، وهي كثيرة، ومثله عندي كعب الأحبار الإسرائيلي، كلاهما كان تابعياً كثير الرواية للغرائب التي لا يعرف لها أصل معقول ولا منقول، وقومهما كانوا يكيدون للأمة الإسلامية العربية التي فتحت َبلاد فارس وأخلت اليهود من الحجاز. فقاتلُ الخليفةِ الثاني فارسي مرسل من جمعية سرية لقومه، وقتلة الخليفة الثالث كانوا مفتونين بدسائس عبدالله بن سبأ اليهودي، وإلى جمعية السبئيين، وإلى جمعيات الفرس ترجع جميع الفتن السياسية وأكاذيب الرواة في صدر الإسلام[1].

ويقول الأستاذ أحمد أمين في كتابه فجر الإسلام عن وهب بن منبه وكعب الأحبار إنهما منبعان في رواية القصص وفي التاريخ، وفي الحديث وفي التفسير، ثم يقول ما نصه: (فأما وهب بن منبه فيمني من أصل فارسي، وكان من أهل الكتاب الذين أسلموا، وله أخبار كثيرة وقصص تتعلق بأخبار الأول ومبدأ العالم وقصص الأنبياء وكان يقول: قرأت من كتب الله اثنين وسبعين كتاباً!! وقد توفي حول سنة 110هـ بصنعاء.

وأما كعب الأحبار أو كعب بن ماتع؛ فيهودي من اليمن كذلك، ومن أكبر من تسربت منهم أخبار اليهود إلى المسلمين، أسلم في خلافة أبي بكر أو عمر على خلاف في ذلك، وانتقل بعد إسلامه إلى المدينة ثم إلى الشام، وقد أخذ عنه اثنان هما أكبر من نشر علمه: ابن عباس -وهذا ما يعلل ما في تفسيره من إسرائيليات- وأبو هريرة، ولم يؤثر عنه أنه ألف كما أثر عن وهب بن منبه، ولكن كل تعاليمه -على ما وصل إلينا- كانت شفوية، وما نقل عنه يدل على علمه الواسع بالثقافة اليهودية وأساطيرها.

---

[1] -تفسير المنار، ج9 ص44.

جاء في الطبقات الكبرى حكاية عن رجل دخل المسجد، فإذا عامر ابن عبدالله جالس إلى كتب وبينها سفر من أسفار التوراة وكعب يقرأ[1].

وقد لاحظ بعض الباحثين أن بعض الثقات كابن قتيبة والنووي لا يروي عنه أبداً، وابن جرير يروي عنه قليلاً، ولكن غيرهم كالثعلبي والكسائي ينقل عنه كثيراً من قصص الأنبياء كقصة يوسف والوليد بن الريَّان وأشباه ذلك.

ويروي ابن جرير أنه جاء على عمر بن الخطاب قبل مقتله بثلاثة أيام، وقال له: اعْهَدْ فإنك ميت في ثلاثة أيام. قال: وما يدريك؟ قال: أجده في كتاب الله -عز وجل- في التوراة، قال عمر: إنك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة؟ قال: اللهم لا، ولكن أجد صفتك وحليتك وإنه قد فني أجلك.

وهذه القصة، إن صحت، دلت على وقوف كعب على مكيدة قتل عمر، ثم وضعها هو في هذه الصيغة الإسرائيلية، كما تدلنا على مقدار اختلاقه فيما ينقل.

وعلى الجملة فقد دخل على المسلمين من هؤلاء وأمثالهم، في عقيدتهم وعلمهم كثير كان له فيهم أثر غير صالح)[2]-انتهى كلام أحمد أمين.

ويقول أحمد أمين بالنسبة لتميم الداري:

(فقد رُوي عن ابن شهاب أن "أول من قص في مسجد رسول الله ﷺ تميم الداري، استأذن عمر أن يُذكِّر الناس فأبى عليه، حتى كان آخر ولايته فأذن له أن يذكر الناس في يوم الجمعة قبل أن يخرج عمر، فاستأذن تميم عثمان بن عفان فأذن له أن يذكر يومين في الجمعة، فكان تميم يفعل ذلك" وفي رواية

---

[1] -نقلاً عن طبقات بن سعد، 7: 79 كما يقول أحمد أمين.

[2] -أحمد أمين /فجر الإسلام ص160-161، الطبعة العاشرة 1969م دار الكتاب العربي- بيروت- لبنان.

أخرى عن الحسن أنه سئل: متى أحدثت القصص؟ قال: في خلافة عثمان، فسئل من أول من قص؟ قال: تميم الداري.

وتميم هذا كان نصرانياً من نصارى اليمن، أسلم في سنة تسع من الهجرة، وقد ذكر للنبي ﷺ قصة الجساسة والدجال[1] وكان يترهب، حتى قال عنه أبو نعيم "إنه راهب أهل عصره" وهي نزعة نصرانية بقيت عنده في الإسلام، ويذكرون أيضاً أنه أول من أسرج السراج في المسجد)[2] -انتهى كلام أحمد أمين عن تميم الداري-.

ويقول أحمد أمين: "إن أكثر من ذكرنا من منابع القصص، كتميم الداري، ووهب بن مُنبه وكعب الأحبار، من أهل الكتاب من اليمن. فما السر في ذلك، ولم كان ما يروى عن يهود اليمن في هذا النوع أكثر مما يروى عن يهود الحجاز؟. لعل السبب أن اليمن كانوا أكثر حضارة كما علمت، وقد استتبع هذا وجود مدارس يهودية أرقى مما كان ليهود الحجاز-وهذه المدارس اليمنية ثابتة تاريخياً- فكان من نتيجة ذلك انتشار الثقافة اليهودية في اليمن، بما فيها من شروح للتوراة وأساطير ونحو ذلك، على نمط أوسع مما كان ليهود الحجاز.

فلما دخل يهود اليمن في الإسلام رووا ما تعلموا فكان لهم أكبر الأثر)[3].

وقد كتب العلامة الشيخ محمد زاهد الكوثري، الذي كان وكيل المشيخة الإسلامية في دار الخلافة العثمانية، وأستاذ العلوم القرآنية في معهد التخصص في التفسير والحديث، وأستاذ الفقه وتاريخه في "القسم الشرعي من الجامعة العثمانية" كتب مقالاً عن "كعب الأحبار والإسرائيليات" ولأهمية هذا الموضوع أنقله بتمامه، قال فضيلته ما نصه:

---

[1] -نقلاً عن الإصابة 1: 191 كما ذكر أحمد أمين.

[2] -المصدر السابق: ص158-159.

[3] -المصدر السابق، ص162.

(رغب بعض أفاضل أهل العلم في بعض الأقطار الشقيقة في أن أدلي بدلوي في الجواب عن السؤال الآتي، فأبديت ما عندي في هذا الموضوع، وسقت هنا نص السؤال وجوابي عنه، وإليكم نص السؤال:

ماذا كان تأثير كعب الأحبار (اليهودي -المسلم) على أفكار وتقاليد الإسلام بما يخص الجنة والنار، كما أتت بقصة الإسراء والمعراج لمولانا ابن العباس المتداولة بين الشعب، والمثبتة بالتفسير الحديث -الجزء الثاني؟

وجوابي عنه: لم يبين السائل مراده بالتفسير الحديث، ولا وضع القصة المتداولة بين الشعب ليمكن التحدث عنهما بجلاء، فإن كان يريد بالقصة تلك القصة الطويلة التي يسردها ابن جرير وغيره في تفسير سورة الإسراء، فليس في أسانيدها كعب ولا ابن عباس، بل فيها أبو جعفر عيسى ابن ماهان الرازي المعروف بسوء الحفظ، وأبو هارون عمارة بن جوين العبدي وخالد بن يزيد بن أبي مالك المتهمان بالكذب، فلا تقوم برواياتهم الحجة، ولا سيما في مثل تلك القصة الطويلة، وليس لتلك القصة صلة بكعب من قرب ولا بعد.

على أن الجنة والنار مما أهمل ذكره في أسفار التوراة الموجودة اليوم عند اليهود، حتى عدَّ ذلك من أبرز الأدلة على التحريف في التوراة، لخلوها من أخص ما يدعو إليه رسل الله من الإيمان بالبعث بعد الموت، فلا يتصور أن يلهج كعب بنقل قصة في الجنة والنار عن كتب اليهود، بل في التلمود نص على التناسخ المناقض لدعوة رسل الله عليهم الصلاة والسلام.

وأما كلام ابن عباس رضي الله عنهما مع كعب في رؤية الله ليلة المعراج فقد أخرجه الترمذي في جامعه في تفسير سورة النجم، لكن بسند فيه مجالد بن سعيد وهو سيئ الحفظ مختلط، ولفظ الشعبي فيه لفظ لا يفيد الاتصال، ويعارضه أحاديث صحيحة.

وكعب هذا يقال له: كعب الأحبار، وكعب الحبـر، وهـو ابـن مـاتع الحميري، كان من أحبار اليهود ومن أوسعهم اطلاعاً على كتبهم، وكـان مـن المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، لأنه ولد في اليمن وأقام بها إلى أن هاجر وأسلم سنة اثنتي عشرة في زمن عمر رضي الله عنه، وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي أهل الشام، وقال: كان على دين اليهـود فأسـلم وقـدم المدينة، ثم خرج إلى الشام فسكن حمص حتى توفي بها سنة ثنتين وثلاثين فـي خلافة عثمان. وفيها أرخه غير واحد.

وقال ابن حبان في الثقات: إنه مات سنة أربع وثلاثين وقيل سنة اثنتـين وثلاثين، وقد بلغ مائة وأربع سنين.

وقد ذكر ابن سعد بطريق حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جـدعان عن ابن المسيب أن العباس قال لكعب: ما منعك أن تسلم في عهد النبي ﷺ وأبي بكر حتى أسلمت في خلافة عمر؟ قال: إن أبي كان كتب لي كتاباً من التـوراة فقال: اعمل بهذا وختم على سائر كتبه وأخذ علي بحق الوالد على الولـد أن لا أفض الختم عنها، فلما رأيت ظهور الإسلام قلت لعل أبي غيـب عنـي علمـاً، ففتحتها فإذا صفة محمد وافية فجئت الآن مسلماً 1هـ.

وفي سند هذا الخبر حماد بن سلمة، وهو مخـتلط، تحامـاه البخـاري وتحاماه مسلم أيضاً، لكن في غير روايته عن ثابت، لبقائها في ذهنه كما هي بعد الاختلاط في نقده، وفيه أيضاً علي بن زيد بن جدعان، ضعفه غير واحد.

والجمهور على توثيق كعب، لذا لا تجد له ذكراً فـي كتـب الـضعفاء والمتروكين.

وقد ذكره الذهبي في طبقات الحفاظ وترجم له ترجمة قصيرة، وتوسـع ابن عساكر في ترجمته في تاريخ دمشق. وأطال أبو نعيم في الحلية الكلام فـي

أخباره وعظاته ومجالسه وتخويفه لعمر، وذكره للجنة والنار، بإطالة، بسند فيه فرات بن السائب، من غير ذكر مصدره.

وترجم له ابن حجر في الإصابة وتهذيب التهذيب. وقد اتفقت نقاد الحديث على توثيقه. لكن البخاري روى في كتاب الاعتصام من صحيحه عن معاوية أنه ذكر كعباً وقال: كنا نبلو عليه الكذب.

وقال علي القاري في الموضوعات الكبرى (ص100 من الطبعة الهندية): "لما أراد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله تعالى، عنه أن يبني المسجد الأقصى، استشار الناس هل يجعله أمام الصخرة أم خلفها؟ فقال له كعب: يا أمير المؤمنين ابنه خلف الصخرة، فقال: يا ابن اليهودية، خالطتك يهودية، بل أبنيه أمام الصخرة حتى لا يستقبلها المصلون، فبناه حيث هو اليوم".

هكذا حال عمر دون تمكن كعب من أن يصلي إلى قبلة اليهود في مسجد المسلمين.

وقد استبطن كعب اتهام عمر إياه، حتى رئي اتصاله بالمتآمرين في اغتياله رضي الله عنه، مع سبق إنذار منه لعمر بأنه سيقتل، متظاهراً بالنقل عن كتب أهل الكتاب، وما لعمر ولكتب أهل الكتاب؟!

فلو كان الشرع الإسلامي يبيح أخذ المتهم بالظنة، لكان للقضاء الشرعي شأن مع كعب، في قضية قتل عمر رضي الله عنه.

ومن المعروف في التاريخ حمل أبي ذر إلى المدينة من دمشق بشكوى معاوية، ورد كعب في مجلس عثمان على أبي ذر في رأيه في المنع من اقتناء المال، وقول أبي ذر رضي الله عنه لكعب: يا ابن اليهودية ليست هذه من مسائلك.

ومن الثابت أيضاً منع عوف بن مالك كعباً من أن يقص إلى أن سمح له بذلك معاوية.

فتبين من تلك النبذ أن عمر وحذيفة وأبا ذر وابن عباس وعوف بن مالك ومعاوية ما كانوا يأتمنون كعباً ائتماناً كاملاً، مع رواية ابن عمر وابن عباس وأبي هريرة عن كعب بعض روايات، بالنظر إلى أن الأخبار الإسرائيلية تتبع القاعدة القاضية بتصديق ما صدقه الشرع الإسلامي وتكذيب ما كذبه، والتوقف فيما سوى ذلك. لحديث البخاري: "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون"[1]-انتهى كلام الكوثري عن كعب الأحبار-.

وقد اعتذر العلامة الكوثري عن المفسرين الذين أدخلوا الإسرائيليات في تفاسيرهم فقال: "إنهم دونوا ما يظنون به أن له نفعاً، ليتبين بعض النواحي في أنباء القرآن الحكيم، من معارف عصرهم المتوارثة من اليهود وغيرهم، تاركين أمر غربلتها لمن بعدهم من النقاد، حرصاً على إيصال تلك المعارف إلى من بعدهم؛ لاحتمال أن يكون فيها بعض فائدة في إيضاح بعض ما أجمل من الأنباء في الكتاب الكريم، لا لتكون تلك الروايات حقائق، في نظر المسلمين، يراد اعتقاد صحتها والأخذ بها على علاتها بدون تمحيص، فلا تثريب على من دوّن الإسرائيليات ما دام قصده هكذا".

ونقل عن بعض العلماء أيضاً اعتذار عن المفسرين في ملء تفاسيرهم بالإسرائيليات، بحمل قصدهم على ذلك، وضرب لذلك مثلاً بصنيع رواة الحديث حيث عنوا بادئ ذي بدء بجمع الروايات كلها، تاركين أمر التمييز بين صحاحها وضعافها لمن بعدهم من النقاد، وهذا اعتذار وجيه"[2] 1هـ كلام الكوثري.

وقال محمد رشيد رضا: "إن مثل المفسر، فيما ينقله من الإسرائيليات، كمثل رجل أمين أراد أن يطلعك على كتاب مؤلف بغير لسانك، فترجمه إلى لغة

---

[1] -العلامة محمد زاهد الكوثري، مقالات الكوثري ، مطبعة الأنوار، القاهرة، بدون تاريخ. ص31 -34.

[2] -المصدر السابق: ص34.

تفهمها لتعرف ما فيه، إن صدقاً وإن كذباً، والصدق والكذب ينسبان إلى الكتاب لا إلى الناقل"[1].

وقال الأستاذ محب الدين الخطيب: (إن مثل المفسر، فيما يجمع من الإسرائيليات، كمثل رجل النيابة يجمع كل ما يمكن أن يصل إليه من الأدلة، قويها وضعيفها، ليضعها أمام القضاء، فيختار القاضي القويَّ منها ويترك الضعيف)[2].

أقول: كما قال الأستاذ محمد السيد حسين الذهبي عند ذكره لبعض هذه الاعتذارات: وظاهر هذه الاعتذارات إنما تنفع لو كان كل المفسرين قد التزموا رواية الإسرائيليات بأسانيدها، وكان كل من ينظر فيها صالحاً للنقد والتمحيص، أما وأن أكثر من رووا الإسرائيليات قد حذفوا أسانيدها، وأكثر من ينظرون في هذه التفاسير ليسوا ناقدين، ولا قدرة لهم على التمحيص، أما والأمر كذلك، فلست أرى إلا أن هؤلاء الذين حشوا تفاسيرهم بالإسرائيليات قد وضعوا الشوك في طريق المشتغلين بتفسير القرآن الكريم، والراغبين في الوقوف على معانيه. وإذا كان سائغاً من ابن جرير الطبري، أن يعتذر عما أورده في تاريخه من الإسرائيليات بقوله: "فما يكون في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه، أو يستشنعه سامعه، من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنه لم يؤت ذلك من قبلنا، وإنما أتي من قبل بعض ناقليه إلينا، وأنا أديناه على نحو ما أُدِّيَ إلينا"[3].

إذا كان سائغاً أن يعتذر الطبري بذلك عما أورده في تاريخه، من إسرائيليات مستنكرة مستشنعة، فلا أراه سائغاً أن يعتذر بمثل هذا عما أورده من

---

[1] -تفسير المنار ج9 ص44.

[2] -في مقال للأستاذ محب الدين الخطيب، كما قال الأستاذ الذهبي ص272.

[3] -تاريخ الطبري، ج1 ص8، ط دار المعارف.

ذلك في تفسيره وإن أسنده؛ لأن تفسير كتاب الله يجب أن يجنب كل مستنكر ومستشنع.

وإذا كان التاريخ يتحمل مثل هذه الإسرائيليات فكتاب الله لا يتحملها، ولا يجوز لأحد أن يحمله إياها.

وإذا كان ابن كثير قد استباح أن يروي من الإسرائيليات في تاريخه، ما يحتمل الصدق والكذب، مما فيه بسط لمختصر عندنا، أو تسمية لمبهم ورد في شرعنا، مما لا فائدة في تعيينه لنا، فيذكره -كما يقول- على سبيل التحلي به، لا على سبيل الاحتجاج به والاعتماد عليه[1]...

إذا كان ابن كثير قد استباح رواية مثل ذلك في تاريخه، فما كان له أن يستبيح روايته في تفسيره، غافلاً عن نقده أحياناً، وهو الناقد البصير، وصاحب الحملات العنيفة على رواة المناكير والأساطير، وهو القائل في تفسيره: "وقد أكثر كثير من السلف من المفسرين، وكذا طائفة كثيرة من الخلف، من الحكاية عن كتب أهل الكتاب في تفسير القرآن المجيد، وليس بهم احتياج إلى أخبارهم، ولله الحمد والمنة"[2].

كان أولى بابن كثير أن يعزف كل العزوف عن رواية الإسرائيليات، فلا يذكر شيئاً منها على ما فيه من زيف وفساد كما هو شأنه في الأعم الأغلب، ولكنه الكمال الذي لا يدرك[3].

أقول: إن بعض كتب التفسير والتاريخ أيضاً قد نالت، ونال مؤلفوها، شهرة علمية واسعة، كابن جرير وابن كثير، فكان بعض ما فيها مادة خصبة

---

1 -البداية والنهاية لابن كثير ج1/ص6 ط السعادة.

2 -تفسير ابن كثير ج4/ص221.

3 -التفسير في الإسرائيليات والحديث، من صفحة 271-275، للأستاذ محمد السيد حسين الذهبي، مصدر سابق.

يستمد منها أعداء الإسلام، ومن مشى في ركابهم، طعونهم على الإسلام بوجه عام، وعلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والتاريخ الإسلامي بوجه خاص. وحجتهم: إن هذه رواية ابن جرير العالم الفذ، ورواية ابن كثير المحدث الحجة!! فيصعب على المسلم، غير العالم بما احتوت هذه الكتب من الإسرائيليات، الرد عليهم، مما يشكك بعض المسلمين في دينهم وفي الأحاديث المروية الصحيحة عن رسول الله ﷺ ، كما يشككهم في تاريخهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وبالنسبة لذكر فضيلة الأستاذ محمود شلتوت لدليلهم الثاني وهو زعمهم نزول عيسى ورده عليه. وهو حديث مروي عن أبي هريرة اقتصر فيه على الإخبار بنزول عيسى. وقوله للرد عليه: (إذا صح هذا الحديث فهو حديث آحاد، وقد أجمع العلماء على أن أحاديث الآحاد لا تفيد عقيدة ولا يصح الاعتماد عليها في شأن المغيبات).

أقول: مِن أكثر مَن عرف بالأخذ عن بني إسرائيل، الذين أعلنوا إسلامهم، وروايتها أبو هريرة وخاصة روايته عن كعب الأحبار.

قال الذهبي: (فقد كان أبو هريرة يحدث عن رسول الله ﷺ بما سمعه منه وعن كعب بما يحدثه به، فكان الناس يخلطون بين حديث الرسول ﷺ وحديث كعب، فقد روى مسلم بن الحجاج بسنده إلى بشر بن سعد أنه قال: "اتقوا الله وتحفظوا من الحديث، فوالله لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة فيحدث عن رسول الله ﷺ ويحدثنا عن كعب الأحبار، ثم يقوم، فأسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله ﷺ عن كعب، وحديث كعب عن رسول الله ﷺ. وفي رواية: يجعل ما قاله كعب عن رسول الله، وما قاله رسول الله عن كعب، فاتقوا الله وتحفظوا في الحديث)[1].

[1] –محمد السيد الذهبي: الإسرائيليات في التفسير والحديث ، ص129، مصدر سابق، نقلاً عن البداية والنهاية لابن كثير ج8/ص109.

أقول: ولعل الحديث الذي روي عن أبي هريرة، فيما يتعلق بنزول عيسى عليه السلام، رواه أبو هريرة عن كعب الأحبار، إلا أن الذي رواه عنه جعل رواية أبي هريرة عن كعب الأحبار خطأ كما كان يحصل في الرواية عنه. وخاصة أن كعب الأحبار كان يحدث عن بني إسرائيل.

القاعدة الفقهية تقول: إن الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال.

على أن هذا الحديث، كما قال فضيلة الأستاذ شلتوت، هو خبر آحاد لا يفيد عقيدة ولا يصح الاعتماد عليه في شأن المغيبات، كما هو مجمع عليه عند جميع العلماء.

وأما بالنسبة لدليلهم الثالث، الذي ذكره فضيلة الأستاذ محمود شلتوت ورده عليه وهو: ما جاء في حديث المعراج، من أن محمداً ﷺ حينما صعد إلى السماء، وأخذ يستفتحها واحدة بعد واحدة فتفتح له ويدخل، رأى عيسى عليه السلام هو وابن خالته يحيى، في السماء الثانية، ورده على ذلك بقوله: "ويكفينا في توهين هذا المستند ما قرره كثير من شراح الحديث في شأن المعراج، وفي شأن اجتماع محمد ﷺ بالأنبياء، وأنه كان اجتماعاً روحياً لا جسمياً، وقال: "انظر فتح الباري وزاد المعاد وغيرها".

أقول: بالنسبة لما ذكره فضيلة الأستاذ محمود شلتوت عن ابن حجر العسقلاني في فتح الباري من رؤية الرسول ﷺ لعيسى هو وابن خالته يحيى واختلاف العلماء في شأن المعراج، وفي شأن اجتماعه بالأنبياء، هل هو روحياً وجسدياً، أم روحياً لا جسدياً.

فقد قال ابن حجر ما خلاصته بعد ذكره للحديث الذي فيه قصة المعراج:

فقد اختلف في وقت المعراج فقيل كان قبل المبعث، وذهب الأكثر إلى أنه كان بعد المبعث، ثم اختلفوا فقيل قبل الهجرة بسنة، قاله ابن سعد وغيره وبه

جزم النووي، وبالغ ابن حزم فنقل الإجماع فيه، وهو مردود فإن في ذلك اختلافاً كثيراً يزيد على عشرة أقوال، ونقل هذه الأقوال، ثم ذكر اختلاف العلماء في المكان الذي كان فيه الرسول ﷺ حينما جاء جبريل بالبراق وانطلق به جبريل بالبراق الذي صعد فيه إلى السماء -كما ورد في الحديث الذي فيه قصة المعراج- قيل كان نائماً في الحطيم، وقيل في الحجر، وقيل ما بين الحجر والمقام، أو بين زمزم والحجر، وقيل إنه كان في بيته، حيث وقع في رواية الزهري عن أنس عن أبي ذر (فرج سقف بيتي وأنا بمكة) وفي رواية الواقدي بأسانيده أنه أسري به من شعب أبي طالب، وفي حديث أم هانئ عند الطبراني أنه بات في بيتها. قال: "فقدته من الليل فقال إن جبريل أتاني.

وقال ابن حجر: فإن ظاهره -أي نص الحديث- أن المعراج وقع للنبي ﷺ على ظهر البراق إلى أن صعد السماوات كلها ووصل إلى ما وصل ورجع وهو على حاله.

وليس في هذا الحديث الذي رأى فيه الأنبياء ذكر لقصة الإسراء، وقد استغرق في شرحه لقصة المعراج، وخلاف العلماء في ذلك سبع عشرة صفحة[1].

وقبل ذلك ذكر البخاري قصة الإسراء في باب مستقل. وقال ابن حجر: قال ابن دحية، أي في تعليل ذلك: جنح البخاري إلى أن ليلة الإسراء كانت غير ليلة المعراج، لأنه أفرد لكل منهما ترجمة، ثم نقل في باب حديث الإسراء اختلاف العلماء في الإسراء والمعراج؛ هل هما وقعا في ليلة واحدة، أو في ليلتين مختلفتين، وهل هما في اليقظة أم في المنام فقال: (اختلف السلف بحسب اختلاف الأخبار الواردة؛ فمنهم من ذهب إلى أن الإسراء والمعراج وقعا في ليلة واحدة في اليقظة بجسد النبي ﷺ وروحه بعد المبعث، وإلى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين، وتواردت عليه ظواهر الأخبار

---

[1] -انظر فتح الباري باب المعراج من ص201-218.

الصحيحة، ولا ينبغي العدول عن ذلك، إذ ليس في العقل ما يحيله حتى يحتاج إلى تأويله، نعم جاء في بعض الأخبار ما يخالف بعض ذلك، فجنح لأجل ذلك بعض أهل العلم منهم إلى أن ذلك كله وقع مرتين: مرة في المنام ومرة في اليقظة) ثم قال: وذهب بعضهم إلى أن الإسراء كان في اليقظة، والمعراج كان في المنام، أو أن الاختلاف في كونه يقظة أو مناماً خاص بالمعراج لا بالإسراء.

ولذلك، لما أخبر به قريشاً، كذبوه في الإسراء واستبعدوا وقوعه، ولم يتعرضوا للمعراج.

وأيضاً فإن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى﴾، فلو وقع المعراج في اليقظة لكان ذلك أبلغ في الذكر، فلما لم يقع ذكره في هذا الموضع، مع كون شأنه أعجب وأمره أغرب من الإسراء بكثير، دل على أنه كان مناماً.

وأما الإسراء، فلو كان مناماً لما كذبوه ولا استنكروه، لجواز وقوع ذلك وأبعد منه لآحاد الناس.. ذكر بعد ذلك باقي آراء العلماء[1].

أقول: مما سبق، ظهر لنا صحة ما قاله فضيلة الأستاذ محمود شلتوت، من اختلاف العلماء في شأن المعراج وفي شأن اجتماعه بالأنبياء، هل هو روحياً وجسدياً أم روحياً لا جسدياً، أي هل كان المعراج بالروح والجسد أم بالروح فقط؟

---

[1] -المصدر السابق، باب حديث الإسراء، ج1/ص196-197.

ولتوضيح حقيقة الإسراء والمعراج، هل كانا بالروح والجسد، أنقل هنا ما سبق أن بينته في ذلك في مقال لي، نشر في مجلة هدى الإسلام، والتي تصدر عن وزارة الأوقاف والمقدسات الإسلامية الأردنية بعنوان: (حقيقة الإسراء والمعراج) وهذا هو نص المقال[1]:

المسجد الأقصى كان قبلة المسلمين ومسرى الرسول محمد ﷺ ، وثاني مسجد بني على وجه الأرض، فقد روى البخاري ومسلم عن أبي ذر الغفاري قال: "سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع على الأرض فقال: المسجد الحرام، قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون عاماً".

فالمسجد الحرام والمسجد الأقصى بناهما آدم عليه السلام، فهما أول مسجدين بنيا على وجه الأرض، كما ذكر رسول الله ﷺ .

ومما يدل على أن أول بيت بني لعبادة الله هو المسجد الحرام قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾[2]، وذكر القرطبي، عن عبدالرزاق عن ابن جريج عن عطاء وابن المسيب وغيرهما، أن الله أوحى إلى آدم إذا هبطت ابن لي بيتاً ثم احفف به كما رأيت الملائكة تحف بعرشي الذي في السماء، وقال: ذكر الماوردي عن عطاء عن ابن عباس قال: "لما هبط آدم من الجنة إلى الأرض قال الله سبحانه له: يا آدم، اذهب فابن لي بيتاً وطف به، واذكرني عنده كما رأيت الملائكة تصنع حول العرش"[3].

---

[1] -مجلة هدى الإسلام ص12-20، العدد الخامس، المجلد 47، السنة 1424هـ الموافق 2003م.

[2] -سورة آل عمران: 96.

[3] -تفسير القرطبي، ج2/ص120-121.

مما سبق يظهر لنا أن آدم عليه السلام بنى الكعبة أولاً، ثم بنى المسجد الأقصى، بعد أربعين عاماً.

وقد جدد بناء المسجد الأقصى بعض الأنبياء والرسل، وممن جدد بناءه سيدنا إبراهيم عليه السلام، بعد أن نجاه الله، هو ونبي الله لوط، من كيد الكائدين في العراق، واتجها إلى الأرض المقدسة التي باركها الله منذ زمن آدم عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾[1] .

وقد أكد الله سبحانه وتعالى هذه المباركة للمسجد الأقصى، وما حوله من المدن والقرى، في آية الإسراء، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[2] ، والمباركة للمسجد الأقصى، وما حوله من المدن والقرى، هي مباركة حسية ومعنوية.

فالمباركة المعنوية هي: كونه أقيم في فلسطين ثاني مسجد على وجه الأرض، وهجرة إبراهيم عليه السلام إليها، وظهور كثير من الأنبياء فيها، ومن هؤلاء سيدنا عيسى ويحيى وزكريا عليهم السلام، ثم إسراء الرسول ﷺ إليها.

وأما المباركة الحسية: فهي جودة الطقس، وكثرة الخيرات من زروع وثمار تدوم معظم أيام السنة، لاختلاف طبيعة أرضها، من سهول وجبال ووديان.

فإسراء رسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ربطٌ بين قدسية المسجدين عند المسلمين، كما ربط بين قدسيتهما هجرة سيدنا إبراهيم عليه السلام إلى القدس، وتجديده بناء المسجد الأقصى، ثم هجرته إلى مكة وتجديد

---

[1] -سورة الأنبياء: 71.

[2] -سورة الإسراء: 1.

بناء الكعبة. وإبراهيم عليه السلام هو جد رسول الله ﷺ ومعظم الأنبياء الذين جاءوا بعده.

والمسجد الأقصى يراد به الأرض التي تقع في داخل السور، ومن ضمنها البناءان اللذان أقامهما المسلمون بعد فتحهم لبيت المقدس، والذي يطلق على أحدهما المسجد الأقصى ويطلق على الآخر مسجد الصخرة.

وعندما فتح المسلمون القدس لم يكن هناك بناء داخل السور، لأن الروم كانوا قد جعلوا في المكان قمامة وردماً، لأنه قبلة اليهود.

إلا أن المسلمين عندما فتحوا بيت المقدس في زمن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، دخل عمر القدس وتوجه إلى المكان الذي أُسري إليه رسول الله ﷺ فوجد على الصخرة ردماً كثيراً وقمامة، فنقل التراب والقمامة، وأقام عمر أمام الصخرة مسجداً. فجدد البناء الذي بناه آدم عليه السلام، ثم إبراهيم ومن جاء بعدهما من الأنبياء، وكأنه فهم من إطلاق لفظ المسجد الأقصى على ذلك المكان بأنه ينبغي على المسلمين أن يفتحوا بيت المقدس، ويعيدوا البناء الذي بناه آدم، وجدده بعض الأنبياء الذين جاءوا بعده، ليعود كما كان مكان عبادة.

ويطلق عليه المسجد الأقصى لبعده عن المسجد الحرام، ولأن الإسلام هو آخر الديانات السماوية وناسخ للديانات السماوية التي كانت قبله، فمحمد ﷺ هو آخر الأنبياء والمرسلين، وقد أرسله الله للناس كافة، ومنهم أصحاب الديانات السماوية السابقة من اليهود والنصارى، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِـي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[1] ، فالإسلام وارث للديانات السماوية السابقة وخاتم لها، كما أن محمداً

---

[1] -سورة الأعراف: 158.

عليه السلام هو خاتم الأنبياء والمرسلين، فلذلك يعتبر المسلمون هم ورثة المسجد الأقصى، الذي بدأ بناءه آدم عليه السلام ومن جاء بعده من الأنبياء والمرسلين. فهم أحق الناس بالمسجد الأقصى.

وقد أقام عبدالملك بن مروان فيما بعد البناءين القائمين، والذي يطلق على أحدهما المسجد الأقصى وعلى الثاني مسجد الصخرة. وقد أسري برسول الله ﷺ من المسجد الحرام، أي من حرم مكة -لأن مكة كلها حرم- إلى المسجد الأقصى، أي إلى المكان الذي يقع في داخل السور، يقظة بروحه وجسده، ليريه من آياته الدالة على كمال قدرته سبحانه وتعالى. وقد حصل هذا الإسراء، لرسول الله ﷺ في مكة المكرمة، في السنة العاشرة من البعثة، أي قبل الهجرة إلى المدينة المنورة بثلاث سنوات تقريباً، على أصح الروايات، وبعد رجوعه من الطائف.

ففي السنة العاشرة من البعثة توفيت زوجته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، ولم يكن قد تزوج سواها، وكان سنها حين زواجها منه نحو أربعين سنة، وكان سنه ﷺ خمساً وعشرين سنة، وقد بقيت عنده خمساً وعشرين سنة؛ خمس عشرة قبل البعثة وعشر سنوات بعد البعثة، وقد حزن على موتها حزناً شديداً. ولا غرابة في ذلك؛ فهي أول نفس زكية صدقته فيما جاء به من ربه، وقد جاء منها بأولاده كلهم ما عدا إبراهيم، ولم يتزوج عليها طوال هذه المدة. وبعد وفاء خديجة رضي الله عنها، بنحو شهر، توفي عمه أبو طالب، الذي كان يمنعه من أذى أعدائه، مع أنه لم يسلم، وكان على دين آبائه وأجداده، فحزن على موته أيضاً. وقد اشتد بعد ذلك أذى مشركي قريش لرسول الله ﷺ، فتوجه إلى قبيلة ثقيف بالطائف، يطلب منهم نصرته على قومه، ومساعدته في نشر دعوة ربه، فردوا عليه رداً قبيحاً، وأرسلوا سفهاءهم وغلمانهم يقفون في وجهه في الطريق، ويرمونه بالحجارة، حتى أدموا عقبيه، فدعا الله قائلاً: "اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب

المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني.. إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي".

فلما رجع من الطائف لم يتمكن من دخول مكة، لما علمه كفار قريش من أنه توجه إلى الطائف يستنصر بأهلها عليهم، فأرسل ﷺ إلى المطعم بن عدي يخبره أنه سيدخل مكة في جواره، فأجابه إلى ذلك وهو مشرك!! وذلك كعادة عرب الجاهلية -لا عرب اليوم- في إجارة من يستجير بهم، وتسلح هو وبنوه وتوجهوا مع رسول الله ﷺ إلى المطاف، فقال له بعض المشركين: أمجير أنت أم تابع؟ -أي مسلم- فقال: بل مجير، فقالوا: إذا لا نخفر ذمتك[1].

وبعد طوافه بالبيت ذهب ليبيت عند ابنة عمه أم هانئ بنت أبي طالب، رضي الله عنها، واسمها هند، وفي تلك الليلة حصل الإسراء لرسول الله ﷺ ، فكان هذا الأمر تكريماً من الله وتسلية لخاطره، وتعويضاً عما لقيه في الطائف من صد وجفاء وهوان، وعدم قبول أهل الطائف دعوته، وإعلاماً له بأن الله كان مطلعاً على ما حصل له، وسمع دعاءه حيث دعاه، وهو ما دل عليه قوله تبارك وتعالى في آخر آية الإسراء: ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾.

وقد روى ابن هشام في سيرته عن محمد بن إسحاق بسنده: أن أم هانئ كانت تقول بالنسبة لإسراء الرسول ﷺ : **"ما أسري برسول الله ﷺ إلا وهو في بيتي، نام عندي تلك الليلة في بيتي، فصلى العشاء الآخرة -أي صلاة العشاء، وإنما أطلق عليها العشاء الآخرة للتمييز بينها وبين صلاة المغرب- ثم نام ونمنا. فلما كان قبيل الفجر أيقظنا رسول الله ﷺ فلما صلى الصبح وصلينا معه قال: "يا أم هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيتني بهذا الوادي، ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت صلاة الغداة معكم الآن كما ترين، ثم قام ليخرج، فأخذت بطرف ردائه وقلت له: يا نبي الله، لا تحدث بهذا الناس، فيكذبوك ويؤذوك، قال: والله لأحدثنهموه، قالت: فقلت لجارية لي حبشية:**

[1] -انظر نور اليقين ص66-68.

ويحك، اتبعي رسول الله حتى تسمعي ما يقول للناس، وما يقولون لــه، فلمــا خرج رسول الله ﷺ إلى الناس أخبرهم، فعجبوا وقالوا: ما آية ذلك يا محمــد؟ فإنا لم نسمع بمثل هذا قط، قال: آية ذلك: أني مررت بعير بني فلان بوادي كذا وكذا فأنفرهم حس الدابة، فند لهم بعير فدللتهم عليه، وأنا متوجه إلى الشام ثم أقبلت حتى كنت بضَجَنان -جبل بناحية تهامة وهو على بعد خمسة وعــشرين ميلاً من مكة- ومررت بعير بني فلان، فوجدت القوم نياماً، ولهم إنــاء فيــه ماء، قد غطوا عليه بشيء فكشفت غطاءه وشربت ما فيه، ثم غطيت عليه كما كان، وآية ذلك؛ أن عيرهم الآن تصوب من البيضاء، ثنية التنعــيم، يتقــدمها جمل أورق -أي لونه بين الغبرة والسواد- عليه غرارتان، إحــداهما ســوداء والأخرى برقاء، قالت: فابتدر القوم الثنية وسألوهم عن الإناء، فأخبروهم أنهم وضعوه مملوءاً ماء، ثم غطوه وأنهم هبوا فوجدوه مغطى كمــا غطــوه ولــم يجدوا فيه ماء، وسألوا الآخرين، وهم بمكة، فقالوا: صدق والله لقد أنفرنا في الوادي الذي ذكر، وند لنا بعير فسمعنا صوت رجل يدعونا إليه حتى أخــذناه[1]. وروى مثل ذلك البزار والطبري وصححه البيهقي في (الدلائل)، كما ذكر ابــن حجر في فتح الباري[2]، وسعى رجال من مشركي قريش، بمجرد مــا أخبــرهم الرسول ﷺ بإسرائه، إلى أبي بكر لإخباره، فقال: "والله لئن كــان قالــه لقــد صدق، فما يعجبكم من ذلك؟ فوالله إنه ليخبرني أن الخبر يأتيه من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار، فأصدقه، فهذا أبعد مما تعجبون منه"[3].

مما سبق ظهر لنا، مما لا يدع مجال للشك، بأن الإسراء، الذي حــصل لرسول الله ﷺ وهو في مكة، كان بروحه وجسده.

---

[1] -السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبــدالحفيظ شــلبي، ج2/ص143-144، طبعة إحياء التراث العربي، بيروت -لبنان.

[2] -فتح الباري: ج7/ص198-200، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي.

[3] -سيرة ابن كثير، ج2، ص96.

ومن أقوى القرائن التي تدل على أن الإسراء، الذي حصل في مكة قبل الهجرة بثلاث سنوات، كان بروحه وجسده؛ آية الإسراء نفسها، فقد نزلت بعد الإسراء برسول الله ﷺ مباشرة لتأكيد حصوله وأنه كان بالروح والجسد، وقد اشتملت على أربعة أدلة:

أولاً: ابتداء الآية بقوله تعالى:﴿ سبحان﴾ وكلمة سبحان علم للتسبيح، ومعناها تنزيه الله تعالى عما لا يليق بجلاله من نقص وعجز، وفيها رد على من أنكر قدرة الله الخالق بأنه يسري بعبده محمد ﷺ في ليلة واحدة، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم يعود إلى مكة في نفس الليلة، وهي تنزيه الله عن أن يكون رسوله كذاباً.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿أسرى﴾ فكلمة أسرى مأخوذة من السُّرى وهو سير الإنسان في الليل، وهذا لا يطلق على الإنسان حقيقة إلا إذا كان الإسراء بالروح والجسد.

ثالثاً: قوله: ﴿بعبده﴾ المراد به محمد ﷺ وهو عبد الله بروحه وجسده عليه السلام.

رابعاً: قوله تعالى: ﴿ليلاً﴾ فليلاً ظرف للإسراء، وفائدة ذكره مع أن الإسراء لا يكون إلا ليلاً هو للتأكيد على حقيقة هذا الإسراء بأنه كان بالروح والجسد، ولرفع توهم المجاز، لأنه قد يطلق على سير النهار مجازاً، ولتؤكد أن هذا الإسراء لرسول الله ﷺ كان بروحه وجسده ليلاً.

كما أن من القرائن، التي تدل على أن هذا الإسراء كان لرسول الله ﷺ بروحه وجسده، سوى هذه الأدلة الأربعة التي في الآية:

أن أم هانئ رضي الله عنها، عندما أخبرها به وأراد أن يخرج أرادت أن تمنعه خوفاً أن يحدث الناس بهذا الإسراء فيكذبوه ويؤذوه، ولما أصر على أن يخبرهم بذلك، أرسلت جاريتها خلفه لترى ما يحدث له عندما يحدثهم بهذا

الإسراء، ولما عادت الجارية أخبرت أم هانئ رضي الله عنها ما حدث له، وما ذكره من الأدلة، التي تدل على حصول الإسراء له بروحه وجسده، ومع ذلك أنكروا عليه ذلك وكذبوه.

ولو كان الإسراء بالروح أو رؤيا رآها النبي ﷺ لما كان في ذلك غرابة، فالإنسان العادي يرى في المنام ما لا يصدقه الواقع ولا يخطر بخلد أحد، وقد ألف الناس في كل زمان ومكان الرؤيا الغريبة والأحلام العجيبة، ولا يسارعون إلى تكذيبها.

فهذا هو الإسراء الحقيقي لرسول الله ﷺ الذي حصل من مكة.

أما المعراج: فهو صعود النبي ﷺ إلى السموات العلا، إلى أن وصل إلى سدرة المنتهى، عندها جنة المأوى، التي يأوي إليها الملائكة وأرواح النبيين والشهداء والمقربين بعد موتهم، وعند سدرة المنتهى ينتهي صعود الملائكة في السموات العلا.

فالإسراء رحلة أرضية من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله.

والمعراج رحلة سماوية إلى السموات العلا حيث وصل رسول الله ﷺ إلى السماء السابعة حيث سدرة المنتهى.

وقد وردت قصة الإسراء وقصة المعراج في سورتين منفصلتين من القرآن الكريم.

أما بالنسبة للإسراء فقد ورد في قوله تعالى من سورة الإسراء: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[1].

---

[1] -سورة الإسراء: 1.

كما وردت قصته في حديث أم هانئ ابنة عم رسول الله ﷺحيث أسري به من بيتها، وذلك بعد وفاة خديجة رضي الله عنها، ووفاة عمه أبي طالب وذهابه إلى الطائف وصدهم له، ودخوله مكة تحت جوار المطعم بن عدي، وليس في آية الإسراء وحديث أم هانئ رضي الله عنها ذكر أو إشارة إلى معراج الرسول ﷺ إلى السموات العلا.

فيكون المعراج حصل لرسول الله ﷺ بعد هذا الإسراء، الذي نصت عليه هذه الآية، وورد ذكره في حديث أم هانئ رضي الله عنها الذي سبق بيانه.

وقد وردت الإشارة إلى المعراج في سورة النجم وهو قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى، مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى، وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى، عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى، ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى، وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى، ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى،مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى، أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى، وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى، عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى، إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى، مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى، لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾[1].

هذه الآيات تؤكد صدق الرسول في دعوته، و أن القرآن أوحي به بواسطة جبريل عليه السلام، والذي وصفه الله بأنه ملك شديد القوى، ذو حصافة في عقله ورأيه، وأن رسول الله رأى جبريل على صورته الحقيقية مرتين:

المرة الأولى: رآه في مكة وكان قريباً منه مقدار مسافة قوسين أو أدنى من ذلك.

ذكر ابن كثير عن عائشة رضي الله عنها أنه رآه في أجياد، وأنه هو المراد بقوله تبارك وتعالى: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى،مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى، أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى﴾ أي أن

---

[1] –سورة النجم: 1–18.

سيدنا جبريل قرب من سيدنا محمد ﷺ وهو على صورته الحقيقية، فـأوحى الله بواسطته ما يريد الله إيحاءه، وقال ابن كثير في تفسيره لهذه الآيـة: قـال ابـن جرير قال عبدالله بن مسعود في هذه الآية، قال رسول الله ﷺ : "رأيت جبريـل له ستمائة جناح" وروى البخاري عن الشيباني قال: سألت زراً عن قوله: ﴿فكان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾ قال: حدثنا عبدالله بن مسعود: "إن محمداً ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح".

المرة الثانية: كانت في ليلة المعراج، وهي المراد بقوله تعالى في هـذه الآية: ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى، عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ وبنـاء على ما سبق بيانه يكون الإسراء والمعراج حصل لرسول الله ﷺ فـي ليلتـين منفصلتين، في مكة المكرمة قبل الهجرة إلى المدينة.

ومما يدل على أن كلاً من الإسراء والمعراج اللذين حصلا فـي مكـة المكرمة في ليلتين منفصلتين؛ أن كلاً منهما ورد ذكره في سورة مـن القـرآن، فالإسراء ورد في سورة الإسراء، ولم تشر آية الإسراء فيه أيـة إشـارة إلـى المعراج.

والمعراج وردت الإشارة إليه في سورة النجم ولم تتعرض هي الأخرى إلى الإسراء، كما أن أم هانئ رضي الله عنها التي روت قصة الإسراء لم تـشر لا من قريب ولا من بعيد إلى أنه حصل له معراج في تلك الليلة.

وقد حصل لرسول الله ﷺ إسراء ومعراج، وهو في المدينـة المنـورة وكان كل منها رؤيا رآها في المنام.

فقد روى البخاري ومسلم عن سمرة بن جندب رضي الله عنه أنه قـال: كان رسول الله ﷺ مما يكثر أن يقول لأصحابه: "هل رأى أحد مـنكم رؤيـا؟" فيقص عليه من شاء، وأنه قال ذات غداة: "إنه أتاني الليلة آتيان وإنهما ابتعثاني،

وإنهما قالا لي انطلق، وإني انطلقت معهما" وقد ورد في هذه الرواية: أنــه رأى بعض العجائب مما قد لا يصدقه بعض الناس.

ففي هذه الرؤيا رأى عذاب من سمع القرآن ولا يعمل به، والذي ينــام عن الصلاة المكتوبة بأنه يكسر رأسه بحجر فيتدحرج أجزاء رأسه ثم يعود كما كان، ورأى عذاب من يكذب كذبة كبرى يفسد فيها بين الناس، بأنه يــشق مــن وجهه إلى قفاه، بحديدة معوجة فيشرشر دماً، ورأى عــذاب الزوانـــي، حيــث يكونون عراة تأتيهم النار من أسفل منهم فيصيحون من شدة لهبها، ورأى عذاب آكلي الربا، حيث يسبحون بنهر أحمر مثل الدم، وكلما أرادوا أن يخرجوا يلقاهم شخص واقف على طرف النهر بحجر فيعودوا كما كانوا يسبحون في هذا النهر.

كما رأى مالكاً خازن النار على شكل رجل كريه المنظر يحرك النــار ويوقدها ويسعى حولها. ورأى سيدنا إبراهيم في الجنة على شكل رجل طويل لا يكاد يرى، رأسه طويل في السماء وحوله كل مولود عاش على الفطرة كما رأى منزله في الجنة[1].

هذا الإسراء والمعراج الذي حصل لرسول الله ﷺ في المنام وهو فــي المدينة المنورة، هو المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَــةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَاناً كَبِيــراً﴾ [2]، فقد بين الله سبحانه في هذه الآية أن ما رآه رسوله محمد عليه السلام من رؤيــا عندما أسري به في المنام من غرائب وعجائب، وقد استبعدها بعــض النــاس، وكذلك شجرة الزقوم الملعون آكلها، التي ذكرها الله أنها تنبت في قــاع جهــنم؛ لتكون طعاماً لأهل جهنم، إنما كان ذلك امتحاناً للمنــافقين والكــافرين؛ ليميــز الطيب من الخبيث، وتخويفاً لهم من عقاب الله بسبب كفرهم أو معاصيهم كالزنا وأكل الربا، إلا أن ذلك لم يزدهم إلا زيادة في الــذنوب والمعاصــي، وقــالوا

---

[1] -انظر اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، ج2 ص227-231.

[2] -سورة الإسراء: 60.

منكرين لشجرة الزقوم التي تنبت في قاع جهنم: النار تحرق الشجر فكيف ينبت فيها.

وحصول الإسراء والمعراج لرسول الله ﷺ وهو في مكة، يقظةً بروحه وجسده، ثم حصول له في المدينة بعد الهجرة في المنام، سبب اختلافاً عند بعض العلماء في كيفية حصولهما.

قال ابن حجر: وقع في ذلك اختلاف، فقيل: كانا في ليلة واحدة في يقظته، وهذا هو المشهور عند الجمهور، وقيل: كانا جميعاً في ليلة واحدة في منامه، وقيل: وقعا جميعاً مرتين في ليلتين مختلفتين، إحداهما يقظة والأخرى مناماً، وقيل: كان الإسراء إلى بيت المقدس خاصة في اليقظة، وكان المعراج مناماً، إما في تلك الليلة أو في غيرها (هذه أربعة أقوال)[1]، وقال: والذي ينبغي أن لا يجري فيه الخلاف، أن الإسراء إلى بيت المقدس كان في اليقظة، لظاهر القرآن ولكن قريشاً كذبته في ذلك، ولو كان مناماً لم تكذبه فيه ولا في أبعد منه[2].

وممن زعم بأن الإسراء والمعراج كانا رؤية من الله، لرسول الله ﷺ في منامه، معاوية بن أبي سفيان، فقد روى ابن هشام في سيرته عن محمد بن إسحاق بسنده إلى معاوية بن أبي سفيان قال: كان إذا سئل عن مسرى الرسول ﷺ قال: كانت رؤيا من الله تعالى صادقة[3].

وقول معاوية هذا لا يعتمد عليه، لأنه عندما أسري برسول الله ﷺ ، من مكة بروحه وجسده، لم يكن معاوية قد أسلم؛إذ إنه أسلم مع أبيه بعد فتح مكة، أي بعد هذا الإسراء والمعراج، بما ينوف على عشر سنوات، كما أنه يخالف ما دلت عليه آية الإسراء، وما روي عن أم هانئ رضي الله عنها.

---

1 -فتح الباري ج1 ص197 كتاب الصلاة باب كيف فرضت الصلاة ص459-460.

2 _

3 -سيرة ابن هشام تحقيق مصطفى السقا ورفاقه ج2 ص40-41.

ونسب إلى السيدة عائشة أنها قالت: "ما فقدت جسد رسول الله ﷺ، ولكن الله أسرى بروحه" وهذا الخبر رواه ابن هشام عن ابن إسحاق ولكن بسند منقطع، قال حدثني بعض آل أبي بكر: أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: "ما فقدت جسد رسول الله ﷺ ولكن الله أسرى بروحه"[1]، هذا الخبر منقطع السند، لأن ابن إسحاق لم يذكر اسم من روى عنه هذا الخبر، فهو ضعيف.

كما يدل على عدم صحة نسبته إلى عائشة رضي الله عنها هو أن الإسراء الذي حصل له في مكة كان وهو نائم عند بيت ابنة عمه أم هانئ رضي الله عنها، وروايتها تؤكد أنه كان يقظة بروحه وجسده، ولم يكن رسول الله ﷺ قد تزوج بعائشة، فإنه قد عقد عليها قبل الهجرة بثلاث سنوات، ولم يتزوجها إلا بعد هجرته إلى المدينة بسنتين على الأقل، على أنه إن صح هذا الخبر، فيكون محمولاً على الإسراء والمعراج الذي ورد في حديث سمرة بن جندب، وهو أنه رأى في المنام عذاب العصاة من آكلي الربا وغيرهم، ورأى خازن النار وشجرة الزقوم.

هذه هي حقيقة الإسراء والمعراج، كما ورد ذكرهما في القرآن الكريم، وكما ورد ذكرهما في الحديث، بناء على أصح الروايات، بالنسبة لوجهة نظري، والتي نشرتها في مجلة هدى الإسلام- والله أعلم.

الروايات التي وردت في البخاري الخاصة بالإسراء والمعراج وبيان عدم صحتها:

ولكن وردت روايات أخرى، في صحيح البخاري وغيره في قصة الإسراء والمعراج، تخالف رواية أم هانئ رضي الله عنها، بل تخالف ما رواه هو والإمام مسلم عن سمرة بن جندب، مما دعى إلى الاختلاف في حقيقة

---

[1] -المصدر السابق، ج2 ص40-41.

الإسراء والمعراج وما حصل فيهما، وفي أية سنة وشهر حصلا، وهل كان ذلك قبل البعثة أو بعدها، كما نقل ذلك ابن حجر عند ذكره لقصة الإسراء والمعراج.

فقد أورد الإمام البخاري في صحيحه قصة المعراج في ثلاث روايات مختلفة ومتناقضة، يستحيل الجمع بينها، وجميعها في سندها أنس بن مالك رضي الله عنه.

الرواية الأولى: فقد أوردها في صحيحه في كتاب الصلاة في باب "كيف فرضت الصلوات في الإسراء" وهو حديث طويل جاء فيه: حدثنا يحيى بن بكير قال: حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن أنس بن مالك قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله قال: "فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل، ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بِطَست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً، فأفرغه في صدري ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء الدنيا، فلما جئت إلى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء: افتح، قال: من هذا؟ قال: هذا جبريل، قال هل معك أحد؟ قال: نعم، معي محمد ﷺ، فقال: أرسل إليه؟ قال: نعم، فلما فتح علونا السماء الدنيا، فقال رجل قاعد على يمينه أسودة، وعلى يساره أسودة، إذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل يساره بكى، فقال: مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح، قلت لجبريل: من هذا؟ قال: هذا آدم، وهذه الأسودة عن يمينه وشماله نسم بنيه، فأهل اليمين منهم أهل الجنة، والإسودة التي عن شماله أهل النار، فإذا نظر عن يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى. حتى عرج بي إلى السماء الثانية، فقال لخزنتها: افتح، فقال له خازنها مثل ما قال الأول، ففتح، قال أنس: فذكر أنه وجد في السماوات آدم وإدريس وموسى وعيسى وإبراهيم صلوات الله عليهم، ولم يثبت كيف منازلهم، غير أنه وجد آدم في السماء الدنيا، وإبراهيم في السماء السادسة.

قال أنس: فلما مر جبريل بالنبي ﷺ بإدريس قال: "مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح، قلت من هذا؟ قال: هذا إدريس، ثم مررت بموسى فقال: مرحباً

بالنبي الصالح والأخ الصالح، قلت: من هذا؟ قال: هذا موسى. ثم مررت بعيسى فقال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، قلت: من هذا؟ قال: هذا عيسى. ثم مررت بإبراهيم فقال: مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح، قلت: من هذا؟ قال: هذا إبراهيم ﷺ ، قال ابن شهاب: فأخبرني ابن حزم أن ابن عباس وأبا حبَّةَ الأنصاريَّ كانا يقولان: قال النبي ﷺ : "ثم عرج بي حتى مستوى أسمع فيه صريف الأقلام" قال ابن حزم وأنس بن مالك: فعرض الله على أمتي خمسين صلاة، فرجعت بذلك حتى مررت على موسى فقال: ما فرض الله لك على أمتك؟ قلت فرض الله على أمتي خمسين صلاة. قال: فارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك. فراجعته فوضع شطرها. فرجعت إلى موسى قلت وضع شطرها. فقال راجع ربك، فإن أمتك لا تطيق، فراجعت فوضع شطرها، فرجعت عليه، فقال: ارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك، فراجعته فقال هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لدي، فرجعت إلى موسى فقال: راجع ربك فقلت: استحييت من ربي، ثم انطلق بي، حتى انتهى إلى سدرة المنتهى، وغشيها ألوان لا أدري ما هي، ثم أُدخلتُ الجنةَ، فإذا بها حبايلُ اللؤلؤ، وإذا تُرابُها المسك"[1].

أقول: إلى هنا جاء نص الرواية، ولم تذكر رجوعه، وقد قال ابن حجر معلقاً على نص الحديث: "وقد روى هذا الحديث عن النبي ﷺ جماعة من الصحابة، وكل طرقه في الصحيحين تدور على أنس، مع اختلاف أصحابه عنه، فرواه الزهري عنه عن أبي ذر كما في هذا الباب، ورواه قتادة عنه عن مالك بن صعصعة، ورواه شريك بن أبي نمر وثابت البناني عنه عن النبي ﷺ بلا واسطة، وفي سياق كل منهم عنه ما ليس عند الآخر"[2].

---

[1] -فتح الباري لابن حجر العسقلاني تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، ومحب الدين الخطيب وعبدالعزيز بن باز، ج1 ص458-459، كتاب الصلاة باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء رقم الحديث 3049.

[2] -فتح الباري ج1 ص458-459، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء.

أي إن الروايات الثلاث في سندها أنس بن مالك رضي الله عنه، إلا أن هذه الرواية والرواية الثانية بواسطة عن رسول الله ﷺ.

أما الرواية الثالثة فهي عن أنس عن رسول الله ﷺ بلا واسطة وفي سياق كل منهم عنه ما ليس في الآخر.

أما الرواية الثانية: فقد وردت في باب المعراج، قال الإمام البخاري في صحيحه:

حدثنا هدبة بن خالد، حدثنا همام بن يحيى حدثنا قتادة عن أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه: "أن نبي الله ﷺ حدثه عن ليلة الإسراء قال: بينما أنا في الحطيم -وربما قال في الحجر- مضطجعاً، إذ أتاني آت فقد قال وسمعته يقول: فشق ما بين هذه إلى هذه، فقلت للجارود وهو إلى جنبي: ما يعني به؟ قال: من ثغرة نحره إلى شعرته -وسمعته يقول من قصه إلى شعرته- فاستخرج قلبي، ثم أُتيت بطست من ذهب مملوءة إيماناً فغسل قلبي، ثم حُشي، ثم أعيد، ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض. -فقال له الجارود: هو البراق يا أبا حمزة؟ قال أنس: نعم -يضع خطوه عند اقصى طرفه، فحملت عليه، فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء، ففتح فلما خلصت فإذا فيها آدم. فقال: هذا أبوك آدم، فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد السلام ثم قال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح. ثم صعد بي حتى أتى السماء الثانية فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به، فنعم المجيء جاء، ففتح. فلما خلصت، إذا بيحيى وعيسى، وهما ابنا خالة. قال: هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما، فسلمت، فردا، ثم قالا: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم قيل: مرحباً به فنعم

المجيء جاء. ففتح، فلما خلصت إذا يوسف قال: هذا يوسف فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح. ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء. ففتح، فلما خلصت فإذا إدريس قال: هذا إدريس فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح. ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ ، قيل وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قال: مرحباً به، فنعم المجيء جاء. فلما خلصت فإذا هارون. قال: هذا هارون فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة، فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قال مرحباً به، فنعم المجيء جاء. فلما خلصت فإذا موسى، قال: هذا موسى فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح. فلما تجاوزت بكى، قيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكي لأن غلاماً بعث بعدي، يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي، ثم صعد بي إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: نعم، قال: مرحباً به، ونعم المجيء جاء. فلما خلصت فإذا إبراهيم، قال: هذا أبوك فسلم عليه، قال: فسلمت عليه، فرد السلام، ثم قال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح. ثم رفعت إلى سدرة المنتهى، وإذا أربعة أنهار: نهران باطنان، ونهران ظاهران. فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات. ثم رفع لي البيت المعمور. ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل، فأخذت اللبن، فقال: هي الفطرة التي أنت عليها وأمتك. ثم فرضت علي الصلاة خمسين صلاة كل يوم، فرجعت فمررت على موسى، فقال: بما أمرت؟ قال: أمرت بخمسين صلاة كل يوم. قال: إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم، وإني قد جربت الناس قبلك،

وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، فرجعت، فوضع عني عشراً، فرجعت إلى موسى فقال مثله. فرجعت فوضع عني عشراً، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عني عشراً، فرجعت إلى موسى فقال مثله. فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم، فرجعت فقال مثله، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم، فرجعت إلى موسى فقال: بما أمرت؟ قلت: أمرت بخمس صلوات كل يوم، قال إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم، وإني قد جربت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، قال سألت ربي حتى استحييت، ولكن أرضى وأسلم. قال: فلما جاوزت نادى مناد: أمضيت فريضتي، وخففت عن عبادي"[1] .

الحديث الثالث: وقد ورد في كتاب التوحيد باب ما جاء في قوله عز وجل: ﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾[2]، قال البخاري حدثنا عبدالعزيز بن عبدالله حدثني سلمان عن شريك بن عبدالله أنه قال: سمعنا ابن مالك يقول ليلة أسري برسول الله ﷺ ، من مسجد الكعبة، إنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه، وهو نائم في المسجد الحرام، فقال أولهم أيهم هو؟ فقال أوسطهم: هو خيرهم، فقال أحدهم خذوا خيرهم، فكانت تلك الليلة، فلم يره حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه، وتنام عينه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء، تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم، فهؤلاء منهم جبريل، فشق جبريل ما بين نحره إلى لبته حتى فرغ من صدره وجوفه، فغسله من ماء زمزم بيده حتى أنقى جوفه ثم أتى بطست من ذهب فيه تور من ذهب محشواً إيماناً وحكمة، فحشا به صدره ولغاد يده -يعني عروق حلقه- ثم أطبقه ثم عرج به إلى السماء الدنيا،

---

[1] -فتح الباري، ج7 ص201-202، مصدر سابق.

[2] -فتح الباري، ج13 كتاب التوحيد باب 37 ما جاء في قوله عز وجل : ﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾ ص478-479 رقم الحديث 7517.

فضرب باباً من أبوابها، فناداه أهل السماء، من هذا؟ فقال جبريل، قالوا: ومن معك؟ قال: معي محمد قال: وقد بُعث؟ قال: نعم، قالوا: فمرحباً به وأهلاً، فيستبشر به أهل السماء، لا يعلم أهل السماء بما يريد الله به في الأرض حتى يعلمهم، فوجد في السماء الدنيا آدم فقال له جبريل: هذا أبوك فسلم عليه فسلم عليه، ورد عليه آدم وقال: مرحباً وأهلاً بابني، نعم الابن أنت، فإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان، فقال: ما هذان النهران يا جبريل؟ قال هذان النيل والفرات عنصرهما، ثم نظر في السماء فإذا بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فضرب يده فإذا هو مسك أذفر قال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك. ثم عرج إلى السماء الثانية، فقالت الملائكة له مثل ما قالت له الأولى، من هذا؟ قال جبريل، قالوا ومن معك؟ قال محمد ﷺ قالوا وقد بعث إليه قال نعم، قالوا مرحبا به وأهلا ثم عرج به إلى السماء الثالثة، وقالوا له مثل ما قالت الأولى والثانية، ثم عرج به إلى الرابعة، فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به إلى السماء الخامسة فقالوا له مثل ذلك، ثم عرج به إلى السادسة فقالوا له مثل ذلك، ثم عرج به إلى السماء السابعة، فقالوا له مثل ذلك، كل سماء فيها أنبياء، قد سماهم فوعيت منهم إدريس في الثانية، وهارون في الرابعة، وآخر في الخامسة لم أحفظ اسمه، وإبراهيم في السادسة، وموسى في السابعة بفضل كلامه لله، فقال موسى: رب، لم أظن أن ترفع علي أحداً، ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله، حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى، حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى، فأوحى الله فيما أوحى خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة، ثم هبط حتى بلغ موسى فاحتبسه موسى فقال: يا محمد، ماذا عهد إليك ربك، قال: عهد إلي خمسين صلاة كل يوم وليلة، قال: إن أمتك لا تستطيع ذلك، فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم فالتفت النبي ﷺ إلى جبريل، كأنه يستشيره في ذلك، فأشار إليه جبريل أن نعم إن شئت، فعلا به إلى الجبار، فقال وهو مكانه: يا رب، خفف عنا فإن أمتي لا تستطيع هذا، فوضع عنه عشر صلوات، ثم رجع إلى موسى فاحتبسه، فلم يزل يردده موسى إلى ربه حتى صارت إلى خمس

صلوات، ثم احتبسه موسى عند الخمس، فقال: يا محمد والله لقد راودت بني إسرائيل قومي على أدنى من هذا فضعفوا، فتركوه، فأمتك أضعف أجساداً وقلوباً وأبداناً وأبصاراً وأسماعاً، فارجع فليخفف عنك ربك، كل ذلك يلتفت النبي ﷺ إلى جبريل ليشير عليه ولا يكره ذلك جبريل، فرفعه عند الخامسة، فقال: يا رب، إن أمتي ضعفاء أجسادهم وقلوبهم وأسماعهم وأبدانهم فخفف عنا. فقال الجبار: يا محمد قال: لبيك وسعديك، قال: إنه لا يبدل القول لدي، كما فرضت عليك في أم الكتاب، قال: فكل حسنة بعشر أمثالها فهي خمسون في أم الكتاب، وهي خمس عليك، فرجع إلى موسى فقال: كيف فعلت؟ فقال: خفف عنا، أعطانا بكل حسنة عشر أمثالها، قال موسى: قد والله راودت بني إسرائيل على أدنى من ذلك فتركوه، ارجع إلى ربك فليخفف عنك أيضاً، قال رسول الله ﷺ يا موسى، والله استحييت من ربي مما اختلفت إليه، قال: فاهبط باسم الله قال: واستيقظ وهو في مسجد الحرام".

أقول: هذه روايات ثلاث، وردت في صحيح البخاري، أوردها ابن حجر العسقلاني في كتابه فتح الباري بشرح صحيح البخاري:

الرواية الأولى وردت في الجزء الأول من كتاب فتح الباري في كتاب الصلاة في الباب الأول منه، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء.

والرواية الثانية وردت في الجزء السابع منه في كتاب مناقب الأنصار باب المعراج.

والرواية الثالثة جاءت في الجزء الثالث عشر منه، في كتاب التوحيد باب ما جاء في قوله عز وجل ﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾، وطرقه كلها تدور على أنس بن مالك، مع اختلاف أصحابه عنه.

فرواه الزهري عنه عن أبي ذر كما في كتاب الصلاة باب كيف فرضت الصلاة، ورواه قتادة عنه عن مالك بن صعصعة كما في باب حديث المعراج،

ورواه شريك بن أبي نمر وثابت البناني عنه عن النبي ﷺ بلا واسطة، وفي سياق كل منهم عنه ما ليس عند الآخر كما قال ابن حجر[1].

فهذه الروايات مختلفة ومتناقضة، فيما بينها، يظهر ذلك لكل ذي لب لمن قرأها، وفكر فيما جاء فيها من أقوال. من ذلك:

أولاً: جاء في الرواية الثالثة التي رواها شريك عن أنس بن مالك، أن الإسراء والمعراج حصلا لرسول الله ﷺ قبل أن يوحى إليه وهو نائم!! وهو ما جاء في أول هذا الحديث قول شريك: "سمعت ابن مالك يقول ليلة أسري برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام". وقد أكد هذا في آخر الحديث: "فاستيقظ وهو في مسجد الحرام".

أقول: هذه الرواية تخالف الرواية الأولى والثانية، وما سبق بيانه، وهو أن الإسراء والمعراج كانا بعد البعثة، وأن الإسراء الذي ورد ذكره في سورة الإسراء حصل وهو يقظان، وكان بروحه وجسده وذلك كما دلت عليه الآية.

ثانياً: مسألة كيفية فرض الصلوات الخمس. فقد ورد في هذه الروايات الثلاث أن الله فرض على المسلمين، في ليلة المعراج خمسين صلاة في اليوم والليلة. وأنه عندما يكون يمر بموسى عليه السلام يحتبسه ويأمره أن يراجع ربه، ليخفف عنه وعن أمته، لأن أمته لا تستطيع ذلك، ثم يرجع الرسول ﷺ إلى ربه ويطلب منه التخفيف، فيخفف عنه وعن أمته.

ففي الرواية الأولى، المنسوب إلى أنس بن مالك أنه رواها عن أبي ذر -وكلاهما منها براء- راجع ربه أربع مرات، بناء على توجيهات موسى عليه السلام، حينما فرض الله عليه وعلى أمته خمسين صلاة، وكان في كل مرة يخفف نصفها -على أنها في المرة الثانية لا تنصف لأنه أصبح عددها خمسة وعشرين.

---

[1] -فتح الباري ج1 ص460، مصدر سابق.

وفي الرواية الثانية، المنسوب إلى أنس بن مالك أنه رواها عن مالك ابن صعصعة، فإنه راجعه خمس مرات، وقد خفض في كل مرة عشر صلوات، وعندما رجع إلى موسى في المرة الأخيرة طلب منه موسى أن يراجع ربه أيضا وقال له: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم، وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، قال: سألت ربي حتى استحييت، ولكن أرضى وأسلم. وفي الرواية الثالثة، التي رواها شريك عن أنس بن مالك، المنسوب أنه رواها عن رسول الله ﷺ -والرسول منها بريء- فكان يضع عنه كل مرة عشر صلوات أيضاً وأنه لم يزل يردده موسى إلى ربه حتى صارت خمس صلوات، ثم احتبسه موسى عند الخمس فقال: يا محمد، والله لقد راودت بني إسرائيل قومي على أدنى من هذا فضعفوا فتركوه، فأمتك أضعف أجساداً، وقلوباً، وأبداناً، وأبصاراً، وأسماعاً، فارجع فليخفف عنك ربك، كل ذلك يلتفت النبي ﷺ إلى جبريل، ليشير عليه ولا يكره ذلك جبريل، فرفعه عند الخامسة فقال: يا رب، إن أمتي ضعفاء أجسادهم وقلوبهم وأسماعهم وأبدانهم فخفف عنا فقال الجبار: يا محمد، قال: لبيك وسعديك، قال: إنه لا يبدل القول لدي، كما فرضت عليك في أم الكتاب، قال فكل حسنة بعشر أمثالها فهي خمسون في أم الكتاب وهي خمس عليك... إلخ.

أقول: كيف يقول الله عز وجل: ﴿ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد﴾ ثم يصدق بعد ذلك أن الله غير حكمه وقوله، في فرضية الصلاة، خمس مرات أو أربعاً على اختلاف بالنسبة لهذه الروايات -حتى تصبح خمساً بعد خمسين؟ بل كيف يفرض الله على هذه الأمة خمسين صلاة في اليوم والليلة، في أول الأمر، والله سبحانه يقول: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾[1]؟، وإن هذه الروايات تذكر بأنه لولا موسى وأمره له بالرجوع ومراجعة ربه في ذلك لبقيت خمسين صلاة مفروضة على هذه الأمة!!

---

[1] -سورة البقرة: 286.

والعجيب أن النبي ﷺ أطاع لأمر الله في أول تكليف له بخمسين صلاة، ثم مر بأبيه إبراهيم عليه السلام في السماء السابعة، ثم بموسى في السماء السادسة –في الرواية الثانية– فاستوقفه موسى، وسأله عما فرض الله عليه وطلب منه الرجوع، وفي كل مرة كان يطلب منه التخفيف ويطيعه الرسول ﷺ. أقول: ومن أحق بسؤال الرسول ﷺ، عما فرض عليه وعلى أمته، سيدنا إبراهيم جد هذه الأمة والذي مر به في السماء السابعة، قبل أن يمر بموسى، أم أن موسى هو الأحق بالرأفة والشفقة على هذه الأمة ؟

وهذا مما يدل على أن هذه الروايات كلها من الإسرائيليات التي دست في الحديث النبوي، فإبراهيم عليه السلام هو الأحق بالعطف على رسول الله ﷺ وعلى أمته، لأن رسالة محمد ﷺ هي استجابة لدعوة سيدنا إبراهيم، وهو الذي أسكن أباه إسماعيل وذريته عند البيت الحرام.

وهنا سؤال آخر أطرحه: كيف يقع النسخ لحكم شرعي خمس مرات في ليلة واحدة، وقبل الفعل، بل قبل التبليغ لهذه الأمة؟ وهذا مخالف لما أجمع عليه علماء أصول الفقه، الذين نصوا على أن النسخ لا يتصور قبل التبليغ بالتكاليف، وفي هذه الروايات الثلاث وقع النسخ بالنسبة لعدد الصلوات خمس مرات.

بل هناك رواية أخرى رواها الإمام مسلم عن ثابت البناني عن أنس ابن مالك أيضاً أن التخفيف كان خمساً خمساً، أي أن النسخ حصل سبع مرات لفرضية الصلاة في ليلة واحدة[1].

وهذا لا يتصوره عقل سليم، بأن يصدر هذا التبديل والتغيير من الله سبحانه في فريضة فرضها وقضى بها على عباده.

---

[1] –انظر صحيح مسلم ج1 ص99–101 باب الإسراء برسول الله ﷺ الطبعة الأولى بالمطبعة العارية في دار الخلافة العلية 1334هـ.

على أن الملوك والحكام من الناس إذا قضوا بأمر لا يتراجعون عنه، ولا يقبلون لأنفسهم مثل هذا التراجع في أمر يصدرونه لرعاياهم، فكيف نصدق بهذا التبديل والتغيير من الله في فريضة فرضها وهو العليم الخبير بعجز الناس عن القيام بأداء الخمسين صلاة في اليوم والليلة، وكيف يمكن الجمع بين التصديق بتبديل لحكمه في تلك الفريضة عدة مرات مع وجوب الإيمان بقوله تعالى:﴿ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ﴾[1] وقوله: ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[2] .

وقد ورد ما ينافي كل هذه الروايات بالنسبة للوقت الذي فرضت فيه الصلاة، وهو أن الصلاة فرضت قبل ليلة الإسراء والمعراج وهو ما سبق أن رويته عن ابن هشام وهو أن أم هانئ بنت عم رسول الله ﷺ كانت تقول: ما أسري برسول الله ﷺ إلا وهو في بيتي، نام عندي تلك الليلة، فصلى العشاء الآخرة، ثم نام ونمنا، فلما كان قبيل الفجر أيقظنا رسول الله ﷺ ، فلما صلى الصبح وصلينا معه قال: "يا أم هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي، ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه، ثم صليت صلاة الغداة معكم الآن كما ترين..."[3].

كما قال ابن حجر: "واحتج من زعم أن الإسراء وقع مفرداً بما أخرجه البزار والطبراني وصححه البيهقي في الدلائل، من حديث شداد بن أوس قال: "قلنا يا رسول الله كيف أسري بك؟ قال: صليت صلاة العتمة بمكة فأتاني جبريل بدابة" فذكر الحديث في مجيئه بيت المقدس وما وقع له فيه، قال: "ثم انصرف

---

[1] –سورة يونس: 64.

[2] –سورة ق: 29.

[3] –انظر سيرة ابن هشام تحقيق مصطفى السقا ورفاقه ج2 ص143–144، مصدر سابق.

بي فمررنا بعير لقريش بمكان كذا" فذكره ثم قال: "ثم أتيت أصحابي قبل الصبح بمكة"[1].

كذلك يقال: كيف لا تتحقق رحمة الله بعباده المسلمين، في فريضة الصلاة، إلا بعد استدراك من موسى لله سبحانه، وتوجيها منه، مع أن الله هو الرحمن الرحيم بخلقه، من غير استدراك أو توجيه من أحد؟.

كما أنه يقال: في فرضية خمسين صلاة في اليوم والليلة على كل مسلم شيء لا يطاق، والله يقول في كتابه: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾[2] فكيف يكلف الله هذه الأمة بأمر لا تطيقه، ثم يعدل عن ذلك بعد اعتراض وتوجيهات من أحد أنبيائه ورسله، والله سبحانه وتعالى عالم بخلقه وبما يطيقونه وما لا يطيقونه، ولا يحتاج إلى توجيه من أحد.

ثانياً: ورد في الرواية الثالثة، التي رواها الإمام البخاري عن أنس بن مالك، وصف هذه الأمة على لسان موسى بضعف قلوبهم وأبدانهم وأجسادهم وأبدانهم وأبصارهم وأسماعهم، وأن بني إسرائيل خير منهم في ذلك، إذ جاء فيها أن موسى قال لرسول الله ﷺ بعد أن صارت خمس صلوات، بعد أن احتبسه: "يا محمد، والله لقد راودت بني إسرائيل قومي على أدنى من هذا فضعفوا فتركوه، فأمتك أضعف أجساماً وقلوباً وأبداناً وأبصاراً وأسماعاً!! فارجع فليخفف عنك ربك" فيصدقه رسول الله في ذلك، فيرجع إلى ربه ويقول: "يا رب، إن أمتي ضعفاء أجسادهم وقلوبهم وأسماعهم وأبدانهم فخفف عنا".

أقول: هذا القول الذي جاء في هذه الرواية، في وصف الأمة الإسلامية، على لسان موسى عليه السلام، بأنها أضعف أجساداً وقلوباً وأبداناً وأبصاراً وأسماعاً من بني إسرائيل وبأنهم لا يطيقون القيام بخمس صلوات في اليوم

---

[1] -فتح الباري، ج7 ص198.

[2] -سورة البقرة: 286.

والليلة، يخالف ما ورد به وصفهم في التوراة التي نزلت على موسى كما ذكر الله. ذلك: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ﴾[1] .

فهذا كلام مفترى على سيدنا موسى عليه السلام، وهو من وضع اليهود، ومن الإسرائيليات التي اشتملت عليها معظم كتب الحديث والتفسير، والتي ينبغي على العلماء المسلمين المخلصين تبيينها.

كما أن هذا الكلام يتناقض مع قوله تعالى في وصف الصحابة رضوان الله عليهم بقوله تعالى: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ﴾[2] .

فقد وصف الله سبحانه صحابة رسول الله بالقوة والشدة، وأن الواحد منهم يغلب عشرة من الكافرين، ومنهم بنو إسرائيل، فكيف يأتي في هذا الحديث بأنهم أضعف أجساداً وقلوباً وأبداناً وأبصاراً وأسماعاً من بني إسرائيل، وذلك على لسان موسى، ويصدقه رسول الله ﷺ في دعواه؟ اللهم إن هذا افتراء على موسى وعلى سيدنا محمد صلى الله عليهما.

وبعد بيان عدم صحة فرض خمسين صلاة وتنزيلها إلى خمس، ووصف الأمة الإسلامية بالضعف في أجسادهم وقلوبهم وأبدانهم وأبصارهم وأسماعهم وأنهم أضعف من بني إسرائيل، لأن ذلك يخالف ما ورد في كتاب الله في وصفه صحابة رسول الله، فبعد بيان بطلان هذين الأمرين أبين عدم صحة أمور أخرى وردت في هذه الأحاديث.

---

[1] -سورة الفتح: 29.

[2] -سورة الأنفال: 65.

ثالثاً: ورد في رواية شريك، عن أنس بن مالك أيضاً، أن رسول الله ﷺ رأى الله ببصره عند سدرة المنتهى، وأن الله سبحانه دنا منه وتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى.

أقول: إن ما ورد في هذا الحديث وهو أن سيدنا محمد ﷺ رأى الله، مناقض لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[1]، كما أنه يناقض قوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[2].

ونقل ابن حجر في فتح الباري قول الخطابي في إنكاره لصحة هذا الحديث، وهو قول ابن حجر: "قال الخطابي ليس في هذا الكتاب -يعني صحيح البخاري- حديث أشنع ظاهراً ولا أشنع مذاقاً من هذا الفصل، فإنه يقتضي تحديد المسافة بين أحد المذكورين وبين الآخر، وتمييز مكان كل واحد منهما، هذا إلى ما في التدلي من التشبيه والتمثيل له بالشيء الذي تعلق من أعلى إلى أسفل، قال: فمن لم يبلغه من هذا الحديث إلا هذا القدر مقطوعاً عن غيره، ولم يعتبره بأول القصة وآخرها، اشتبه عليه وجهه ومعناه، وكان قصاراه ما ردَّ الحديث من أصله، وأما الوقوع في التشبيه وهما خطآن مرغوب عنهما، وأما من اعتبر أول الحديث بآخره فإنه يزول عنه هذا الإشكال، فإنه مصرح فيهما بأنه كان رؤيا لقوله في أوله" وهو نائم" وفي آخره" استيقظ"، وبعض الرؤيا مثل يضرب ليتأول على الوجه الذي يجب أن يصرف إليه معنى التعبير في مثله، وبعض الرؤيا لا يحتاج إلى ذلك بل يأتي كالمشاهدة.

قال: قلت: وهو كما قال، ولا التفات إلى من تعقب كلامه بقوله في الحديث الصحيح، أن رؤيا الأنبياء وحي فلا يحتاج إلى تعبير، لأنه كلام من لم

---

[1] -سورة الأنعام: 103.

[2] -سورة الشورى: 51.

يمعن النظر في هذا المحل، فقد تقدم في "كتاب التعبير أن بعض مرأى الأنبياء يقبل التعبير، وتقدم عن أمثلة ذلك قول الصحابي له ﷺ في رؤية القميص فما أولته يا رسول الله؟ قال: الدِّين[1]، وفي رؤية اللبن؟ قالوا: وما أولته يا رسول الله؟

قال: العلم[2] إلى غير ذلك، لكن جزم الخطابي بأنه كان في المنام متعقب بما تقدم تقريره قبل.

ثم قال الخطابي مشيراً إلى رفع الحديث من أصله: بأن القصة بطولها إنما هي حكاية يحكيها أنس من تلقاء نفسه لم يعزها إلى النبي ﷺ ، ولا نقلها عنه، ولا أضافها إلى قوله، فحاصل الأمر في النقل أنها من جهة الراوي؛ إما من أنس وإما من شريك، فإنه كثير التفرد بالألفاظ التي لا يتابعه عليها سائر الرواة[3]. انتهى كلام الخطابي.

كما أنكرت عائشة رضي الله عنها عندما سئلت عما ورد في هذا الحديث، أن رسول الله ﷺ رأى ربه، فقد روى الإمام أحمد عن عامر قال: أتى مسروق عائشة فقال: يا أم المؤمنين هل رأى محمد ﷺ ربه عز وجل؟ قالت:

---

[1] -أقول: حديث رؤيا القميص ورد في البخاري في باب القميص في المنام، وهو ما رواه أبو سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ : "بينما أنا نائم رأيت الناس يعرضون علي وعليهم قميص، منها ما يبلغ الثدي، ومنها ما يبلغ دون ذلك، ومر على عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره، قالوا وما أولته يا رسول الله؟ قال: "الدّين" وقد وراه البخاري بإسنادين مختلفين عن أبي سعيد الخدري.

[2] -أقول: تفسير اللبن بمعنى العلم؛ هو ما رواه عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: بينما أنا نائم أتيت بقدح لبن فشربت منه حتى أني لأرى اللبن يخرج من أطرافي: فأعطيت فضلي عمر بن الخطاب، فقال من حوله: فما أولت ذلك يا رسول الله؟ قال: العلم" رواه البخاري في كتاب التعبير باب إذا جرى اللبن في أطرافه أو أظافره، أقول: وفي كتاب التعبير للبخاري كثير من التعبير من رؤيا الأنبياء.

[3] -فتح الباري: ج13 ص483.

سبحان الله، لقد قفّ شعري لما قلت؟ أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب؛ من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت: ﴿ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾ ، ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ﴾ ومن أخبرك أنه يعلم ما في غد فقد كذب، ثم قرأت: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾[1]، ومن أخبرك أن محمداً قد كتم فقد كذب، ثم قرأت: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[2] ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين"[3].

وروى الإمام أحمد أيضاً عن مسروق قال: كنت عند عائشة فقلت: أليس الله يقول: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾[4] ، ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾[5]، فقالت: أنا أول هذه الأمة سألت رسول الله ﷺ عنها. فقال: "إنما ذلك جبريل، لم يره في صورته التي خلق عليها إلا مرتين"، رآه منهبطاً من السماء إلى الأرض ساداً عظم خلقه ما بين السماء والأرض" وذلك في أجياد، ومرة عند سدرة المنتهى.[6]

وفي صحيح مسلم عن أبي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ فقال: "نور أنى أراه؟" وفي رواية: "رأيت نوراً"[7]. وروى البخاري في صحيحه عن الشيباني قال: سألت زراً عن قوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾[8] قال: حدثنا عبدالله بن مسعود أن محمداً ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح، قال ابن كثير بعد أن ذكر ذلك: فعلى ما ذكرناه يكون

---

[1] -سورة لقمان: 34.

[2] -سورة المائدة: 67.

[3] -أخرجه الإمام أحمد، انظر: مختصر ابن كثير ج3 ص399 تفسير سورة النجم.

[4] -سورة التكوير: 23.

[5] -سورة النجم: 13.

[6] -مختصر ابن كثير، ج3 ص399.

[7] -المرجع السابق: ج3 ص398-399.

[8] -سورة النجم: 9-10.

قوله ﴿ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ معناه فأوحى جبريل إلى عبدالله محمد ما أوحى، أو فأوحى الله إلى عبده محمد ما أوحى بواسطة جبريل، وكلا المعنيين صحيح[1].

أقول: هذه الرواية الثالثة التي رواها البخاري في صحيحه، فمع مخالفتها لكتاب الله، ولما روي عن عائشة رضي الله عنها وعن أبي ذر، وعبدالله بن مسعود، فهي مخالفة للرواية الأولى والثانية التي رواها البخاري نفسه أيضاً عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

رابعاً: بالنسبة للزمن الذي حصل فيه الإسراء والمعراج: إن رواية البخاري عن أنس بن مالك عن أبي ذر رضي الله عنهما أنهما كانا بعد البعثة، وكذلك رواية أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما، أما رواية شريك بن عبدالله عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ فإن المعراج كان قبل أن يوحى إليه!!!

أقول: هذا أمر شاذ غريب لا يصدقه عقل إنسان، سواء كان يقظة أو في المنام فلذلك أنكرها كثير من العلماء.

قال ابن حجر في شرحه للبخاري: (وقد أنكر هذه الرواية الخطابي وابن حزم وعبدالحق والقاضي عياض والنووي) وقال ابن حجر في شرحه لصحيح البخاري: (وقد اختلف في وقت المعراج، فقيل كان قبل المبعث، وهو شاذ، إلا أن يجعل على أنه وقع حينئذ في المنام).

وقال: وذهب الأكثرون إلى أنه كان بعد المبعث، ثم اختلفوا؛ فقيل قبل الهجرة بسنة، قاله ابن سعد وغيره وبه جزم النووي، وبالغ ابن حزم فنقل الإجماع فيه، وهو مردود، فإن في ذلك اختلافاً كثيراً يزيد على عشرة أقوال، منها ما حكاه ابن الجوزي أنه كان قبلها بثمانية أشهر، وقيل بستة أشهر، وحكى

---

[1] -المرجع السابق: ج3 ص398.

هذا الثاني أبو الربيع ابن سالم، وحكى ابن حزم مقتضى الذي قبله لأنه قال: كان في رجب سنة اثنتي عشرة من النبوة، وقيل بأحد عشر شهراً جزم به إبـــراهيم الحربي حيث قال: كان في ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة، ورجحه ابن المنير في شرح السيرة لابن عبدالبر، وقيل قبل الهجرة بسنتين وشهرين حكاه ابن عبدالبر، وقيل قبلها بسنة وثلاثة أشهر حكاه ابن فارس، وقيل بسنة وخمسة أشـــهر قالـــه السدي، وأخرجه من طريق الطبري والبيهقي، فعلا هذا كان في شوال، أو فـــي رمضان على الغاء الكسرين منه، وفي ربيع الأول وبه جزم الواقـــدي، وعلـــى ظاهره ينطبق ما ذكره ابن قتيبة وحكاه ابن عبدالبر أنه كان قبلها بثمانية عـــشر شهراً، وعن ابن سعد عن ابن أبي سبرة أنه كان في رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهراً، وقيل: كان في رجب، حكاه ابن عبدالبر وجزم بـــه النـــووي فـــي الروضة، وقيل قبل الهجرة بثلاث سنين حكاه ابن الأثير، وحكى عياض وتبعـــه القرطبي والنووي عن الزهري أنه كان قبل الهجرة بخمس سنين ورجحه عياض ومن تبعه)[1].

خامساً: بالنسبة للمكان الذي حصل منه الإسراء والمعراج: رواية أنـــس ابن مالك عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال: "فرج عن سقف بيتي وأنـــا بمكـــة فنزل جبريل" أي إن المعراج كان من بيت رسول الله ﷺ . ورواية أنـــس بـــن مالك عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه أنه كان في الحطـــيم، وقيـــل فـــي الحجر، عندما كان مضطجعاً، وأن الذي جاءه كان جبريل بمفرده.

أما رواية شريك، عن أنس بن مالك، فإن الإسراء والمعراج حصل لـــه عندما كان نائماً في المسجد الحرام، وأن الذين جاءوا إليه كانوا ثلاثـــة ولـــيس جبريل بمفرده، وفي رواية الواقدي بأسانيده أنه أسري به من شعب أبي طالب،

---

[1] -فتح الباري: ج7 ص203، ترتيب محمد فؤاد عبدالباقي وإخراج محب الـــدين الخطيـــب، المطبعة السلفية.

وفي حديث أم هانئ عند الطبري أنه بات في بيتها، قال: "ففقدته من الليل فقال إن جبريل أتاني".

فأي رواية من هذه الروايات هي الصحيحة؟

وفي رأيي -كما سبق بيانه- هي رواية أم هانئ بنت عم رسول الله ﷺ، وهي ليست من الروايات الثلاث التي رواها الإمام البخاري.

سادساً: بالنسبة لحادثة شق الصدر، واختلاف الروايات بالنسبة للمكان والزمان الذي حصل فيها:

فرواية أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة أن عملية شق الصدر كانت في الحطيم أو الحجر، وأن جبريل شق ما بين نحره إلى أسفل بطنه، وأنه استخرج قلبه، وأتى بطست مملوءة إيماناً فغسل قلبه، ثم حشي ثم أعيد. أي إن الذي حُشي قلبه، بعد أن استخرج من صدره وحشي إيماناً فقط، ولم يحش حكمة كما ورد في الرواية الأولى.

وأما رواية شريك عن أنس بن مالك فإن العملية حصلت عند بئر زمزم وليست في الحطيم، بل بعد أن حملته الملائكة إليه، وأن الذي تولى العملية جبريل عليه السلام، حيث شق جبريل ما بين نحره إلى لبته حتى فرغ إلى صدره وجوفه، فغسله من ماء زمزم بيده حتى أنقى جوفه، ثم أتى بطست من ذهب فيه تَوْر من ذهب محشُواً إيمانا وحكمة، فحشى به صدره، ولغاد يده - يعني عروق حلقه- ثم أطبقه.

أقول: حادثة شق الصدر، التي جاءت في هذه الروايات، مختلفة متناقضة، حيث ذكرت إحداها أنها كانت في بيته، وذكرت أخرى أنها كانت في الحجر، وذكرت الثالثة أنها كانت عند بئر زمزم.

أقول: في حادثة شق الصدر، ذكر ابن حجر أنها حصلت له أربع مرات: الأولى: وهو صغير عند مرضعته حليمة السعدية. فقد روى الإمام مسلم

عن أنس بن مالك أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: "أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه، فاستخرج منه علقة، فقال هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ماء زمزم، ثم لأَمَهُ، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه -يعني ظئره- فقالوا إن محمداً قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون، قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره"[1].

الثانية: كان ليلة المعراج وقال: كان لاستعداده التلقي الحاصل له في تلك الليلة.

الثالثة: رواها الطيالسي والحارث في مسنديهما في حديث عائشة أن الشق وقع مرة أخرى عند مجيء جبريل له بالوحي في غار حراء -والله أعلم-.

الرابعة: حدثت له وهو ابن عشر أو نحوها، في قصة له مع عبدالمطلب، أخرجها أبو نعيم في الدلائل.

أقول: إن مسألة شق الصدر وحشو قلب النبي ﷺ بالإيمان والحكمة، أو حشو قلبه بالإيمان، أو أنه حُشي صدره وجوفه وعروق حلقه ينافي قول الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا، قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾[2]، فهذه الآيات تدل على أن الله سبحانه وتعالى قد خلق الإنسان بريئاً طاهراً في بدايته من عيوب الزيغ والانحراف، كما يدل على ذلك ما روي عن رسول الله ﷺ في الحديث القدسي وهو قول الله تعالى فيه: "وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم"[3].

---

[1] -انظر فتح الباري: ج1 ص460. أو صحيح مسلم ج1 ص101-102.

[2] -سورة الشمس: 7-10.

[3] -رواه الإمام مسلم، الأحاديث القدسية طبعة وزارة الأوقاف في مصر رقم الحديث: 13 ص26.

ويؤيد ذلك أيضاً قول الرسول ﷺ : "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه". كما يناقض ذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾[1] ، فكيف يجعل للشيطان بعد ذلك حظاً يسكنه في صدور المؤمنين بمن فيهم النبي ﷺ ؟ وكيف أخرج حظ الشيطان من قلبه أو صدره وتركه في قلوب عباده المؤمنين؟

فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يقول له رسول الله ﷺ: أيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً قط إلا سلك فجاً غير فجك"[2]، فهل عمر بن الخطاب رضي الله عنه حصل له شق الصدر كما حصل لرسول الله ﷺ أربع مرات، أو غسل صدره وقلبه بماء زمزم وحُشيَ إيماناً وحكمة، أم أنه تغلب على الشيطان بدون ذلك؟ بخلاف الرسول ﷺ لم يخرج حظ الشيطان منه إلا بهذه العمليات الأربع؟

أعتقد أنه لا يقدر أحد أن يقول ذلك، إلا من نسي قدر الله وجلاله ورعايته لرسول الله ﷺ منذ ولادته، بل قبل أن تلده أمه.

وكيف يتصور أن الإيمان والحكمة لم يستقرا في قلب النبي ﷺ إلا حشواً وتفريغاً لما جاء بالطست من الجنَّة، أما المؤمن العادي فيكسبه تأملاً وتفكيراً ودراسة واطلاعاً وتوفيقاً من الله سبحانه؟!!!.

سابعاً: بالنسبة لرؤية الرسول ﷺ لأنبياء الله في السماء موزعين، بعضهم في السماء الدنيا، وبعضهم في السماء الثانية وبعضهم في السماء الثالثة... إلخ.

أقول: ورد في رواية شريك عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن موسى في السماء السابعة، أي أن منزلته أعلى من منزلة جميع الأنبياء بمن فيهم

---

[1] -سورة الحجر: 42.

[2] -رواه البخاري: انظر فتح الباري ج7 ص41 باب مناقب عمر بن الخطاب.

إبراهيم وآدم وعيسى عليهم السلام، وعندما مرّ عليه رسول الله ﷺ ، حيث علا به فوقه قال: "رب، لم أظن أن ترفع علي أحداً" !!

أما رواية أنس عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه وروايته عن مالك بن صعصعة فقد ذكر فيهما أن موسى في السادسة وإبراهيم في السابعة.

وإذا كان سيدنا إبراهيم عليه السلام في السابعة وموسى في السادسة، فلم لم يحبسه إبراهيم عليه السلام ويطلب منه أن يرجع إلى ربه ويسأله التخفيف في عدد ما فرض عليه وعلى أمته بدل سيدنا موسى؟ فأيهما كان أحق بالطلب من سيدنا محمد ﷺ أن يراجع ربه ويطلب منه التخفيف؟ هل سيدنا إبراهيم الذي هو ينتسب إليه ورسالته هي دعوته لربه عندما أسكن ابنه إسماعيل وذريته عند البيت الحرام وهو قوله: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾[1] أم سيدنا موسى عليه السلام؟!!.

كذلك يقال: إن الروايتين تتعارضان لما رواه البخاري ومسلم أيضاً، في قصة الإسراء والمعراج، عن سمرة بن جندب أن رسول الله ﷺ رأى سيدنا إبراهيم في الجنة، فأي رواية من هذه الروايات الثلاث هي الصحيحة؟ كما يقال: من المعلوم أن جميع الأنبياء ماتوا ودفنوا في الأرض كغيرهم من بني آدم، وأن أرواحهم هي التي ترفع إلى السماء عند ربهم في عليين، فكيف يكون كل واحد منهم يجلس في سماء خاصة به؟

ثامناً: بالنسبة لما نسب أن أنساً روى عن أبي ذر أن محمداً ﷺ رأى آدم، وعن يمينه أرواح بني آدم أهل الجنة، وعن شماله أرواح أهل النار، وأنه إذا نظر إلى شماله فرأى أهل النار بكى.

---

[1] –سورة البقرة: 129.

أقول: ظاهر هذه العبارة أن أرواح بني آدم من أهل الجنة والنار في السماء! وهذا معارض ما جاء أن أرواح الكفار في سجين وأن أرواح المؤمنين منعمة في الجنة، فكيف يكون أرواح الكفار وأرواح المؤمنين في السماء الدنيا كما ورد في هذا الحديث؟.

ويدل على عدم وجود أرواح الكفار في السماء الدنيا قوله تبارك وتعالى عن الكفار: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً﴾[1] ، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء﴾[2] فالآية تقرر بأن أرواح الكفار لا تفتح لهم أبواب السماء، كذلك لا تقبل أعمالهم. فهذا الحديث، وهو حديث آحاد، لا يفيد إلا الظن، وهو يتعارض مع ما ورد في هاتين الآيتين اللتين تفيدان القطع، فلذلك فالحديث مردود.

كذلك ما ورد في هذا الحديث "وإذا نظر قبل شماله بكى" أي أن آدم عليه السلام كان يبكي وهو في السماء الدنيا.

أقول: إن آدم عليه السلام يتنعم بنعيم الله وفضله مع النبيين والشهداء والمقربين، وهم ممن قال الله فيهم: ﴿فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[3] فبكاؤه وحزنه يناقض ما ورد في هذه الآية، التي ذكر الله فيها حال المؤمنين بعد موتهم بأنه لا يصيبهم الحزن بعد موتهم، فهم من باب أولى لا يبكون.

تاسعاً: ما ورد في رواية شريك عن أنس بن مالك قول موسى: "رب لم أظن أن ترفع عليّ أحداً، ثم علا به –أي برسول الله ﷺ – بما لا يعلمه إلا الله حتى جاء سدرة المنتهى..." أي أن موسى اعترض على خالقه تفضيل سيدنا محمد عليه، حيث رفعه أعلى درجة منه، فهذا لا يليق بنبي من أنبياء الله، فهي

---

[1] –سورة غافر: 46.

[2] –سورة الأعراف: 40.

[3] –سورة البقرة: 38.

منافسة رخيصة واعتراض سخيف لا يصدر إلا من سفهاء الناس، فكيف ينسب ذلك إلى سيدنا موسى عليه السلام.

بل ورد في الرواية الثانية وهي رواية أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة أن موسى بكى عندما تجاوزه النبي ﷺ ، فقد جاء فيه: (...فلما تجاوزت بكى، قيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكي لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي)[1].

عاشراً: بالنسبة بأن جبريل عليه السلام -كما جاء في الروايات الثلاث- كان يطرق باباً باباً من أبواب السماوات السبع، وذلك حتى يفتح له.

أقول: كيف يصدق أن جبريل عليه السلام، ملك الوحي الذي بواسطته يوحى لأنبياء الله، حيث ينزل إليهم صباح مساء بالوحي عليهم، من قبل الله سبحانه، ومنهم رسول الله ﷺ يحتاج إلى إذن في كل سماء من حراسها؟ وذلك عندما كان معه رسول الله ﷺ ، ولا يفتح له حتى يسأل بوابها من الطارق ومن معه؟ مع أن أبواب السماء هي أبواب الله الملك القوي الجبار، الذي لا يخشى عدواناً عليه أو على سماواته؟

بل وكيف يجعل الله لها حراساً وبوابين يحمونها من الداخل غير آمن على نفسه وجميع المخلوقات عبيد له؟ فهل يحتاج الله لإغلاقها لحمايتها من مقتحم غاشم بلا إذن كأبواب الملوك والأغنياء الخائفين على ما يملكون من سلطان وأموال؟!!!.

الحادي عشر: بالنسبة لما ورد في رواية شريك عن أنس بن مالك أن النيل والفرات؛ أن عنصرهما أي أصلهما في السماء الدنيا. وهو ما ورد في هذا الحديث: "فإذا هو -أي رسول الله ﷺ عندما كان في السماء الدنيا- بنهرين يطردان فقال: ما هذان النهران يا جبريل؟ قال: هذان النيل والفرات عنصرهما".

---

[1] -فتح الباري، ج7 صفحة 202، مصدر سابق.

وورد في حديث أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة أن النيل والفرات عند سدرة المنتهى، أي فوق السماء السابعة، فقد ورد فيه قال: -أي قال جبريل- (هذه سدرة المنتهى، وإذا أربعة أنهار؛ نهران باطنان، ونهران ظاهران، فقلت: -أي رسول الله- فما هذان يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات".

أقول: هاتان الروايتان، في قصة الإسراء والمعراج، ظاهرتا التناقض فيما بينهما، كما أنه لا يعقل أحد أو يصدق أن النيل والفرات أصلهما في السماء.

والخلاصة: إن الرواية الصحيحة، في قصة الإسراء، هي ما روته أم هانئ بنت عم الرسول ﷺ حيث كان الإسراء من بيتها. وإن قصة الإسراء والمعراج هي ما سبق أن بينته ونشرته في مجلة هدي الإسلام التي تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية[1] والذي ليس فيه لقاء النبي ﷺ مع سيدنا عيسى وبعض النبيين في السماء، مما يثبت بطلان الدليل الثالث، الذي استدل به من زعم نزول عيسى في آخر الزمان، حيث يستدلون بنزوله في قصة الإسراء والمعراج كما قال فضيلة الأستاذ محمود شلتوت الذي رد على جميع أدلتهم، بناء على تكليف من هيئة كبار العلماء التي كانت قائمة في الأزهر قبل الثورة المصرية، وبين بطلانها.

ومن الأدلة التي استدل بها من يزعم نزول عيسى في آخر الزمان وأنه لم يمت، ولم يذكرها فضيلة الأستاذ محمود شلتوت ويرد عليها، قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾[2] قالوا بأن الضمير في قوله ليؤمنن به وفي قوله "قبل موته" يعود إلى عيسى، وبذلك يكون معنى الآية-على رأيهم- لا يبقى أحد من أهل الكتاب، وهم اليهود والنصارى، إذا نزل عيسى إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى ، وأنه إذا نزل آمن به جميع اليهود

[1] -مجلة هدي الإسلام المجلد 47 السنة 1424 هـ الموافق2003م.

[2] -سورة النساء: 159.

والنصارى!! وعلى هذا تكون الآية خاصة باليهود والنصارى، الذين يدركون نزول عيسى، فهم قد خصصوها بهم.

وللرد على هذا الدليل أقول: إن هذه الآية عامة تشمل جميع أهل الكتاب، وليس هناك من دليل لتخصيصها بمن زعمتم، فإن معناها كما جاء في معظم التفاسير، ومنها التفسير المنتخب الذي وضعته لجنة القرآن والتفسير في وزارة الأوقاف المصرية هو:"وما من أحد من أهل الكتاب إلا ليدرك حقيقة عيسى قبل موته، وأنه عبدالله ورسوله، ويؤمن به إيماناً لا ينفعه لفوات أوانه، ويوم القيامة يشهد عليهم عيسى بأنه بلغ رسالة ربه وأنه عبدالله ورسوله"[1].

وجاء في المصحف الميسر، لفضيلة الشيخ عبدالجليل عيسى شيخ كليتي أصول الدين واللغة العربية سابقاً، في تفسير الآية: "إنْ" حرف نفي بمعنى ليس، أي ليس أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى على الوجه الصحيح، وهو أنه رسول لا كذاب، كما يقول اليهود، ولا ابن إله، كما يقول النصارى، وهذا يحصل لكل واحد عندما يشرف على الموت وينكشف عنه الغطاء"[2].

وكذلك استدلوا بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾[3] فقالوا: إن نزول عيسى علامة على قرب يوم القيامة.

للرد على هذا الدليل أقول: إن معظم المفسرين فسروها خلاف ذلك، فقد جاء في المنتخب في تفسير القرآن في تفسير هذه الآية: "وإن عيسى، بحدوثه بدون أب وإبرائه الأكمه والأبرص، لدليل على قيام الساعة فلا تشكن فيها"[4].

---

[1] -المنتخب في تفسير القرآن الكريم طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في وزارة الأوقاف المصرية ، الطبعة الثامنة 1402هـ 1981م.

[2] -المصحف الميسر صفحة 120، طبعة دار الفكر / مصر، 1299هـ -1979م.

[3] -سورة الزخرف: 61.

[4] -المنتخب في تفسير القرآن ص730، مصدر سابق.

ولم يتعرض فضيلة الأستاذ محمود شلتوت لهذين الدليلين والرد عليهما. لضعفهما في نظره، واكتفى بالرد على أشهر أدلتهم، وبين ما ورد في القرآن بما يدل على أن المراد بالوفاة الوفاة الحقيقية، وأن المراد بالرفع هو رفع المكانة، وهو يمثل رأي مشيخة الأزهر التي كانت متكونة من هيئة كبار العلماء في مصر، حيث وجه إليها سؤال من حضرة عبدالكريم خان بالقيادة العامة البريطانية لجيوش الشرق الأوسط، هل عيسى حي أو ميت في نظر القرآن الكريم والسنة المطهرة؟ وإحالة السؤال إلى أحد أعضائها في ذلك الوقت، وهو فضيلة الأستاذ محمود شلتوت، فأجاب فضيلته على السؤال فبين أن عيسى قد مات حتف أنفه من غير قتل أو صلب، بما لا يدع مجالاً للشك في ذلك، ثم رفعه الله إليه بروحه، كما ترفع أرواح الأنبياء والشهداء، وبين ضعف الروايات واختلاف العلماء بالقول بنزوله في آخر الزمان.

وهذا القول ليس رأي مشيخة الأزهر، الذي عبر عنه فضيلته، بل هو رأي كثير من العلماء منهم:

فضيلة الأستاذ عبدالجليل عيسى شيخ كليتي أصول الدين واللغة العربية في الأزهر، والأستاذ الشيخ محمد محمود حجازي في تفسيره، والشهيد سيد قطب في ظلاله، كما سبق أن بينت ذلك، ومنهم فضيلة الأستاذ المرحوم أحمد مصطفى المراغي أستاذ الشريعة الإسلامية واللغة العربية بكلية دار العلوم سابقاً، حيث قال عند تفسيره للآية (إن ظاهرها في خطاب الشخص وإرادة روحه، فالروح هي حقيقة الإنسان، والجسد كالثوب المستعار يزيد وينقص ويتغير، والإنسان إنسان لأن روحه هي هي: والمعنى: إني متوفيك وجاعلك بعد الموت في مكان رفيع عندي كما قال في إدريس عليه السلام ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾[1])[2] .

---

[1] –سورة مريم: 57.

[2] –تفسير المراغي ج3 ص169، ط دار إحياء التراث العربي –بيروت.

كما جاء في المنتخب في تفسير القرآن الكريم، الذي هو من وضع لجنة القرآن والسنة في وزارة الأوقاف في جمهورية مصر العربية، في تفسير قوله تبارك وتعالى: (﴿إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ[1]﴾ ما نصه: واذكر أيها النبي، إذ قال الله يا عيسى إني مستوفي أجلك ولا أمكن أحداً من قتلك، وإني رافعك إلى محل كرامتي، ومنجيك من أعدائك الذين أرادوا قتلك)[2].

أقول: معذرة لهذه الإطالة التي بينت فيها آراء العلماء، الذين بينوا فيها أن عيسى عليه السلام قد مات كغيره من الأنبياء، وأن الرفع كان لروحه بعد أن أماته الله، وأنه لن يعود إلى الدنيا بعد أن مات.

وفي بيان تضارب الأحاديث التي زعم فيها عدم موته، وأنه رفع إلى السماء بجسمه وروحه، وعدم صحتها.

وسبب هذه الإطالة؛ لأن جمهور المسلمين، خاصة العوام منهم، يعتقدون عدم موته، وأنه سينزل في آخر الزمان، وذلك بسبب ما يسمعون من خطباء أكثر المساجد، ممن ليس عندهم فقه في الدين ولم يطلعوا على رأي مشيخة الأزهر، التي كانت مكونة من هيئة كبار العلماء في مصر، أعظم مرجع ديني في العالم الإسلامي، كما لم يطلعوا على رأي لجنة القرآن والسنة في وزارة الأوقاف المصرية، في المنتخب في تفسير القرآن الكريم، الذي طبعه المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في وزارة الأوقاف. كما لم يطلعوا على التفسير الميسر لفضيلة الأستاذ عبدالجليل عيسى شيخ كليتي أصول الدين واللغة العربية وغير ذلك من التفاسير التي وضحت ذلك: فلذلك يكررون بعض ما ورد في بعض كتب الحديث في معظم المناسبات وخاصة في مناسبة الإسراء والمعراج، دون نظر أو تمحيص في صحتها.

---

[1] -سورة آل عمران: 55.

[2] -المنتخب في تفسير القرآن الكريم طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في وزارة الأوقاف المصرية، الطبعة الثامنة، 1402هـ -1981م.

وبعد هذا البيان نعود لتفسير الآيات التي وردت في سورة آل عمران والتي تتكلم عن قصة سيدنا عيسى مع قومه، وهو القسم الرابع من هذه الآيات.

شرح باقي الآيات:

قال الله تعالى: ﴿...وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[1]، أي إن الله سبحانه سيكرمك بجعل الذين آمنوا بك واتبعوك فوق اليهود من بني إسرائيل، الذين كفروا بك، والمراد بأنهم فوقهم: أعلى منهم روحاً وأحسن خلقاً وأكمل آداباً، وقيل فوقهم في الحكم والسيادة إلى يوم القيامة، أي ذلك في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ، فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ، وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ، ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾[2] .

أي أما يوم القيامة فمرجعكم ومصيركم إليّ فأقضي بينكم في الذي تنازعتم فيه من أمر الدين. فأما الجاحدون فأذيقهم عذاب الخزي والنكال، بتسليط الأمم عليهم في الدنيا، ولعذاب الآخرة أشد وأخزى، وليس لهم من ينقذهم من عذاب الله وذلك جزاء أعمالهم.

وأما المهتدون بهدي الله، حيث آمنوا بالله وعملوا الصالحات من أعمال الخير، فأولئك يعطيهم الله جزاء أعمالهم وافياً لا ينقص منه شيئاً، وهذا هو شأن الله لا يمنح ثوابه المتجاوزين لحدود الله الطاغين الذين يظلمون الناس بغير حق.

---

[1] -سورة آل عمران: 55.

[2] -سورة آل عمران: 55-58.

ما يستفاد من هذه الآيات:

1-لما شعر سيدنا عيسى بتكذيب معظم بني إسرائيل له، وظهرت على وجوههم بوادر الشر بالنسبة إليه، لجأ إلى الله وطلب ممن آمن به أن ينصره.

2-إن الله سبحانه أنقذ سيدنا عيسى بعزته وحكمته، وخيب مكرهم ورد كيدهم في نحورهم.

3-إن الله استوفى أجل عيسى، حيث أماته من غير قتل ولا صلب، ثم رفع الله إليه روحه كما ترفع أرواح الأنبياء.

4-إن الله سبحانه أخبره قبل أن يميته بأن من اتبعه سيكون أعلى قوة وسلطاناً ممن كذبه في الدنيا.

5-إن الله سبحانه يقضي بين الناس يوم القيامة فيما اختلفوا فيه من أمر الدين.

6-إن الجاحدين والكافرين به سوف يعذبهم في الدنيا عذاباً شديداً، ولعذاب الآخرة أشد وأخزى لهم، وليس لهم من ينقذهم.

7-أما المؤمنون والذين يعملون الأعمال الصالحة فيعطيهم الله جزاء أعمالهم وافياً. والله لا يحب الظالمين.

8-إن ما ورد من قصة المسيح عيسى بن مريم مع قومه هي أمور غيبية أوحى الله بها إلى رسوله لا شك في صدقها.

القسم الخامس من آيات سورة آل عمران

الرد على من زعم ألوهية عيسى عليه السلام

قال الله:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ، الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُن مِّن الْمُمْتَرِينَ ، فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ، إِنَّ هَـذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ اللّهُ وَإِنَّ اللّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ،فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ .

سورة آل عمران من آية 59 إلى 63.

معاني المفردات :

خلقه من تراب: أوجده وصوره من تراب.

الممترين: الشاكّين.

فمن حاجك فيه: فمن جادلك في أمر عيسى بغير حق.

نبتهل: أي نضرع إلى الله بالدعاء خاشعين.

العزيز: الغالب الذي لا يغلب.

الحكيم: الذي لا يقول ولا يفعل إلا ما فيه الصواب.

تولوا: أعرضوا ورفضوا المباهلة.

الشرح:

يقول الله سبحانه، مخاطباً النصارى الذين زعموا أن المسيح هو الله أو ابن الله، بحجة أنه خلق من غير أب، واستبعدوا أن يكون بشراً: إنكم إذا

استبعدتم خلق عيسى بدون أب. فاعلموا أن خلقه أقرب للعقل من خلق آدم من غير أب ولا أم.

فالله سبحانه خلق آدم من غير أب ولا أم، وخلق الناس جميعهم من أب وأم، وخلق عيسى عليه السلام من أم دون أب.

فخلق آدم من غير أب ولا أم أعجب من خلق المسيح عليه السلام من أم دون أب.

أقول: بل إن خلق حواء من ضلع آدم عليه السلام حيث خلقت من أب دون أم، هو أعجب من خلق عيسى من أم دون أب. ولم يقل أحد إن آدم إله أو إن حواء إله. أو إنهم أبناء الإله لأنهم خلقوا كذلك.

ونحن متفقون وأنتم إنهم بشر وليسوا آلهة، فكذلك المسيح عليه السلام.

وقد ذكر الله سبحانه دليلاً آخر على أن عيسى عليه السلام هو بشر، كغيره من الأنبياء، كما أن أمه مريم كانت من البشر وليست من الآلهة، وهو قوله تعالى: ﴿ مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[1].

أي ليس المسيح عيسى بن مريم إلا عبداً من البشر، أنعم الله عليه بالرسالة كما أنعم على كثير ممن سبقه، وأمه مريم هي إحدى النساء، طبعت على الصدق في قولها والتصديق بربها، وكانت هي وابنها عيسى في حاجة إلى ما يحفظ حياتهما من الطعام والشراب لكي يعيشوا، وذلك علامة البشرية، كسائر المخلوقات التي لا تعيش إلا بالأكل، ويخرج منها ما يستلزمه الأكل والشرب من فضلات، فتأمل أيها السامع حال هؤلاء الغافلين عن دلالة هذه الآيات الواضحة التي بينها الله لهم، ثم تأمل كيف ينصرفون عن الحق بعد وضوحه؟!

---

[1] -سورة المائدة: 75.

ولا جرم أن هذا توبيخ شديد ينادي بتسفيه عقول من يؤله عيسى مع بيان ما ذكر.

ومن الأدلة التي يستدل بها النصارى على الوهية المسيح عليه السلام سوى أنه خلق من غير أب، الذي رد عليه القرآن بخلق آدم دون أب وأم.

ما يلي:

أولاً: استدلالهم بكونه خلق من روح الله، وقالوا: إن الروح لا تتجزأ فيكون هو الله أو ابن الله.

الجواب: إن آدم عليه السلام من روح الله قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[1] .

معنى الآية: واذكر لهم يا محمد، حين قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين، وهو آدم عليه السلام، فإذا أتممت خلقه ونفخت فيه من روحي فخروا له ساجدين، سجود تعظيم وتحية لا سجود عبادة.

فالروح سر من أسرار الله، وهي سر الحياة في كل إنسان سواء بالنسبة لعيسى، أو آدم أبي البشرية، أو سائر البشرية بل سائر المخلوقات من حيوانات وغيرها.

وقد سئل رسول الله ﷺ عن حقيقة الروح فنزل عليه قوله تبارك وتعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[2] . أي يسألك بعض الناس عن حقيقة الروح، فقل: الروح هي سر خفي اختص الله بعلمه واستأثر به، وما أعطاكم الله من علم في هذه الحياة الدنيا إلا جزءاً قليلا من علمه.

---

[1] -سورة ص: 71-72.

[2] -سورة الإسراء: 85.

فهذه الآية تقرر أن الإنسان مهما أعطاه الله من علم في اكتشاف بعض أسرار هذا الكون، وما سوف يكتشف في المستقبل، هو قليل بالنسبة لعلم الله، خالق هذا الكون.

وكل ما يعرفه الإنسان عن الروح أنها شيء يبعثه الله في جسم الإنسان، فيكون به الحياة، وإذا انتهى أجله خرج من جسمه، وهي الروح فكان موته.

ثانياً: استدلوا بالخوارق التي ظهرت على يد عيسى عليه السلام.

الجواب: إن هذه الخوارق هي نوع من المعجزات التي يؤيد الله بها رسله للدلالة على صدقهم.

وقد ذكر الله سبحانه الحكمة من إعطائه هذه الخوارق التي ظهرت على يديه وهي أنها للدلالة على صدقه، وذلك بقوله: ﴿وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللّهِ وَأُبْرِئُ الأكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِـي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1].

أي إن الله أخبر مريم والدة المسيح عندما ولدته، بأنه سوف يبعث هذا المولود رسولاً إلى بني إسرائيل، مستدلاً على صدق رسالته، بمعجزات من الله، هي أن يصور لهم من الطين صورة مثل صورة الطير، ينفخ فيها فتحل فيها الحياة وتتحرك طائراً بإرادة الله، ويشفي بتقدير الله من ولد أعمى فيبصر، ومن به برص فيزول برصه، ويعيد الحياة إلى من فقدها، كل ذلك بإذن الله وإرادته، ويخبرهم بما يدخرون في بيوتهم من مأكول وغيره، ويقول لهم: إن هذه الآيات التي أظهرها الله على يدي حجة تؤيد أن رسالتي حق إن كنتم ممن يذعنون له ويصدقون به.

وقد سبق أن فصلنا وبينا ذلك عند شرح هذه الآية.

---

[1] -سورة آل عمران: 49.

ثالثاً: استدلوا بوصف عيسى في القرآن بأنه كلمة من الله، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾[1] فقالوا: تقولون: إن القرآن قديم، فيكون المسيح قديم لوصفه بكونه كلمة من الله.

الجواب: إن المراد بهذه الآية أن الله يبشر مريم عليها السلام بمولود يحصل بمجرد كلمة، وهي ﴿كن﴾ فكان، بدون واسطة، وذلك كما يبين الله، في الآية التي بعد التي تليها، حيث قال سبحانه: ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[2] .

فمعنى الآية: أي قالت مريم، عندما بشرت أنها ستلد ولداً بمجرد كلمة من الله، وذلك بوجود ولد من غير نظام التوالد: من أين يكون لي ولد ولم يمسسني رجل؟ فذكر الله تعالى لها أن الله يخلق ما يشاء بقدرته غير مقيد بالأسباب العادية، فإنه إذا أراد شيئاً أوجده بقدرته التي لا حد لها، من غير افتقار إلى موجب آخر.

فكلمة كن مستحدثة وليست قديمة، كما هو ظاهر لكل ذي لب، وبهذا يبطل دليلهم.

قوله تعالى: ﴿ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُن مِّن الْمُمْتَرِينَ﴾[3] أي إن هذا البيان، بالنسبة لخلق عيسى ورسالته ومعجزاته، هو الصدق الذي لا لبس فيه، لأنه من قبل الله خالقك وخالق جميع المخلوقات فدم على يقينك بالنسبة لبشرية المسيح ورسالته، ولا تكن من الشاكين.

---

[1] –سورة آل عمران: 45.

[2] –سورة آل عمران: 47.

[3] –سورة آل عمران: 60.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[1] .

المعنى: فمن جادلك أيها النبي، بغير حق في شأن عيسى، من بعد ما جاءك من خبر الله الذي لا شبهة فيه، فقل لهم قولاً يظهر صحة علمك اليقيني وباطلهم الزائف: تعالوا يدع كل منا ومنكم أبناءه ونساءه ونفسه، ثم نضرع إلى الله أن يجعل غضبه ونقمته على من كذب في أمر عيسى، من كونه بشر خلق من غير أب، وأنه عبدالله ورسوله، وليس ابن الله.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَـذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ اللّهُ وَإِنَّ اللّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

أي إن هذا الذي سبق بيانه هو الحق الذي لا مرية فيه، فليس في الوجود إله إلا الله الذي خلق كل شيء، وأنه هو المنفرد بالعزة في ملكه والحكمة في خلقه.

قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾.

أي فإن أعرضوا عن الحق، بعدما تبين لهم ولم يرجعوا عن ضلالهم، ورفضوا المباهلة، فهم المفسدون في الأرض، والله عليم بهم لا يخفى عليه خافية.

وقد روي في سبب نزول آيات المباهلة وما قبلها، أنه وفد على رسول الله ﷺ وفد من نصارى نجران عدتهم ستون راكباً، من بينهم من شرف فيهم ودرس كتبهم، وحسن علمه في دينهم، فكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه ومولوه وأخدموه وبنوا له الكنائس، فعرض النبي ﷺ على أحبارهم

---

[1] -سورة آل عمران: 61.

وسائر الوفد أن يسلموا، فقالوا له: قد أسلمنا قبلك. قال: كذبتم، يمنعكم عن الإسلام إدعاؤكم لله ولداً، وعبادتكم الصليب، وأكلكم الخنزير.

فجادلوه في عيسى وقالوا: من أبوه فرد عليهم قائلاً:

ألستم تعلمون أن الله حي لا يموت، وأن عيسى عليه الفناء؟ قالوا: بلى.

قال: ألستم تعلمون أن ربنا قيوم على كل شيء يكلؤه ويحفظه ويرزقه؟ قالوا: بلى.

قال: فهل يملك عيسى من ذلك شيئاً. قالوا: لا.

قال: ألستم تعلمون أن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء؟ قالوا: بلى.

قال: فهل يعلم عيسى من ذلك شيئاً إلا ما علم؟ قالوا: لا.

قال: ألستم تعلمون أن ربنا صور عيسى في الرحم كيف يشاء؟ وأن ربنا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب، ولا يحدث الحدث؟ قالوا: بلى.

قال: فكيف يكون هذا كما زعمتم؟

إلاَّ أنهم مع ذلك لم يسلموا، وتمادى الجدال بينهم، فلما رأى النبي ﷺ أن الجدل يتمارى بالقوم وأنهم مصرون على اعتبار عيسى إلهاً، أو ابن الله على رأي بعضهم نزلت آية المباهلة.

فجاء رسول الله ﷺ بنفسه وحفيديه الحسن والحسين وابنته فاطمة رضي الله عنهم، واستعد أن يشترك مع وفد نجران للمباهلة، وذلك أن يتنزل فيها لعنة الله على المفترين.

واستمع وفد نجران إلى هذا الاقتراح، فأوجسوا خيفة من قبوله! وكأنهم قالوا في نفوسهم: قد يكون محمد صادقاً في أن عيسى بشر مثله، ويكونون هم واهمين في انتحال الألوهية له، فلماذا يطلبون من الله أن يمحقهم؟ ونظروا إلى

محمد وطفليه وابنته، فشعروا بأن الكاذب لن يهلك وحده بل ستهلك معه أسرته، فخشوا على أولادهم وأهليهم البوار، إن هم قبلوا هذه المباهلة وخلصوا نجيا، واتفقوا فيما بينهم على عدم الملاعنة[1].

ما يستفاد من هذه الآيات:

1-بطلان جميع الأدلة التي يستدل به النصارى على أن المسيح هو الله.

2-أن الرسول ﷺ دعا النصارى إلى المباهلة، بعد أن أقام عليهم الحجة، ومع ذلك رفضوا إعلان استسلامهم لها.

3-أن ما ذكره القرآن، وهو أن عيسى عبد الله ورسوله، هو الحق الذي لا مرية فيه.

4-أن من يزعم أن عيسى هو الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة هو ضال وهو من المفسدين والكافرين.

---

[1] -انظر فقه السنة لفضيلة الأستاذ محمد الغزالي ص 460-463.

القسم السادس من آيات سورة آل عمران

أول مؤتمر للأديان الثلاثة يعقد في المدينة المنورة

قال الله تعالى:

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾.

سورة آل عمران: آية 64.

المفردات:

كلمة سواء: أي كلام يستوي فيه كل الكتب السماوية الصحيحة المعهودة بيننا وبينكم.

الشرح:

عندما حضر وفد نجران إلى المدينة المنورة، وناقشهم رسول الله ﷺ في أمر عيسى عليه السلام، حضر جانباً من هذا النقاش، بعض اليهود الذين كانوا يسكنون المدينة المنورة، فاجتمعت الأديان الثلاثة الكتابية بمجيء هذا الوفد، وقامت ملحمة كلامية عنيفة بين اليهودية والمسيحية والإسلام.

فأما اليهود فهم ينكرون رسالة عيسى ومحمد إنكاراً فيه عنت شديد، حيث يعتبرون المسيح عيسى ابن زانية، ويتهمون مريم بعفتها وشرفها. وبزعم قسم منهم أن عزيراً ابن الله.

وأما النصارى فهم يقولون بالتثليث وألوهية عيسى.

وأما محمد عليه الصلاة والسلام فهو يدعو إلى توحيد الله الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.

وقد سأل اليهود والنصارى محمداً ﷺ عمن يؤمن به من الرسل، فأجابهم بقوله تعالى: ﴿قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[1] .

وينكر عليهم أشد الإنكار كل ما يلقي أية شبهة على وحدانية الله، ويذكر لهم أنهم حرفوا الكلم مما في كتبهم عن مواضعه، وأنهم يذهبون إلى غير ما جاء به النبيون والرسل من ربهم الذين يقرون له بالنبوة. وأن ما جاء به عيسى وموسى ومن سبقهم لا يختلف عما جاء هو به من الدعوة إلى وحدانية الله، والإيمان باليوم الآخر، والبعد عن مطامع الدنيا، مع التجرد من الخضوع الأعمى لأوهام العامة، ولما وجد عليه آباؤهم وأجدادهم.

إن هذا المؤتمر، الذي شهدته المدينة المنورة بين أصحاب الديانات الثلاث، كان موضوعه وحدانية الله، وعدم اتخاذ ند لله يعبد معه، وبيان أن عيسى وعزير ليسا إلا عبدَيْن من أنبياء الله.

وعندما رفض النصارى التسليم بأن عيسى هو عبد الله ورسوله، وأن عزير هو كذلك، ولا يجوز عبادتهم من دون الله، ودعا النصارى إلى المباهلة فامتنعوا ورأوا ألا يلاعنوه، وأن يتركوه على دينه، ويبقوا على دينهم، دعا اليهود والنصارى إلى ما فيه عدل يستوي في كل الكتب السماوية الصحيحة المعهودة، وهي صحف إبراهيم، والزبور الذي نزل على داود، والتوراة والإنجيل الصحيحين، والقرآن، وهي أن لا يعبدوا إلا الله خالق هذا الكون والحياة، ويخصوه بالعبادة، ولا يجعلوا له شريكاً في ملكه أو عبادته، ولا يطيع بعضهم بعضاً وينقادوا لما فيه تحليل شيء أو تحريمه، تاركين حكم الله فيما أحل أو حرم. وقال الله لرسوله: فإن أعرضوا عن هذه الدعوة الحقة التي دعا إليها

---

[1] –سورة البقرة: 136.

أنبياء الله ورسله والكتب الصحيح التي نزلت عليهم. فقولوا لهم: اشـــهدوا بأنـــا منقادون لأحكام الله، مخلصين له الدين لا ندعو سواه.

وقد نقل الأستاذ محمد حسين هيكل في كتابه حياة محمد؛ أن أبا حارثـــة أكثر نصارى نجران علماً ومعرفة في الوفد، يدلي إلى رفيق له؛ باقتناعـــه بمـــا يقول محمد. فلما سأله رفيقه: فما يمنعك منه وأنت تعلم هذا؟ كان جوابه: يمنعني ما صنع بنا هؤلاء القوم؛ شرفونا ومولونا وأكرمونا وقد أبوا إلا خلافـــه، فلـــو فعلت نزعوا منا كل شيء[1].

فهذا المؤتمر، وهو مؤتمر الأديان الثلاثة، هو الذي ينبغي أن يقوم بـــين الأديان، لا المؤتمرات التي تعقد في هذه الأيام، ومنذ أربعين عاماً باسم التقارب بين الأديان، ولا يبحث فيها مسألة العقيدة ولا الإيمان بالرسل الذين أرســـلهم الله سبحانه، وبيان صدقهم وفحوى رسالاتهم، وأنهم عباد مكرمون.

فهذه المؤتمرات، التي تعقد في هذه الأيام، إنما هي لأهـــداف تـــضليلية وسياسية، ولا تقوم على الصراحة والمكاشفة، وإنما تقوم على النفاق والمداهنة، ولأهداف اجتماعية وأخلاقية، ومقاومة الإلحاد كما يزعمون ، ومدى توافق هذه الأديان في ذلك كما يقال، ولكن الهوة بين أصحاب الديانات الثلاث مـــا زالـــت، والحقد في بعض نفوس من يدعو إليها ما زال قائماً.

يدل على ذلك ما صدر في هذه الأيام عما يسمى بالبابا والحبر الأعظـــم عند النصارى، وهو الذي يعتبر أعظم مرجع ديني عندهم، وكنيسته حاملة لواء التقريب بين المذاهب، ويحضر هذه المؤتمرات بعض علمـــاء المـــسلمين، فقـــد صدر منه مهاجمة لرسول الله ﷺ وللعقيدة الإسلامية، ولفرضـــية الجهـــاد فـــي الإسلام، وذلك خلال محاضرة ألقاها أمـــام أســـاتذة جـــامعيين، وطـــلاب فـــي

---

[1] –حياة محمد للأستاذ محمد حسين هيكل، ص239، الطبعة الخامسة 1952، مكتبة النهـــضة المصرية /القاهرة.

"راتيسيون" جنوب ألمانيا يوم الثلاثاء الموافق 2006/9/12م زعم فيها: (أن الله في العقيدة الإسلامية مطلق السمو ومشيئته ليست مرتبطة بأي من مقولاتنا ولا حتى بالعقل) ذاكراً مقطعاً من حوار دار في القرن الرابع عشر الميلادي بين "إمبراطور بيزنطي وفارسي مثقف" يقول فيه الإمبراطور للمثقف: (أرني ما الجديد الذي جاء به محمد؟ لن تجد إلا أشياء شريرة وغير إنسانية مثل أمره بنشر الدين الذي كان يبشر به بحد السيف).

كما شدد البابا صباح الثلاثاء في راتيسيون أيضاً، وأمام حشد من المصلين ضم أكثر من مائتي ألف شخص، ومن دون أن يذكر ديانة معينة على أهمية "أن يقول بوضوح بأي إله نؤمن في مواجهة الأمراض القاتلة التي تنخر الديانة والعقل".

أقول: إن هذا الكلام الذي صدر منه في مهاجمة رسول الله ﷺ ودعوته، وأنها قامت بحد السيف وأن عقيدته تناقض العقل، ليس جهلاً منه في سيرة رسول الله ﷺ ، ولا كيف انتشر الإسلام، وليس جهلاً بالنسبة للعقيدة الإسلامية التي تقوم على العقل، وإنما هو عن تعصب أعمى متأصل في نفسه ضد رسول الله ﷺ وضد الإسلام.

وقد صدق الله في وصفه ووصف أمثاله بقوله تعالى: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1] ، فقد بين الله لنا في هذه الآية هؤلاء وحذر منهم، وأمرنا أن لا نركن إليهم، ولكن مما يؤسف له أن بعض علماء المسلمين ممن أعمى الله بصيرتهم يحضرون تلك المؤتمرات ويبجلون في هذه المؤتمرات البابا ومن معه من غير المسلمين، وذلك ليوصفوا بالتقدم والحضارة والانفتاح، وطمعاً لما يجدونه من احترام، وما يقدم إليهم من أموال من قبل بعض هؤلاء الصليبيين مقابل حضورهم، باسم نفقات السفر وغير ذلك.

---

[1] -سورة آل عمران: 118.

وبالنسبة لافتراءات البابا أقول في مناقشة قولـــه: "إن الله فـــي العقيـــدة الإسلامية مطلق السمو ومشيئته ليست مرتبطة بأي مـــن مقولاتنـــا ولا حتـــى بالعقل".

فالجواب: إن هذا نوع من المغالطة، فالله سبحانه يوصف فـــي العقيـــدة الإسلامية بأنه مطلق السمو وأنه فعال لما يريد، إلا أن هذا مقيد بما وصـــف الله به نفسه في القرآن؛ بأنه حكيم، عادل، رحيم، منزه عن الظلم والعبث، متـــصف بكل صفات الكمال.

فعلى هذا يمتنع أن يفعل فعلاً لا حكمة فيه، مجرداً عن الغرض بمحض اختياره وهو لا سلطان لأحد عليه، فعال لما يريـــد بمقتـــضى عدلـــه وحكمتـــه ورحمته.

وبالنسبة لحرية الرأي في الإسلام، وعدم جواز الإكراه على الإســـلام، فقد قال تعالى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[1]، وقال: ﴿ ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّـــكَ بِالْحِكْمَـــةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[2].

وقد رأينا كيف جادل رسول الله ﷺ أهل نجران وبين لهم فساد عقيدتهم، وعندما لم يمتثلوا للحق دعاهم للمباهلة، وعندما رفضوا دعاهم هـــم واليهـــود، الذين حضروا هذا المؤتمر، إلى ما دعت إليه جميع الكتب السماوية الـــصحاح: إلى عبادة الله وحده، وألا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله، ثم ترك لهـــم الحرية في الاستجابة إلى هذه الدعوة، ورجع نصارى نجران إلى ديارهم آمنين، وبقي اليهود في المدينة، الذين حضروا الاجتماع ورفضوا الاستجابة إلى هـــذه الدعوة، آمنين في المدينة، ولم يكره أحداً منهم على الاستجابة لما يدعو إليه.

---

[1] -سورة البقرة: 256.

[2] -سورة النحل: 125.

ورسول الله ﷺ بقي، في مكة قبل الهجرة ثلاث عشرة سنة، يدعو خلالها الناس إلى الإسلام، وتعرض هو وصحابته إلى صنوف العذاب خلال ذلك، حتى اضطر بعضهم للهجرة إلى الحبشة مرتين، أي إلى قارة إفريقيا فراراً بدينهم.

ولما تآمرت قريش على قتله هاجر إلى المدينة هو ومن بقي معه في مكة، ولم يشهر على أهل مكة سلاحاً، ومات من شدة العذاب بعض المسلمين، منهم ياسر وزوجته سمية والدي عمار بن ياسر.

ولم يشرع الجهاد في سبيل الله إلا في المدينة، وبعد ما ينوف على أربعة عشر عاماً من الدعوة الإسلامية، وقد بين الله سبحانه الحكمة من مشروعيته وذلك بقوله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[1] .

أقول: إن من يقرأ هاتين الآيتين، ويتدبر في معناهما، يدرك أن القتال في الإسلام، إنما شرع لرد العداء الذي وقع على المسلمين، وليس لإكراه الناس على الإسلام، إلا أن من أعمى الله بصيرته، وقلب الحقائق زعم بأن الإسلام انتشر بالسيف.

والعجيب أن البابا نسي أو تناسى ما قامت به محاكم التفتيش في أسبانيا لإكراه المسلمين واليهود على الدخول في النصرانية، ومن رفض منهم كان مصيره القتل.

وكذلك نسي البابا أو تناسى ما قام به فرسان الهيكل وملوك أوروبا في الحروب الصليبية من ذبح وقتل في القدس وفي بلاد الشام مدة مائتي عام، وأن

[1] -سورة الحج: 39-40.

صلاح الدين الأيوبي المسلم عندما انتصر عليهم لم يعاقبهم جزاء المجازر الوحشية التي قاموا بها.

وبالنسبة لدعواه أن العقيدة الإسلامية تنافى العقل، فهم ممن قيل فيهم: "رمتني بدائها وانسلت" وأكتفي أن أذكر، للرد هنا، بعض أبيات من لامية البوصيري كنت ذكرتها في كتابي تقي الدين بن دقيق العيد وهي[1]:

1-جاءَ المسيحُ من الإله رسولا ... فأبى أقَلُّ العالمين عقولا
2-قومٌ رأوا بشراً كريماً فادعوا ... مِنْ جَهلِهم لله فيه حُلولا
3-أسمعتم أن الإلـه لِحاجةٍ ... يتناولُ المشروبَ والمأكولا
4-وينامُ مِنْ تعبٍ ويدعو رَبَّهُ ... ويرود من حَرِّ الهجير مقيلا
5-ويَمَسُّهُ الألمُ الذي لَمْ يَستطِعْ ... صرفاً له عنه ولا تحويلا
6-ياليتَ شعري حين ماتَ بِزَعمِهِم ... من كان بالتدبير عنه كفيلا
7-هل كانَ هذا الكونُ دَبَرَ نَفْسَهُ ... مِنْ بعدِهِ أم آثر التعطيلا
8-وأجَلُ روحاً قامَتْ الموتى بِهِ ... عَنْ أن يُرى بيَدِ اليهودِ قتيلا
9-أيَجوزُ قولُ منزهٍ لإلهه ... سبحان قاتلَ نَفْسَهُ فأقولا
10-أو جلَّ من جعلَ اليهودَ بزعمكم ... شوكَ القتادِ لِرَأْسِهِ إكليلا
11-ومضى لحمل صَليبه متمسكاً ... للموت مكشوفَ اليدين ذليلا
12-ضَلَّ النصارى في المسيحِ وأقسموا ... لا يهتدون إلى الرشادِ سبيلا
13-جعلوا الثلاثةَ واحداً ولو اهتدوا ... لم يجعلوا العددَ الكثير قليلا

ملحوظة: تكملة الرد في آخر الكتاب تبدأ من صفحة (221 الى صفحة 303)

[1] -تقي الدين بن دقيق العيد -محمد رامز العزيزي، ص40-41 (لامية البوصيري) مكتبة الكونغرس، مجموعة منصوري وقد نقلها المؤلف في كتابه عن مركز الوثائق والمخطوطات - الجامعة الأردنية شريط رقم 464.

القسم الأول من آيات سورة النساء

كذب اليهود وافتراؤهم على عيسى وأمه عليهما السلام

قال الله تعالى:

﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً، وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً، بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً، وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾.

سورة النساء:من آية 156 إلى 159.

معاني المفردات:

بهتاناً: أي كذباً يبهت العقول، أي يحيرها .

شبه لهم:أي حصلت الشبه لهم،فظنوا أنهم قتلوه مع أن المقتول غيره.

إن الذين اختلفوا فيه: أي الذين اختلفوا في قتله فهم في شك من قتله، فقال بعضهم هو، وقال غيرهم ليس إياه.

رفعه الله إليه: المراد لم ينالوا منه ما يهينه، بل أكرمه الله ورفع منزلته وروحه كما فعل بإدريس.

وإن من أهل الكتاب: "إن" حرف نفي، بمعنى ليس، أي وليس أحد من أهل الكتاب عندما يشرف على الموت وينكشف عنه الغطاء، إلا ليؤمنن بعيسى على الوجه الصحيح، وهو أنه رسول الله لا كذاب كما يقول اليهود، ولا ابن الله كما يقول النصارى.

يكون عليهم شهيداً: أي شاهداً على كذبهم.

الشرح:

قد بين الله سبحانه بعض أسباب غضب الله على اليهود في هذه الآيات، وهو كفرهم بعيسى والإنجيل الذي نزل عليه، وافتراؤهم على مريم البتول أم عيسى، بالفاحشة مع يوسف النجار، وكان صالحاً فيهم، ولا شك أنه بهتان عظيم يبهت من يقال فيه، ويدهش عند سماعه، لبعده عن الحق وغرابته.

وغضب الله عليهم أيضاً، بسبب قولهم مستخفّين؛ إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله.

والحق المستيقن أنهم ما قتلوه كما زعموا، وما صلبوه كما ادعوا، ولكن شبه لهم، فظنوا أنهم صلبوه والواقع أنهم صلبوا شخصاً غيره. فكيف يقتل عيسى ويصلب، والله قد عصم أولي العزم من الرسل جميعاً فنجى نوحاً من الغرق، وإبراهيم من النار، وموسى من فرعون، وكذلك عيسى نجاه من اليهود، ومحمد من المشركين.

وإن الذين اختلفوا في شأن عيسى، من أهل الكتاب، لفي شك من أمره وحيرة، ما لهم به من علم قاطع بقتله، لكنهم يتبعون الظن والشك في أمره. والواقع أنهم يقولون ما لا علم لهم به، إلا عن طريق الظن، وما قتلوا عيسى قطعاً وما صلبوه كما يزعم اليهود.

وفي الأناجيل المعتمدة عند النصارى أنه قال لتلاميذه والمقربين إليه، في الليلة التي طلب فيها للقتل، كلكم تشكون في هذه الليلة.

وقيل اختلافهم؛ قولهم إن كان هذا صاحبنا فأين عيسى؟ وإن كان المقتول عيسى فأين صاحبنا؟

وفي الأناجيل الموجودة الآن أن الذي سلمه هو يهوذا الإسخربوطي، وفي بعض الأناجيل غير الأناجيل الأربعة أن الجند أخذوا يهوذا نفسه ظناً منهم أنه المسيح.

فالذي لا خلاف فيه، أن الجند ما كانوا يعرفون عيسى، وأنهم قتلوا شخصاً؛ هل هو يهوذا الاسخربوطي أم غيره؟.

وقد أكد القرآن بما لا يدع مجالاً للشك بأنه ليس المسيح، وأن الله رفع روحه كما ترفع أرواح الأنبياء والقديسين بعد أن أنقذه الله منهم.

وقد سبق أن بينت أن بعض المفسرين قد فسر الرفع في هذه الآية برفع المسيح بروحه وجسده، وأن فضيلة الأستاذ محمود شلتوت شيخ الأزهر الأسبق رد على ذلك فقال:

فنحن إذا جمعنا قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ في آيات آل عمران، مع قوله: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ﴾ في آيات النساء وجدنا الثانية إخباراً عن تحقيق الوعد الذي تضمنته الأولى، وقد كان هذا الوعد بالتوفية والرفع والتطهير من الذين كفروا.

فإذا كانت الآية الثانية جاءت خالية من التوفية والتطهير، واقتصرت على ذكر الرفع إلى الله، فإنه يجب أن يلاحظ فيها ما ذكره في الأولى جمعاً بين الآيتين.

والمعنى أن الله توفى عيسى ورفعه إليه وطهره من الذين كفروا. وفي إخبار الله في آخر الآية التي بين الله فيها عدم تمكين اليهود من قتل عيسى وصلبه قال: ﴿وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ فالمراد بيان أن الله عزيز لا يغلب، فلذلك أعز المسيح عيسى بن مريم رسوله، فأنقذه من كيد اليهود، وطهره من رجسهم، وذلك بمقتضى حكمته بقوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾.

معنى هذه الآية -كما سبق أن بينت ذلك- "إن" حرف نفي بمعنى ليس، فهي تدل على العموم، أي ليس أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى على الوجه الصحيح، وهو أنه رسول لا كذاب كما يقول اليهود ولا ابن الله كما يقول

النصارى، وهذا يحصل لكل واحد عندما يشرف على الموت وينكشف عنه الغطاء، وذلك كما حصل لفرعون عندما أدركه الغرق، كما قال الله تعالى عنه: ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[1] ، وقول الله عن إيمان الكافرين قبل موتهم: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ، فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾[2].

وجاء في المنتخب في تفسير القرآن الكريم في تفسير الآية: ما من أحد من أهل الكتاب إلا ليدرك حقيقة عيسى قبل موته، وأنه عبدالله ورسوله، ويؤمن به إيماناً لا ينفعه لفوات أوانه، ويوم القيامة يشهد عليهم عيسى بأنه بلغ رسالة ربه وأنه عبدالله ورسوله[3].

ما يستفاد من هذه الآيات:

1-ثبوت براءة مريم من جريمة الزنا التي اتهمها اليهود بها.

2-إن المسيح عليه السلام قد أنجاه الله من مكر اليهود فلم يقتلوه ولم يصلبوه.

3-إن الله رفع روح عيسى كما رفعت روح يونس وسائر الأنبياء والشهداء والصديقين.

4-إن جميع أهل الكتاب من اليهود والنصارى سوف يؤمنون بعيسى بأنه عبدالله ورسوله عندما يشرف الواحد منهم على الموت وينكشف عنه الغطاء.

---

[1] -سورة يونس: 90-91.

[2] -سورة غافر: 84-85.

[3] -المنتخب ص139، الطبعة الثامنة، مرجع سابق.

القسم الثاني مما ورد في سورة النساء

المسيح بن مريم في نظر القرآن الكريم

قال الله تعالى:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً، لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً لِّلّهِ وَلاَ الْمَلآئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيهِ جَمِيعاً﴾.

سورة النساء: من آية 171 إلى 172.

معاني المفردات:

يا أهل الكتاب: المراد اليهود والنصارى، وهم الذين يطلق عليهم أهل الكتاب؛ فاليهود كتابهم التوراة والنصارى كتابهم الإنجيل.

لا تغلوا في دينكم: الغلو مجاوزة الحد من جهة التفريط أو الإفراط. والمراد لا تتجاوزوا الحدود فيما تدينون به، فيطعن بعضكم في عيسى ويؤلهه آخرون.

كلمته: المراد حدث بكلمة صدرت من الله، وهو قوله للشيء الذي يريده "كن" فيكون.

روح منه: أي بسر من أسراره وهي الروح.

ألقاها إلى مريم: أي ألقى الروح إلى مريم بواسطة جبريل.

يستنكف: الاستنكاف الامتناع عن الشيء، أنفة وكبراً.

يستكبر: أن يجعل الإنسان نفسه كبيرة، غروراً فيه وإعجاباً بها.

الشرح:

يخاطب الله سبحانه اليهود والنصارى، بأن لا يتجاوزا الحق مغالين في دينهم، ولا يفتروا على الله الكذب فينكروا رسالة عيسى ولا يؤمنوا بها ولا يبهتوا أمه ويتهموها بجريمة الزنا، ويحقروه ويهينوه كما فعل اليهود لعنهم الله، ولا يعظموه ويقدسوه حتى يجعلوه إلهاً أو ابن الإله كما فعلت النصارى، ولا يقولوا على الله إلا القول الحق الثابت عن الله، والذي ورد في القرآن الكريم والمؤيد بالحجج والبراهين الدامغة.

فإنما المسيح رسول كسائر الرسل خلقه الله بقدرته وكلمته المستحدثة التي بشر بها، ونفخ جبريل في مريم بها فحملت به دون أب وهو روح من الله والتي بواسطتها توجد الحياة في جميع الأحياء من إنسان أو حيوان، فآدم بعد أن خلقه الله نفخ فيه من روحه، والإنسان وهو في بطن أمه ينفخ فيه الروح، فتدب به الحياة، وكذلك سائر الحيوانات.

ثم خاطبهم وأمرهم، بعد توضيح حقيقة عيسى؛ وأنه رسول الله كسائر الرسل، أن يؤمنوا بالله وبجميع رسله إيماناً صادقاً صحيحاً، مع الإذعان لما جاءوا به من الحق، ولا تدَّعوا بأن الآلهة ثلاثة، انصرفوا عن هذه الدعوى الباطلة التي لا أساس لها من الصحة، وهذا خير لكم في دنياكم وآخرتكم، حيث تنجون من عقاب الله يوم القيامة، يوم لا ينفع مال ولا بنون، فإنما الله إله واحد لا شريك له، وهو منزه عن أن يكون له ولد، وكل ما في السموات والأرض ملك له، وكفى به وحده مدبراً لملكه، فهو واحد أحد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

ما يستفاد من هاتين الآيتين:

1-إن اليهود والنصارى قد غالوا في أمر المسيح حيث إن اليهود لم يؤمنوا واتهموه بأنه ولد زنا، والنصارى ادعوا أن الآلهة ثلاثة وهو أحدهم.

2-إن القول الحق في أمر المسيح إنه رسول الله خلقه بكلمة منه، وهــو قوله "كن" فكان، وذلك شأن الله في الأمر الذي يريده.

3-إن الله سبحانه واحد أحد، ليس له صاحبة ولا ولد.

4-لا يتكبر المسيح ولا أحد من الملائكة المقربين عن عبادة الله.

القسم الأول من آيات سورة المائدة

بيان كفر من يدعي أن الله هو المسيح بن مريم

قال الله تعالى:

﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَآلُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ .

سورة النساء: الآية 17 إلى 18.

الشرح:

يعلن الله سبحانه كُفْرَ من زعم من النصارى –باطلاً– أن الله هو المسيح بن مريم، حيث زعمت طائفة منهم أن الله حل في عيسى –إذ جاء في أناجيلهم: وجاء الرب يسوع– . فقل يا محمد لهؤلاء المجترئين على مقام الألوهية: لا يستطيع أحد أن يمنع مشيئة الله، إن أراد أن يهلك عيسى وأمه، ويهلك جميع من في الأرض، فعيسى عبد مقهور قابل للفناء كسائر المخلوقات، ومن كان كذلك فهو في معزل عن الألوهية، فلو كان إلهاً لقدر على تخليص نفسه من الموت. فإن لله وحده ملك السماوات والأرض وما بينهما، يخلق ما يشاء على أي مثال أراد، والله عظيم القدرة لا يعجزه شيء ولا يقهره، ولا يقدر عليه شيء.

ثم بين الله في الآية الثانية، افتراءات اليهود والنصارى بدعواهم أنهم المفضلون لأنهم أبناء الله والمحبّبون إليه، فقل لهم يا محمد: إن كنتم أبناء الله وأحباؤه فلم يعذبكم بذنوبكم ويصليكم نار جهنم يوم القيامة؟ لقد كذبتم لأنكم كسائر البشر: مخلوقون محاسبون على أعمالكم بيد الله وحده المغفرة، يغفر لمن

يشاء من عباده، ويعذب من يشاء بمقتضى عدله وحكمته، لا اعتراض لحكمه، ولا راد لأمره، فالجميع خلقه وتحت ملكه وسلطانه، وإليه المرجع والمآب.

ما يستفاد من الآيتين السابقتين:

1-إن الذين يدعون بأن الله حل في المسيح وأن المسيح هو الله، هو كافر بالله.

2-لا يستطيع أحد من أنبياء الله ورسله ولا الملائكة المقربين أن يرد قضاء الله وقدره، أو يمنع مشيئته.

3-ليس لله أبناء أو أحباء فالكل يحاسب على عمله يوم القيامة، إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

القسم الثاني من آيات سورة المائدة

الإله عند النصارى ومصيرهم يوم القيامة

قال الله تعالى:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ، لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى اللّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ، مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ، قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً وَاللّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيراً وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ﴾ .

سورة المائدة: الآية 72 إلى 77.

معاني المفردات:

خلت: مضت.

يؤفكون: يصرفون عن التأمل في هذه البراهين.

لا تغلوا: لا تتجاوزوا حد المعقول عقلاً.

أهواء قوم: شهوات قوم، هم أسلافهم من الرؤساء.

من قبل: أي قبل بعثة خاتم النبيين محمد ﷺ .

وأضلوا: أي وأضلوا غيرهم بالنسبة للمسيح عليه السلام.

وضلوا: أي ضلوا بعد بعثه النبي ﷺ .

ضلوا عن سواء السبيل: أي لم يعرفوا طريق الحق وسلكوا غيره.

الشرح:

لقد ضل النصارى في عقيدتهم بالنسبة للمسيح عليه السلام وانقسموا في ذلك إلى ثلاث طوائف.

الطائفة الأولى: الطائفة التي زعمت أن المسيح هو الله حيث زعموا أن الله حل في المسيح.

وقد ذكرها الله بقوله: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ وقد سبق أن ذكرها الله في الآية السابقة وبين بعد ذكرها بطلان ذلك، وذلك بذكر بعض الأدلة التي تدل على بطلان هذه الدعوى.

وبين هنا في هذه الآية أن المسيح عليه السلام خاطب بني إسرائيل الذين أرسل إليهم، وزعموا أن الله حل به حتى صار إلهاً، أن يعبدوا الله ربه وربهم، أي هو وهم عبيد لله، وعليه وعليهم أن يعبدوا الله الذي خلقه وخلقهم، وأنه براء من دعواهم أنه إله. فعليهم أن يخلصوا الإيمان بالله وحده الخالق ومالك أمره وأمرهم جميعاً، وأن كل من يدعي لله شريكاً فإن جزاءه أن لا يدخل الجنة أبداً وأن تكون النار مصيره يوم القيامة، لأنه تعدى حدود الله، وهو بذلك من الظالمين. بل إن الشرك بالله لأعظم ظلم، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[1]، وهؤلاء الظالمون الذين تعدوا حدود الله ليس لهم من ناصر يوم القيامة.

الطائفة الثانية: زعمت أن الله ثالث ثلاثة وهم الذين قال الله عنهم: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ ﴾[2] ، وهم الذين يقولون إن الله مركب من ثلاثة أقانيم أي أصول: الأب والابن وروح القدس، وإن الله ثالث ثلاثة، أي واحد من ثلاثة التي هي الأقانيم الثلاثة.

---

[1] –سورة لقمان: 13.

[2] –سورة المائدة: 73.

فرد الله على هذه الطائفة بأنهم بهذا القول قد كفروا بالله، فالحال أنه لا من إله في الوجود يستحق العبادة إلا إله واحد، فرد صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، فهو متعال عن المثيل والنظير. سبحانه وتعالى عما يشركون.

وقد هدد الله هؤلاء النصارى بأنهم إن لم ينتهوا عما يقولون بأن الله ثالث ثلاثة، أو أن الله هو المسيح بن مريم، بأنهم إن لم يرجعوا عن ضلالهم وعن معتقداتهم الفاسدة إلى الإيمان بالله الواحد الأحد، ويعبدونه دون سواه، ليمس لهؤلاء إلاّ عذاب شديد.

الطائفة الثالثة: زعمت أن المسيح وأمه إلهين من دون الله. وهي التي أشار الله إليها بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾[1] .

فقد زعمت هذه الطائفة أن عيسى وأمه إلهين من دون الله وعبدوهما.

وقد رد الله على هذه الطائفة بقوله تعالى: ﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ﴾[2].

المعنى: أي ليس عيسى بن مريم إلا عبداً من البشر، أنعم الله عليه بالرسالة، كما أنعم على كثير ممن سبقه، وأم عيسى مريم هي إحدى النساء طبعت على الصدق في قولها والتصديق بربها، وكانت هي وابنها عيسى في حاجة إلى ما يحفظ حياتهما من الطعام والشراب كسائر البشر والمخلوقات التي لا تعيش إلا بالأكل والشرب، ويخرج منها ما يستلزم الأكل والشرب من فضلات كالغائط والبول. ولا جرم أن هذا توبيخ شديد ينادي بتسفيه عقول من يؤلههما مع مشاهدتهم ما ذكر.

---

[1] -سورة المائدة: 116.

[2] -سورة المائدة: 75.

فليتأمل كل إنسان عاقل حال هؤلاء الذين انصرفوا عن عبادة الله الخالق، فعموا عن دلالة هذه الآيات الواضحة التي بينها الله لهم، ثم تأمل كيف ينصرفون عن الحق مع وضوحه، فهم لا يفكرون ولا يتأملون في هذه الأدلة.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً وَاللّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[1].

يخاطب الله رسوله أن يقول لهؤلاء النصارى الضالين: كيف تعبدون إلهاً يعجز عن أن يضركم بشيء إن تركتم عبادته، ويعجز عن أن ينفعكم بشيء إن عبدتموه!! كيف تتركون عبادة الله وهو القادر على كل شيء ذو السمع والعلم الشامل في سائر المخلوقات.

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيراً وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ﴾[2].

ويقول للرسول ﷺ قل يا أيها الرسول، لأهل الكتاب من اليهود والنصارى: إن الله ينهاكم أن تتجاوزوا في معتقداتكم حدود الحق إلى الباطل، فتجعل النصارى بعض خلقه آلهة. فيقولون عن عيسى إنه إله أو ابن إله، وينكر اليهود رسالة عيسى ويزعمون أنه ليس بنبي وإنما هو ابن زنا، فلا تتبعوا هؤلاء أسلافكم وأئمتكم الذين كانوا على الضلال قبل بعثة النبي ﷺ ، وأضلوا بذلك كثيراً من الخلق بإغوائهم لهم بما يزعمون وهم قد ضلوا وأضلوا بعد بعثة النبي ﷺ عن الطريق السوي.

وتكرير ضلوا للإشارة إلى أنهم ضلوا من قبل وضلوا من بعد، والمراد الأسلاف الذين سنوا الضلالة وعملوا بها من رؤساء اليهود والنصارى.

---

[1] -سورة المائدة: 76.

[2] -سورة المائدة: 77.

ما يستفاد من هذه الآيات:

1-إن النصارى بطوائفهم الثلاث؛ سواء من زعم أن عيسى هو الله، أو زعم أن الآلهة ثلاثة وأن عيسى واحد منهم، أو زعم أن عيسى وأمه إلهين من دون الله، هم كفار ومشركون بالله، ومصيرهم جهنم يوم القيامة.

2-من الأدلة التي تدل على أن عيسى ليس إلهاً ولا ابن إله، وكذلك أمه ليست من الآلهة، هو أنهما كانا يأكلان الطعام عن حاجة، وبالتالي يصدر عنهما الفضلات من القاذورات والأوساخ من غائط وبول وذلك كغيرهما من البشر وسائر الحيوانات.

3-إن دعوى النصارى ألوهية المسيح وإنكار اليهود لرسالته إنما هو اتباع للهوى وليس لهم دليل يثبت ذلك.

4-لا يجوز لأي إنسان أن يتبع آباءه وأجداده، في العقيدة، دون نظر وتفكير، حتى لا يقع في الضلال، فيخسر آخرته يوم القيامة.

القسم الثالث من سورة المائدة

بعض نعم الله سبحانه على المسيح عليه السلام

قال الله تعالى:

﴿إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ، وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوَاْ آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾.

سورة المائدة: الآيتان 110إلى111.

معاني المفردات:

روح القدس: المراد به جبريل عليه السلام، الذي يؤيد الله به رسله.

في المهد: أي وهو صغير بعد ولادته.

كهلاً: بعدما كبر، يبلغهم رسالة الله، والكهل هو من تجاوز الثلاثين.

الكتاب:الكتابة والخط أي يكون قارئاً لا أمياً.

الحكمة: الصواب بالقول والعمل.

الأكمه: من ولد أعمى.

سحر: السحر هو التمويه والتخيل بالباطل حتى يرى الإنسان الشيء على غير حقيقته.

الحواريين: هم تلامذته المقربون.

الشرح:

يذكر الله في هاتين الآيتين مخاطبته عيسى بن مريم، التي سوف تحصل يوم القيامة على الملأ ممن عبدوه وألهوه هو وأمه.

فيذكره نعمة الله عليه وعلى والدته، ويستعرض المعجزات التي آتاها إياه، ليصدق بنو إسرائيل الذين أرسل إليهم برسالته، ففتنوا بهذه الآيات، وألهوه من دون الله أو مع الله، وهي كلها من وضع الله الذي خلقه وسواه.

وذلك مع تأييده بروح القدس، وهو جبريل عليه السلام ليثبته في دعوته، ويكلم الناس وهو صغير في المهد في غير موعد الكلام، ليبرئ والدته من الشبهة التي أثارتها ولادته على غير مثال، ثم وهو يكلمهم في الكهولة يدعوهم إلى الله، ومن تعليمه القراءة والكتابة والحكمة، وهي الصواب في القول والعمل، وقد جاء إلى هذه الأرض جاهلاً بالقراءة والكتابة ولا يعرف الخطأ من الصواب، فهو غير ذي تجربة ولا تعقل، فعلمه كيف يقرأ وكيف يكتب، وكيف يفعل وكيف يدرك الصواب في القول والعمل. ومن نعم الله سبحانه على عيسى تعليمه التوراة التي نزلت على موسى لهداية بني إسرائيل، والإنجيل آتاه الله إياه نعمة منه وفضلا.

ثم من نعم الله على عيسى إيتاؤه المعجزات التي لا يقدر عليها بشر، إلاّ أن يأذن الله له ذلك. حيث كان يخلق من الطين كهيئة الطير بإذن الله، فينفخ فيها فتكون طيراً بإذن الله، ويبرئ المولود الأعمى، ويبرئ الأبرص، بإذن الله لا بدواء، ويحيي الموتى بإذن الله.

وواهب الحياة أول مرة قادر على رجعها حين يشاء.

ثم يذكرُ بنعمة الله عليه، في حمايته من بني إسرائيل إذ كذبوه وزعموا أن معجزاته الخارقة سحر، لأنهم لم يستطيعوا إنكار وقوعها، ولم يريدوا التسليم بدلالتها، فأرادوا قتله، فحماه الله منهم، فلم يقتلوه ولم يصلبوه حين هموا بقتله

وصلبه، حيث طهره الله من رجسهم، ثم أماته ورفع روحه كما ترفع أرواح الأنبياء والشهداء والمقربين.

كما ذكره الله بنعمة الله عليه في إلهامه للحواريين أن يؤمنوا بالله وبرسوله عيسى، فإذا هم ملبّون مستسلمون يشهدون على إيمانهم وإسلامهم أنفسهم لله كاملة.

فالله سبحانه يواجه بها عيسى يوم القيامة، لا لنفسه ولكن ليسمع قومه ويروا وليكون التقريع والتأنيب أوجع وأفضح على مشهد من العالمين.

ما يستفاد من هذه الآيات:

1-إن الله سبحانه يذكر عيسى يوم القيامة بالنعم التي آتاه الله إياها، فيواجهه بها على الملأ ممن عبدوه وألهوه، لا لنفسه ولكن ليسمع قومه ويقيم عليهم الحجة، وليكون التقريع والتأنيب أوجع وأفضح لهم على مشهد من العالمين.

2-إن الله أنقذ عيسى من مكر اليهود ورجسهم؛ فلم يمكنهم من قتله وصلبه، فتوفاه بعد أن أنقذه منهم، ورفع روحه كما ترفع أرواح الأنبياء والشهداء والمقربين.

3-إن إيمان الحواريين الذي اتبعوا عيسى كان بإيحاء من الله لهم وتوفيقه.

القسم الرابع من سورة المائدة

قصة المائدة التي وردت في القرآن

قال الله تعالى:

﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُواْ اللّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ، قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ، قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ، قَالَ اللّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ .

سورة المائدة:من الآية112إلى115

معاني المفردات:

الحواريون: الأصحاب الخلص للمسيح.

مائدة: المراد الوعاء الذي يوضع عليه الطعام مع الطعام.

تطمئن قلوبنا: أي تزداد قلوبنا إيماناً ويقيناً.

قد صدقتنا: أي أنك صادق في دعوتك.

من الشاهدين: أي نشهد بنزولها على صدقك أمام من لم يحضرها من الناس.

تكون لنا عيداً: أي يكون يوم نزولها يوم فرح وسرور لنا.

ولآخرنا: أي يكون مناسبة نزولها يوم فرح لمن يأتي بعدنا.

وآية منك: أي معجزة منك تدل على صدقك.

الشرح:

أي واذكر يا محمد، حين قال الحواريون: يا عيسى هل يقدر ربك على إنزال مائدة من السماء علينا؟

أي إن الحواريين الذين آمنوا بالله وبعيسى رسوله، وأشهدوه على إسلام نفوسهم كلها لله، ومع هذا فهم بعدما رأوا من معجزات عيسى التي حصلت يطلبون منها المزيد.

فكان جواب عيسى، رداً على طلبهم هذا: خافوا الله وأطيعوا أمره إن كنتم مؤمنين، ولا تطلبوا حججاً ومعجزات غير التي قدمتها لكم.

فقالوا له وأجابوه: إننا نريد أن نأكل من هذه المائدة لتطمئن قلوبنا بما نؤمن به من قدرة الله، ونعلم بنزولها أنك قد صدقتنا فيما أخبرتنا عنه سبحانه، ونشهد لك بهذه المعجزة عند من لم يشاهدها.

فالمعجزات التي ظهرت على يديه؛ هي معجزات مرئية مشاهدة بالعين، وهم يريدون بنزول المائدة معجزة تشاهد وتلمس وتؤكل، وهي بذلك في نظرهم أقوى مما شاهدوه من إبراء الأعمى والأبرص وإحياء الموتى، لأن هذه الأشياء مشاهدة فقط، أما إنزال المائدة فهي مشاهدة وملموسة باليد، وتؤكل أيضاً.

فاستجاب لهم عيسى وقال: يا ربنا ومالك أمرنا، أنزل علينا مائدة من السماء يكون يوم نزولها عيداً للمؤمنين منا، المتقدمين والمتأخرين، ولتكون معجزة تؤيد بها دعوتك، وارزقنا رزقاً طيباً، وأنت خير الرازقين.

قال الله له: إني سأنزل المائدة عليكم من السماء، فأي امرئ منكم يجحد بعد إنزالها فإني أعاقبه عقاباً لا أعاقب بمثله أحداً من الناس، لأنه كفر بعدما شاهد ولمس بيديه دليل الإيمان الذي اقترحه.

وروي أن المائدة لم تنزل وأنهم لما سمعوا ذلك خافوا وقالوا لا حاجة لنا بها، وروي أنها قد نزلت.

-والله أعلم-.

ما يستفاد من هذه الآيات:

1-إن الحواريين طلبوا من عيسى معجزة مادية ملموسة، وهي إنــزال مائدة من السماء، وذلك إضافة إلى ما شاهدوه من المعجزات التي ظهرت على يديه.

2-إن الله استجاب لعيسى عندما طلب منه نزولها حيــث قــال: ﴿إنــي منزلها عليكم﴾.

3-لقد هدد الله الحواريين بأنهم إن لم يؤمنوا، بعد استجابة الله لما طلبوه من نزول المائدة التي تدرك بجميع الحواس، يستحقوا عذاباً أشــد مــن عــذاب الكفار جميعاً.

القسم الخامس من سورة المائدة

تكذيب عيسى لقومه يوم القيامة وقوله عدم علمه بما حصل منهم بعد وفاته.

قال الله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ، مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ، إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، قَالَ اللّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ، لِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ .

سورة المائدة: من الآية 116 إلى120.

معاني المفردات:

إلهين: أي يعبدان من دون الله.

ربي وربكم: خالقي وخالقكم فأنا عبد مثلكم.

شهيداً مادمت فيهم: أي كنت شاهداً على أعمالهم حين كنت بين أظهرهم.

فلما توفيتني: أي لما أمتني.

على كل شيء شهيد: أي أنت مطلع على كل شيء.

هذا يوم: أي يوم القيامة.

الشرح:

هذه الآيات تذكر لنا شأناً أُخروياً يتعلق بعبادة قوم عيسى له ولأمه في الدنيا، حيث يسأله الله عن ذلك يوم القيامة.

فهي تقرر على لسان عيسى عليه السلام، أنه لم يقل لهم إلا ما أمره الله به ﴿اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ وأنه كان شهيداً عليهم مدة إقامته بينهم، وأنه لا يعلم ما حدث منهم بعد أن توفاه الله.

ولا سبيل إلى القول، بأن الوفاة هنا وهي قوله: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ مراد بها وفاة عيسى بعد نزوله من السماء، بناء على زعم من يرى أنه حي في السماء، وأنه سينزل منها آخر الزمان، وهم الذين يعتمدون على الروايات التي تزعم نزوله في آخر الزمان، لأنه، بناء على هذه الدعوى، يكذب على الله بأنه لا يعلم بأنهم عبدوه، وهم يقولون إنه يعلم ذلك، لأنهم يقولون إنه عند نزوله يرى عبادتهم له فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويقتل الدجال!!! وحاشا لرسول الله عيسى أن يكذب، ويدعي عدم علمه بما حدث بعده، بعد أن نجاهُ الله من كيد اليهود .

فالآية تدل دلالة قاطعة بما لا يدع مجالاً للشك أن المراد بالوفاة هي إماتته بعد أن أنقذه الله من كيد اليهود، وهو لا يعلم بعد أن أماته ورفع روحه إلى السماء، كما ترفع أرواح الأنبياء والشهداء والمقربين.

فهذه الأحاديث التي يعتمدون عليها متعارضة مع هذه الآية تعارضاً ظاهراً مما يدل على عدم صحتها، وهي أحاديث آحاد لا تقوى على معارضة القرآن الذي ثبت بالدليل القطعي.

علماً بأن أحاديث الآحاد قد أجمع العلماء على أنها لا تفيد عقيدة ولا يصح الاعتماد عليها في شأن المغيبات.

وقد علمت، مما سبق بيانه، تعارض ألفاظها ومعانيها اختلافاً لا مجال للجمع بينهما، وفوق ذلك فمعظمها من رواية وهب بن منبه وكعب الأحبار وهما من أهل الكتاب الذين زعموا أنهما اعتنقا الإسلام، وقد سبق بيان عدم صحة عدالتهما.

فقد بينت هذه الآيات نهاية شأن عيسى مع قومه بعد أن توفاه الله أي أماته فهو يعلن فيها بأنه لا يعلم ماذا حدث بعده وأن الله هو الرقيب المطلع يعلم بأنهم عبدوه هو وأمه، فالله وحده هو المطلع بعد أن نجاه من كيد اليهود، فهو المراقب والعليم والشاهد والمطلع على كل شيء لا يخفى عليه شيء.

فالسؤال هنا إنكار وتوبيخ للنصارى الذين زعموا أن عيسى وأمه إلهين من دون الله حيث يقول الله لعيسى بن مريم: ﴿أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ﴾، أقالوا هذا القول وافتروا هذه الفرية بأمر منك، أم هو افتراء من عند أنفسهم؟

ثم يقول عيسى عليه السلام بعد ذلك: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أي إن تعذب هؤلاء الذين أرسلتني إليهم فضل منهم من ضلّ واهتدى من اهتدى فإنهم عبادك، وأنت ربهم، أي خالقهم صاحب التصرف في أمرهم، فليس لي إلا أن أفوض أمرهم إليك. وهذا هو أدب الأنبياء مع ربهم.

وقد فعل ذلك إبراهيم قبل المسيح عليهم السلام حين قال: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ، رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1]. ويعقب الله سبحانه على جواب عيسى، وهو أنه لم يأمرهم إلا ما أمره الله به، وهو عبادة الله خالقه وخالقهم، وأنه أثناء رسالته كان عالماً بحالهم، حيث كان موجوداً بينهم، وأنه لما انتهى أجل إقامته

---

[1] -سورة إبراهيم: 35-36.

الذي قدره الله له بينهم، حيث أمتني واستوفيت أجلي، كنت أنت وحدك المطلع عليهم وأنت مطلع على كل شيء، فيقول سبحانه: ﴿ قَالَ اللّهُ هَـذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ أي هذا اليوم وهو يوم القيامة، هو اليوم الذي ينفع الصادقين فيه إيمانهم وشهاداتهم، لهم في الآخرة حدائق وبساتين تجري تحت أشجارها الأنهار، وهم يقيمون فيها لا يخرجون منها أبداً، يتمتعون فيها بما يشاءون وذلك بسبب رضا الله عنهم وبسبب صدقهم مع الله، ويكونون هم أيضاً راضين بما أنعم الله عليهم من نعيم يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿لِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ . أي لله وحده ملك السموات والأرض وما فيهن، فهو وحده المستحق للعبادة، وهو ذو القدرة التامة على تحقيق كل ما يريد.

ما يستفاد من هذه الآيات:

1-إن الله سبحانه يسأل عيسى يوم القيامة سؤال إنكار وتوبيخ لقومه، الضالين منهم، عما حصل منهم من عبادتهم له ولأمه من دون الله.

2-إن عيسى يعلن يوم القيامة؛ بأنه لم يأمر قومه إلا بعبادة الله خالقه وخالقهم، وأن ما حصل منهم بعد وفاته لا علم له به. وفي هذه رد على من زعم نزوله، لأن نزوله يقتضي علمه بعبادتهم له ولأمه.

3-إن عيسى يعلن براءته وعدم علمه بما حصل من قومه، ويفوض أمر محاسبتهم إلى الله وحده. وفي هذا دليل قاطع على عدم نزوله.

4-إن المؤمنين الصادقين مع الله سيدخلهم يوم القيامة حدائق تجري من تحتها الأنهار بسبب رضاه عنهم.

5-كل شيء في السموات والأرض ملك لله وتحت تصرفه لا ينازعه في ذلك أحد.

القسم الأول من سورة مريم

قصة ولادة عيسى بن مريم

قال الله تعالى:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً، فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً، قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً، قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّاً، قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً، قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْراً مَّقْضِيّاً، فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً، فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْياً مَّنسِيّاً، فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً، وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً، فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً، فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً، يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً، فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً، قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً، وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً، وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً، وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً﴾.

سورة مريم: من الآية 16 إلى33.

معاني المفردات:

انتبذت: أي اعتزلت وابتعدت وانفردت.

شرقيا: أي شرقي بيت أهلها، لتخلوا للعبادة بعيداً عن معترك الحياة.

حجاباً: المراد ساتراً حتى لا يشغلها شاغل عن العبادة.

روحنا: هو جبريل عليه السلام.

بشراً سوياً: إنساناً كامل الخلقة.

أعوذ بالرحمن: أستجير بالله منك.

إن كنت تقياً: إن كنت تخاف عذاب الله فابتعد عني.

لأهب لك: لأتسبب في أن يهب الله لك.

غلاماً زكياً: مزكى طاهراً بالخلقة.

قالت أنى: قالت كيف؟.

لم يمسسني بشر: لم يقرب مني رجل بالزواج.

بغيا: هي التي تبغي الرجال للزنا، أي لست فاجرة زانية.

ولنجعله: أي فعلنا ذلك لنجعله.

آية للناس: برهاناً على كمال القدرة.

فحملته فانتبذت: المراد شعرت بالحمل فابتعدت عن الناس.

قصياً: أي بعيداً عن الناس.

فأجاءها: فألجأها واضطرها وجاء بها.

المخاض: هو الوجع الذي يسبق الولادة.

إلى جذع النخلة: أي لتستتر به وتتكئ عليه عند الألم.

نسياً منسياً: أي شيئاً تافها حقيراً متروكاً .

ناداها من تحتها: المراد ناداها ملك من مكان منخفض عن الربوة التي كانت عليها عند النخلة.

سرياً: نهراً صغيراً يسري أي يجري ماؤه.

رطباً جنياً: أي رطباً ناضجاً صالحاً للجني.

قري عيناً: طيبي نفساً ولا تحزني.

فقولي: المراد فأشيري إليه بما يفهمه السائل.

صوماً: إمساكاً عن الكلام.

شيئاً فرياً: غريباً منكراً.

أخت هارون: أي تشبه هارون أخا موسى في الصلاح.

فمن الأساليب العربية المعهودة أن يقال للرجل الصالح (فلان أخو الأنبياء) وللكريم (أخو حاتم) وللطالح فلان (أخو الشياطين) يريدون هو مشابه لما ذكر.

امرأ سوء: رجل فاحشة يسيء سمعة من يصاحبه.

وما كانت أمك: أي وما كانت أمك امرأة عمران.

بغياً: زانية.

المهد: الفراش الذي يهيأ للصغير.

آتاني الكتاب: قضى بإنزاله عليّ كتاباً من عنده وهو الإنجيل.

وجعلني نبياً: أي سوف يجعلني نبياً لكم.

وبراً بوالدتي: أي جعلني باراً بها محسناً لها.

الشرح:

يخاطب الله رسوله محمداً، بأن يذكر لأهل الكتاب، وهم النصارى واليهود، ما في القرآن من قصة مريم أم عيسى عليه السلام، حينما انفردت عن أهلها وعن الناس، وذهبت إلى مكان جهة المشرق من بيت أهلها، وجعلت بينها وبين أهلها والناس في البيت حجاباً، أي ساتراً يفصل بينها وبينهم لتتفرغ لعبادة الله وحده، -ومن هنا اتخذ النصارى قبلتهم ناحية المشرق- وبينما هي في خلوتها إذا بجبريل روح القدس يتمثل لها بشراً سوياً تام الخلقة.

وإنما ظهر لها في صورة البشر دون الملك؛ لتأنس به ولا تنفر منه فتفهم كلامه.

وإنما أطلق الله على جبريل عليه السلام روحنا لأن الدين يحيا به وبوحيه، أو سماه الله روحه على المجاز محبة له وتقريباً، كما تقول لحبيبك أنت روحي.

فلما رأته فزعت منه، وخشيت أن يريدها بسوء، وهي الورعة العفيفة الشريفة، فقالت: إني أحتمي وألتجئ إلى الله الرحمن منك، إن كنت تخافه فاتركني ولا تؤذيني.

وقد خصت بالذكر الرحمن ليرحم ضعفها وعجزها عن دفعه.

قال لها جبريل مزيلاً ما حصل لها من الخوف: ما أنا إلا ملكاً مرسلاً من عند الله إليك، ليهب لك غلاماً طاهراً من الذنوب.

قالت له: كيف يكون لي غلام؟ وعلى أية صفة يوجد هذا الغلام مني؟ ولست بذات زوج حتى أحمل ويأتيني ولد، ولست بزانية.

قال جبريل: كذلك الأمر، حكم ربك بمجيء الغلام منك وإن لم يكن لك زوج، فإن ذلك على الله سهل يسير. وليكون مجيئه من غير أب دلالة للناس

على قدرتنا العجيبة، ورحمة لهم ببعثته نبياً يهتدون بإرشاده، وكان وجوده أمراً مفروغاً منه لا يتغير ولا يتبدل، لأن ذلك بمقتضى قضاء الله وقدره.

وقد جاء في بعض الآيات كيف كان الحمل. بقوله تعالى: ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[1] أي نفخ جبريل عليه السلام في جيب قميصها أي شق قميصها من ناحية الصدر فدخلت النفخة في جوفها فحملت بعيسى عليه السلام، وقد يكون الضمير راجع إلى جوفها –والله أعلم–.

فالله سبحانه، في هذه الآية، يتحدث عن السيدة مريم أم عيسى عليه السلام، ويصفها بأنها كانت طاهرة عفيفة، حيث أحصنت فرجها، فلم ترتكب جريمة الزنا كما يدعي اليهود لعنهم الله؛ بل حفظته من كل ذم وعيب.

قوله تعالى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾[2] أي فألقينا فيها سراً من أسرارنا، وذلك كما حصل لآدم عليه السلام حيث قال بالنسبة إليه ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾[3] فجعلناها تحمل دون زوج، وجعلنا ابنها عيسى يولد دون أب، فكانت هي وابنها دليلاً ظاهراً على قدرتنا في تغيير الأسباب والمسببات، وأننا قادرون على كل شيء. فقد خلق عيسى دون أب كما خلق آدم دون أب وأم، وخلقت حواء من أب دون أم، وجعل مريم وعيسى آية للناس جميعاً تدل على كمال قدرة الله سبحانه.

وقيل: إن جبريل نفخ من أعلى قميصها وهو بعيد عنها فوصل إلى قميصها، ولم يرد في الحديث الصحيح كيف كان النفخ، فالله أعلم.

---

[1] –سورة الأنبياء: 91.

[2] –سورة الأنبياء: 91.

[3] –سورة الحجر: 29. وسورة ص: 72.

قوله تعالى: ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً﴾ أي وتحققت إرادة الله، وحملت مريم بعيسى على الوجه الذي أراده الله.

فلما شعرت مريم بالحمل ابتعدت عن أهلها وعن الناس، فألجأها ألم الولادة إلى أن تركن إلى جذع نخلة لتستند إليه وتستتر به، وتخيلت ما سيكون من إنكار أهلها والناس هذا الأمر، وتمنت لو أدركها الموت، وكانت شيئاً منسياً لا يذكر.

قوله تعالى: ﴿ فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً﴾ أي ناداها ملك، من مكان منخفض عن الربوة التي كانت عليها عند النخلة: لا تحزني بما حصل لك وبالوحدة وعدم الطعام والشراب ومن مقالة الناس، قد جعل ربك بالقرب منك نهراً صغيراً.

قوله تعالى: ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً﴾ وحركي جذع النخلة تتساقط عليك رطباً ناضجاً صالحاً للجني والأكل.

وإنما أمرها بأن تهز بجذع النخلة، والنخلة لا يمكن أن تهتز بمجرد هزها لها لضعفها، ليبين للمؤمنين معنى التوكل على الله، وهو الأخذ بالأسباب وإن كانت ضعيفة، ثم يلجأ المؤمن إلى الله، وهذا هو معنى التوكل على الله.

قوله: ﴿ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً﴾ أي فكلي من الرطب واشربي من النهر، وقري عينا، واهدئي بالاً وطيبي نفساً، فإن رأيت أحداً من البشر ينكر عليك أمرك فلا تكلميه، بل أشيري إليه بما يفهمه أنك صائمة عن الكلام مع الناس، فلما جاء الناس إليها منكرين، فقالوا لها في دهشة واستنكار: لقد أتيت أمراً فظيعاً منكراً:

قوله: ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً﴾ أي يا أخت هارون في الصلاح والتقوى والعبادة -حيث كانت تشبه هارون أخا

موسى في التقوى وانقطاعها للعبادة- ما كان أبوك رجل فاحشة يسيء سمعته أو سمعة من يصاحبه، بل كان رجلاً صالحاً، وهو عمران الذي كان مشهوراً بالصلاح والتقوى في بني إسرائيل، وما كانت أمك فاجرة ترتكب جريمة الزنا.

أقول: يقول الله تعالى: ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾ إن من الأساليب المعهودة أن يقال للرجل الصالح (فلان أخو الأتقياء) كما يقال للكريم (يا أخا حاتم) يريدون حاتماً الطائي المشهور بالكرم، ويقولون: (فلان أخو الشيطان) يريدون يشبه الشيطان في إفساده وأعماله.

قوله تعالى: ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً﴾ أي جاوبتهم بأن أشارت إلى ولدها عيسى ليكلموه، فقالوا: كيف نتحدث إلى طفل لا يزال في المهد؟!

قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً﴾ أي فلما سمع عيسى كلامهم أنطقه الله وهو في المهد فقال: إني عبدالله سيؤتيني الإنجيل، لأكون لكم رسولاً ونبياً.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً﴾ أي وسيجعلني أيضاً مباركاً معلماً للخير نفاعاً للناس وأمرني بالصلاة إليه، وأداء الزكاة مدة حياتي.

وهنا سؤال يوجه إلى من يزعم أن عيسى حي في السماء الأولى. فهل عيسى عليه السلام ما زال يصلي لله في السماء ويزكي ماله باعتباره ما زال حياً على رأيكم؟ ولمن يدفع زكاة ماله؟ أقول: إن هذه الآية تدل أيضاً دلالة قاطعة على أن عيسى مات كغيره من الأنبياء، وأن المراد بالرفع في الآية رفع روحه كما في قوله تعالى بالنسبة لإدريس عليه السلام: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً، وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾[1] .

---

[1] -سورة مريم: 56-57.

قوله: ﴿وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً﴾ أي كذلك أمرني أن أكون باراً بوالدتي مريم، أي أطيعها فأفعل لها الخير وما يرضيها، ولم يجعلني متجبراً بالناس ولا شقياً بمعصية الله.

وإنما قال بوالدتي ولم يقل بوالديّ لأنه ليس له أب.

قوله: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً﴾ أي والأمان من الله علي يوم ولادتي، ويوم موتي ويوم بعثي حياً يوم القيامة.

أي إن الله ألهمه أن يقول إن الله حافظه ولن يصاب بسوء أو مكروه، سواء كان ذلك يوم ولادته، أو يوم موته إذ إنه سوف يموت موتاً طبيعياً وليس عن طريق القتل، وأنه سيبعث يوم القيامة وهو مطمئن لما يلقى من تكريم الله له.

وإنما خص هذه المواضع كلها لكونها أخوف المواضع للإنسان من غيرها.

ما يستفاد من هذه الآيات:

1-إن مريم البتول اتخذت مكاناً شرقياً من بيت أهلها للعبادة وضربت بينها وبين أهلها ساتراً.

2-أرسل الله إلى مريم جبريل على صورة إنسان سوي، فنفخ فيها، كما نُفخ في آدم، ليهب الله لها مولوداً دون أب.

3-عندما شعرت بالحمل ذهبت إلى مكان بعيد عن بيت أهلها قرب جذع نخلة.

4-بعد أن ولدت عيسى أمرها الله بواسطة جبريل أن لا تخاف ولا تحزن، وأوجد لها طعامها وشرابها.

5-لقد أنطق الله عيسى وهو في المهد ليظهر براءة أمه من جريمة الزنا، وليبين لقومه أنه رسول الله إليهم.

6-إن عيسى عبدالله ورسوله، قد أمره الله بأن يكون باراً لأمه ويقيم الصلاة ويدفع الزكاة مدة حياته.

7-أنطق الله عيسى بأنه لن يمسه أي سوء، سواءً يوم ولادته أو يوم موته وكذلك يوم القيامة.

القسم الثاني من سورة مريم

القول الحق في عيسى عليه السلام

قال الله تعالى:

﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ، مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ، وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ، فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ، أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ، وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ، إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾.

سورة مريم من الآية: 34إلى 40.

معاني المفردات:

قول الحق: المراد: أقول لكم فيه قول الحق.

يمترون: أي يشكون ويختلفون.

قضى أمراً: أراد أمراً.

الأحزاب: هم اليهود وطوائف النصارى.

فويل: أي هلاك.

أسمع بهم وأبصر: أسمع وأبصر يا محمد، اليهود وطوائف النصارى بحقيقة عيسى بأنه عبدالله ورسوله.

وأنذرهم يوم الحسرة: أي حذرهم من يوم القيامة.

الشرح:

يقول الله سبحانه: ذلك الذي مضى بيانه، من أمر عيسى عليه السلام في قول عيسى: إني عبدالله آتاني الكتاب وجعلني مباركاً.. .إلخ الآيات التي ذكرها الله، هو عيسى بن مريم عبد الله ورسوله إلى بني إسرائيل، هو القول الحق الذي اختلف في أمره اليهود وطوائف النصارى حيث قالت اليهود: عيسى بن مريم ساحر وابن زنى، وقال بعض النصارى: هو ابن الله وآخرون قالوا: هو الله، وطائفة ثالثة قالت: هو ثالث ثلاثة... إلخ.

ولا يصح ولا يستقيم في العقل أن يتخذ الله ولداً، فهو قد تنزه عن ذلك، وشأنه سبحانه أنه إذا أراد أمراً من الأمور فإنما يقول له (كن) فيكون. أي إن إرادته نافذة لا محالة بكلمة (كن) فيتحقق في الوجود كائناً. وإن الله خالقي وخالقكم فهو الذي يستحق العبادة دون سواه، وعليكم أن تعبدوه وحده ولا تشركوا به أحداً، وإن هذا هو الطريق المستقيم الذي ينبغي أن يؤمنوا به ويسيروا بمقتضاه.

ومع ما سبق بيانه، في أمر عيسى من القول الحق الذي لا مرية فيه، فقد اختلف اليهود وطوائف النصارى به، وذهبوا إلى مذاهب شتى فيها هلاك للكافرين من اليهود والنصارى بسبب اختلافهم به، وعدم اعتقاد الحق في أمر المسيح عليه السلام، يوم يحضرون موقف الحساب، ويشهدون موقف يوم القيامة، ويلقون سوء الجزاء.

قوله تعالى: ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا...﴾ الآمر هنا هو الله سبحانه والمأمور هو رسول الله ﷺ ، وذلك بأن يسمع اليهود والنصارى حقيقة عيسى، وما سوف يحصل لهم يوم القيامة إن بقوا على خلافهم في أمر عيسى. لكن هؤلاء الكافرين الظالمين، الذين ظلموا أنفسهم في تركهم الانتفاع بالسمع والبصر، في ضلال عن الحق ظاهر لا يخفى.

قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي وحذر أيها الرسول هؤلاء الظالمين يوماً يتحسرون فيه على تفريطهم في حق الله وحق أنفسهم، بعد أن يقضي الله أمره فيهم، ويفرغ من حسابهم، وينالوا جزاءهم، وقد كانوا في الدنيا غافلين عن ذلك اليوم، لا يصدقون بالبعث ولا بالجزاء.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ أي ألا فليعلم الناس؛ أن الله هو الوارث لهذا الكون ومن فيه من المخلوقات، وأن حسابهم على الله، فيجازي كل إنسان بمقتضى عمله.

ما يستفاد من هذه الآيات:

1-إن القول الحق في أمر عيسى عليه السلام هو، إنه عبد الله ورسوله إلى بني إسرائيل.

2-على جميع الناس عبادة خالق الناس جميعاً، وهو الله.

3-إن اليهود وطوائف النصارى اختلفوا في أمر عيسى، وأن القول الحق في ذلك هو ما بينه الله في كتابه، وهو أنه عبد الله ورسوله إلى بني إسرائيل.

4-أمر الله رسوله أن يبلغ اليهود والنصارى حقيقة عيسى الذي ضلوا ضلالاً ظاهراً في حقيقة أمره، وأن يحذرهم عقاب الله بسبب اختلافهم.

5-إن الكافرين سوف يندمون على تفريطهم في حق الله وحق أنفسهم، حيث لم يؤمنوا بالله الواحد الأحد ولم يعبدوه.

6-إن الله سبحانه وحده هو الوارث لهذا الكون وما فيه، والناس كلهم راجعون إليه يحاسبهم على أعمالهم.

القسم الثالث من سورة مريم

فرية اتخاذ الله الولد والرد عليها

قال الله تعالى:

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً، لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً، تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً، أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً، وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَداً، إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً، لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً، وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً﴾ .

سورة مريم: من الآية 88 إلى 95.

المفردات:

شيئاً إدا: أي شيئاً فظيعاً منكراً جداً.

تكاد: تقرب.

يتفطرن: يتشققن.

منه: من فظاعة ما قالوا.

تخر الجبال: أي تسقط وتهدم.

أن دعوا للرحمن ولداً: أي بسبب أنهم نسبوا له سبحانه ولداً.

الشرح:

يصور الله سبحانه شناعة قول من يدعي بأن لله ولداً بصورة مخيفة، لبيان أثره في الدين وهدمه لأركانه. فهي تذكر أن الكافرين زعموا أن لله ابناً، فالمشركون من العرب زعموا أن الملائكة بنات الله، وزعم بعض اليهود أن عزيراً ابن الله، وزعم النصارى أن المسيح ابن الله، فلقد جاء القائلون بهذا القول أمراً منكراً تنكره العقول السليمة، تكاد السموات يتشققن من فظاعته، وتكاد

الأرض تنشق وتنخسف من قولهم، كما تكاد الجبال تسقط وتنهدم هدماً شديداً، بسبب أنهم نسبوا له سبحانه ولداً.

وما ينبغي للرحمن ولا يصح أن يتخذ ولداً عن طريق الولادة، إذ هذا يقتضي الوالد للولد هو نفسه ولداً لوالده!!!. فكيف يكون هذا مع الله الرحمن المنعم بجلائل النعم ودقائقها غير المحتاج لغيره؟ فإثبات الولد له يقتضي حدوثه وحاجته، والله سبحانه مخالف لمخلوقاته في كل شيء، فالله سبحانه واحد أحد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. إن كل من في السموات والأرض من ملائكة أو بشر أو جن إلا سيأتي الله سبحانه يوم القيامة عبداً خاضعاً لألوهيته، ولقد أحاط علمه بهم وبأعمالهم جميعاً، فلا يخفى عليه أحد منهم ولا شيء من أعمالهم، وهم جميعاً يجيئون إليه يوم القيامة منفردين عن النصراء وعن الولد والمال.

ولقد أقام القرآن أدلة كثيرة تثبت أنه واحد أحد، تردُّ على فرْية اتخاذ الولد، من ذلك:

1-قوله تبارك وتعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَـهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ، عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1]. أي ما اتخذ الله من ولد كائناً ما كان، فقد تنزه عن ذلك، وما كان له شريك، إذ لو كان معه شريك لتفرد كل إله بما خلقه وصار له ملكه، ولتناحر بعضهم مع بعض، فتغلب بعضهم على بعض ليوسع ملكه، كما هي عادة ملوك الدنيا، ولو حصل هذا لاختل نظام الكون وفسد، فتنزه الله عما يقوله المشركون مما يخالف الحق، من وصفهم لله بأن له ابناً أو شريكاً في ملكه.

[1] -سورة المؤمنون: 91-92.

والله سبحانه محيط بكل شيء علماً، يعلم ما يغيب عنا وما يظهر لنا، فتنزه الله عما ينسبه المشركون إليه من وجود الشريك له أو الابن.

2-قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[1] .

أي لو كان في السماء والأرض آلهة غير الله تدبر أمرهما لاختل النظام الذي قام عليه خلقهما، وقد بلغ النظام فيهما غاية الدقة والإحكام، وهذا مما يدل على تنزيه الله سبحانه صاحب الملك عما ينسبه المشركون، بأن له شريكاً في ملكه.

مما سبق يظهر لنا بيان حقيقة الخلاف بين المسلمين والنصارى واليهود بالنسبة لسيدنا عيسى عليه السلام.

وهنا أذكر المسائل الأساسية في هذا الخلاف:

1-النصرانية واليهودية لا تقران بنبوة محمد عليه الصلاة والسلام، والمسلمون يقرون بنبوة محمد ﷺ وبنبوة موسى ونبوة عيسى عليهما السلام.

2-اليهود لا يقرون بنبوة عيسى عليه السلام ويقولون عنه إنه ساحر وابن زنى.

3-النصارى ينقسمون بالنسبة لعيسى إلى ثلاث طوائف:

طائفة زعمت أن المسيح هو الله.

وطائفة زعمت أنه ثالث ثلاثة، والثلاثة عندهم هو الأب والابن وروح القدس.

وطائفة ثالثة زعمت أن عيسى وأمه إلهان من دون الله.

---

[1] -سورة الأنبياء: 22.

4-الإسلام يقرر أن عيسى ليس إلها ولا ثالث ثلاثة من الآلهة ولا هو وأمه إلهين من دون الله. ويقرر أن المسيح عيسى بن مريم رسول كغيره من الرسل الذين أرسلهم الله لهداية الناس إلى الطريق المستقيم، وأنه أرسل إلى بني إسرائيل خاصة، وشريعته متممة لشريعة موسى عليه السلام، وأنه هو وأمه مريم بشران من خلق الله، حملت أمه مريم به من دون أب ليكون آية لبني إسرائيل تدل على أنه رسول من عند الله، وأنطقه في المهد ليدلل على ذلك، ويدلل على صدق أمه، وأنها ليست بغية كما يزعم اليهود الذين لم يؤمنوا به ولا بطهارة أمه.

فقد قرر الإسلام أنها كانت صادقة وصديقة ومؤمنة، طاهرة من بني الإنسان، ولم يمسسها بشر، وبرأها الله مما نسبه اليهود إليها من فرية الزنا. ودلل على بشرية عيسى وأمه مريم بأدلة كثيرة، سبق أن بيناها، ومنها: أنهما كانا يأكلان الطعام، والذي يأكل الطعام إنما يأكله لحاجته إليه، والآلهة لا تحتاج إلى مخلوقاتها، وكذلك الذي يأكل يخرج منه الفضلات والأوساخ من بول وغائط، والإله لا يصدر منه القاذورات والأوساخ، فهما كغيرهما من البشر، كانا يأكلان الطعام ويشربان الشراب ويتألمان ويستظلان من شدة قيظ الصيف، ويبردان من شدة برد الشتاء، وغير ذلك، وكل ذلك مما يدل على بشريتهما وليسا آلهة كما يزعمون، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

هذه أكثر الآيات التي تناولت موضوع المسيح عليه السلام والنصارى، وهي التي وردت في سورة آل عمران والنساء والمائدة ومريم.

وهناك بعض السور في القرآن الكريم ورد فيها آيات متفرقة تتعلق بالمسيح عليه السلام والنصارى، ولكن بشكل مقتضب، وقد تعرضت لمعظم ما ورد فيها أثناء شرحي للآيات السابقة.

ولكن إتماماً للفائدة أذكر هذه الآيات والسور التي وردت فيها مع شرح معاني المفردات التي تحتاج إلى بيان معانيها، دون شرح لها.

فوز من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً يوم القيامة

أولاً: سورة البقرة

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

سورة البقرة الآية: 62.

معاني المفردات:

الذين هادوا: صاروا يهوداً وهم اليهود.

الصابئين: عبدة الملائكة، وقيل هم قوم كانوا على دين نوح ثم انحرفوا وعبدوا الكواكب.

تأييد الله لعيسى بالمعجزات وبجبريل عليه السلام

قال الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾.

سورة البقرة الآية: 87.

معاني المفردات:

البينات: المعجزات الدالة على صدق رسالته.

روح القدس: هو جبريل رسول الوحي الأمين.

تكفير اليهود والنصارى بعضهم بعضاً

قال الله تعالى:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَىَ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾

سورة البقرة الآية: 113.

معاني المفردات:

ليسوا على شيء: أي ليسوا على شيء من الحق.

وهم يتلون الكتاب: وكلاهما يقرأ الكتاب المقدس في نظرهم.

الذين لا يعلمون: هم المشركون من العرب.

مثل قولهم: أي مثل ما قال كل من اليهود والنصارى في غيره، قال المشركون في غيرهم، أي ليس مدعو الإيمان على شيء.

قال الله تعالى:

﴿وَقَالُواْ اتَّخَذَ اللّهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ، بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾

سورة البقرة الآيتان: 116- 117.

معاني المفردات:

وقالوا اتخذ الله ولداً: أي قال كل من المشركين واليهود والنصارى اتخذ الله لنفسه ولداً.

قانتون: مداومون على طاعة الله تعالى.

بديع السموات والأرض: فهو خالقها ومبدعها ومخترعها على غير مثال سبق.

قال الله تعالى:

﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ .

سورة البقرة الآية: 135.

معاني المفردات:

بل ملة إبراهيم: أي لا نتبع ملة اليهود ولا النصارى، لأن كلتيهما قد حرفت وخرجت عن أصولها الصحيحة ودخلها الشرك بالله، وإنما نتبع دين إبراهيم عليه السلام.

حنيفاً: أي مائلاً عن الشرك وعن الباطل إلى الدين الحق.

ثانياً: سورة التوبة:

الرد على من يزعمون أن لله ولداً

1-قال الله تعالى:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ، اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهاً وَاحِداً لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

سورة التوبة الآيتان: 30-31

معاني المفردات:

عزير: هو من يسميه أهل الكتاب عزرا.

قولهم بأفواههم: أي قولاً بالفم فقط ليس له حقيقة فلم يأتهم به كتاب ولا رسول.

يضاهئون قول الذين كفروا: أي يشابهون ويحاكون قول الكفار من الأمم السابقة.

قاتلهم الله: المراد لعنهم الله وطردهم من رحمته.

أنى: كيف؟

يؤفكون: أي يصرفون عن الحق.

أحبارهم: هم علماء اليهود والنصارى جمع حبر بفتح الحاء وكسرها.

رهبانهم: وهو عند النصارى المنقطع للعبادة وعن الزواج.

أرباباً من دون الله: أي اتخذوا كلامهم ديناً فاتبعوهم في باطلهم وفيما يشرعون لهم من تحليل وتحريم.

يريدون ليطفئوا نور الله: أي يريد رجال الدين عندهم بمزاعمهم الباطلة أن يطفئوا نور الله وهو الإسلام.

2-قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ، يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَـذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾.

سورة التوبة الآيتان: 34-35.

معاني المفردات:

إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال النـاس بالباطـل: أي إن كثيراً من علماء اليهود والنصارى والرهبان يستحلون أموال الناس بغير حـق، بحيث يستغلون ثقة أتباعهم لهم في كل ما يقولون.

ويصدون عن سبيل الله: أي يمنعون أتباعهم عن الدخول في الإسلام.

يكنزون الذهب والفضة: أي يحبسون الأموال ولا ينفقونها على الفقــراء والمحتاجين.

يوم يحمى عليها في نار جهنم: في يوم القيامة يُحرق بهذه الأموال جباه أصحابها وجنوبهم وظهورهم.

هذا ما كنزتم لأنفسكم: أي يقال لهم هذا ما ادخرتموه لأنفسكم ولم تؤدوا حق الله منه، فذوقوا اليوم بسبب ذلك عذاباً شديداً.

ثالثاً: سورة الزخرف:

قال الله تعالى:

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ، وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ، إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلَوْ نَشَاء لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ، وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ، وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ، وَلَمَّا جَاء عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ، فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾.

سورة الزخرف الآيات: 57-65.

معاني المفردات:

ولما ضرب ابن مريم مثلاً: حين نزل قوله تعالى: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾ قال أحد المشركين: أليست النصارى يعبدون المسيح، واليهود يعبدون عزيراً، وبنو مليح يعبدون الملائكة فإن كان هؤلاء في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم.

إذا قومك منه يصدون: أي فرحوا من هذا المثل وضحكوا وارتفعت أصواتهم وظنوا أنهم بهذا المثل أفحموا رسول الله.

وقالوا أآلهتنا خير أم هو: أي أآلهتنا خير عندك أم عيسى، فإن كان في النار فلتكن آلهتنا معه.

ما ضربوه لك إلا جدلاً: أي ما ضربوا ذلك المثل إلا خصومة بالباطل؛ لعلمهم أن ما في ﴿وما تعبدون﴾ لغير العاقل؛ وهي الأصنام، فلا تتناول عيسى، ولأنهم سمعوا قوله تعالى قبل ذلك: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ سورة الأنبياء الآية: 101.

بل هم قوم خصمون: أي إن مشركي مكة شديدو الخصومة.

إن هو إلا عبد أنعمنا عليه: أي ما عيسى عليه السلام إلا مكرم منعم عليه بالنبوة والرسالة.

وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل: أي إن الله خلق عيسى من غير أب، كالمثل السائر في غرابته، يستدل به على قدرته سبحانه على ما يشاء.

ولو نشاء لجعنا منكم ملائكة: أي ولو أردنا لأنشأنا منكم ملائكة في الأرض، كما خلق عيسى من أنثى دون أب.

في الأرض يخلفون: يعيشون في الأرض يخلفونكم كما يخلفكم أولادكم.

وإنه لعلم للساعة: وإن عيسى، بحدوثه بدون أب وإبرائه للأكمه والأبرص وإحيائه للموتى بإذن الله، لدليل على قدرة الله على قيام الساعة، وذلك بإحياء الناس بعد موتهم، لمحاسبتهم على أعمالهم.

فلا تمترن بها: أي فلا تشكن في قيام الساعة.

واتبعون هذا صراط مستقيم: أي اتبعوا هداي ورسولي، هذا الذي أدعوكم إليه طريق مستقيم موصل إلى النجاة يوم القيامة.

إنه لكم عدو مبين: أي إن الشيطان لكم عدو ظاهر العداوة.

ولما جاء عيسى بالبينات: أي حينما أرسل عيسى إلى بني إسرائيل بالمعجزات الواضحات والآيات البينات.

قال قد جئتكم بالحكمة: أي بشريعة حكيمة، فيها صلاحكم في الدنيا والآخرة.

ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه: وجئتكم لأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه من أمر الدين لتجتمعوا على الحق.

فاتقوا الله وأطيعون: فاخشوا عذاب الله وأطيعوني فيما أدعوكم إليه.

إن الله هو ربي وربكم: إن الله وحده هو خالقي وخالقكم.

فاعبدوه: أي فاعبدوه دون سواه ولا تشركوا به أحداً.

فاختلف الأحزاب من بينهم: فاختلف اليهود وطوائف النصارى في أمر عيسى، فقالت اليهود: هو ساحر وابن زنى، وقال بعض النصارى: هو ابن الله، وآخرون قالوا: هو الله، وغيرهم قالوا: هو ثالث ثلاثة، والبعض قالوا هو رسول مرسل من عند الله كغيره من الرسل.

فويل للذين ظلموا: أي هلاك للظالمين وهم الذين لم يقولوا إنه رسول كغيره من الرسل السابقين.

من عذاب يوم أليم: من عذاب شديد يوم القيامة.

رابعاً: سورة الحديد:

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاء رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

سورة الحديد الآيتان: 27-28.

معاني المفردات:

ثم قفينا على آثارهم: ثم تابعنا على الطريقة التي سلكها الأنبياء الذين سبق ذكرهم، رسولاً بعد رسول.

وآتيناه الإنجيل: أي أنزلنا عليه كتاباً اسمه الإنجيل، وذلك بواسطة جبريل عليه السلام.

رأفة ورحمة: شفقة شديدة ورقة وعطفاً.

رهبانية: مغالاة في التعبد والتقشف.

ما كتبناها عليهم: ما فرضناها عليهم.

إلا ابتغاء مرضاة الله: لكن فعلوها طلباً لرضا الله سبحانه.

فما رعوها حق رعايتها: ما حافظ كثير منهم على ما تقتضيه الرهبنة من أعمال، و الإسلام حرم هذه الرهبنة بقوله ﷺ : "لا رهبانية في الإسلام".

فاسقون: خارجون عن أحكام الله وأوامره.

يا أيها الذين آمنوا: الخطاب للنصارى وكل من آمن بالرسل قبل سيدنا محمد ﷺ فالمراد يا أيها الذين آمنوا بالرسل المتقدمين.

اتقوا الله وآمنوا برسوله: أي خافوا الله فيما نهاكم عنه، وآمنوا برسوله محمد ﷺ .

يؤتكم كفلين من رحمته: أي نصيبين من رحمته لإيمانكم بمحمد عليه السلام وإيمانكم بمن قبله.

يجعل لكم نوراً: أي يهديكم ويبين لكم الحق من الباطل.

ويغفر لكم: لا يعاقبكم على ما سلف من ذنوبكم قبل الإيمان بمحمد.

خامساً: سورة الصف:

1-قال الله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

سورة الصف الآية: 6.

معاني المفردات:

مصدقاً لما بين يدي من التوراة: أي حال كوني مصدقاً ومعترفاً بأحكام التوراة.

ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد: أي جئت لأبشركم ببعثة رسول يأتي بعدي يسمى "أحمد"، وهذا الاسم من أسماء رسول الله ﷺ ومعناه كثير الحمد لربه.

2-قال الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾.

سورة الصف الآية: 14.

معاني المفردات:

كونوا أنصار الله: أي كونوا أنصار دين الله كما كان الحواريون أنصار دين الله.

الحواريون: هم صفوة أتباع المسيح وخواصه وهم تلاميذه الخلص.

ظاهرين: غالبين ومنتصرين على من لم يؤمن بالمسيح وهم اليهود.

تكملة الرد على ما زعمه البابا بأن محمداً ﷺ نشر دعوته بالسيف وأن الإسلام يخالف العقل

سبق أن رددنا في هذا الكتاب بشكل مقتضب على مزاعم البابا بالنسبة للإسلام، وأن محمداً ﷺ نشر دعوته بالسيف لا بالحجة والبرهان، بعد تفسير آية المباهلة التي رفضها اليهود والنصارى، ثم دعوتهم إلى عبادة الله وحده، وذلك بقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[1] .

وقد ذكرت إن اجتماع اليهود والنصارى برسول الله ﷺ كان يمثل أول مؤتمر حقيقي للأديان الثلاثة يبحث في العقيدة، وفي علاقة الإنسان بخالقه، بخلاف ما يعقد من مؤتمرات منذ أربعين عاماً تقريباً، فهي لا تقوم على البحث في عقيدة كل دين من هذه الأديان، والأهداف الأساسية التي ينبغي أن تدعو لها هذه الأديان، وهي: عبادة الله وحده، وعدم عبادة أحد من دون الله.

وإنما تقوم لأهداف سياسية وتبشيرية. وهي تقوم على عدم المصارحة والنفاق بين الأعضاء، فلذلك لا يحضرها من المسلمين إلا المقربون من ذوي الجاه والسلطان ممن يحكمون بغير ما أنزل الله. والذين يريدون الشهرة والوصف بالتقدم والانفتاح، وذلك على حساب الدين.

وقد بينت أن رسول الله ﷺ لم يكره من حضر من النصارى -وهم نصارى نجران – على الدخول في الإسلام، وهؤلاء عادوا إلى بلادهم من غير أن يتعرض لهم أي أحد بأذى، كما بقي اليهود، الذين حضروا المؤتمر، في المدينة كما هم عليه من العهود والمواثيق ولم يفرض على أحد منهم الجزية.

---

[1] -سورة آل عمران: 64.

وقد بينت أيضاً أن رسول الله ﷺ بقي في مكة بعد نزول الوحي عليه ثلاث عشر سنة يدعو إلى الإسلام، وقد تعرض هو ومن معه إلى أنواع شتى من صنوف العذاب، مما اضطر بعضهم إلى الهجرة إلى الحبشة مرتين، فراراً بدينهم. حيث قطعوا الفيافي والبحر ليتمكنوا من عبادة الله وحده وينجوا من اضطهاد قريش لهم.

ومن بقي منهم في مكة بقي صابراً على العذاب.

وممن تعرض إلى صنوف كثيرة من العذاب في مكة؛ بلال الحبشي، وصهيب الرومي، وعمار بن ياسر وأمه سمية.

وقد استشهد ياسر وسمية والدا عمار من شدة العذاب الذي وقع عليهما، وكانا أول شهيدين في الإسلام.

وفي هذه الفترة لم يشهر الرسول ﷺ هو ومن آمن معه أي سلاح في وجه قريش، التي كانت تقوم بتعذيبهم واضطهادهم، بل كان رسول الله ﷺ يحض صحابته على الصبر، وقد مر يوماً على عمار وياسر وأمه سمية وهما يعذبان فلم يدافع عنهما، وإنما قال لهما: "صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة".

وعندما تآمرت قريش على قتله، بعد أن فشلت مقاومتهم له بالحجة والبرهان، وبعد مرور ثلاثة عشرة عاماً من دعوته، أذن الله له بالهجرة إلى المدينة المنورة، بعد أن سبقه بعض المسلمين إليها فراراً بدينهم.

وقد منع مشركو مكة بعضاً من المسلمين من الهجرة، وحبسوهم وعذبوهم، منهم الوليد بن المغيرة، وعياش بن ربيعة، وهشام بن العاص، فكان عليه الصلاة والسلام يدعو لهم في صلاته، وقد حصل في أوقات مختلفة ومحال مختلفة، فكان يدعو في وتر العشاء، وصلاة الصبح بعد الركوع وقبله.

وقد كان يضاد المسلمين في المدينة فئتان: اليهود والمنافقون، ولكن رسول الله ﷺ قبل من هؤلاء ظواهرهم، وعقد مع اليهود الذين كانوا ثلاث قبائل

في المدينة وهم: بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة عهداً، مقتضاه ترك الحرب والأذى فلا يحاربهم ولا يؤذيهم ولا يعينون عليه أحداً، وإن دهمه بالمدينة عدو ينصروه، وأقرهم على دينهم.

مما سبق يظهر لنا أن رسول الله ﷺ وهو في مكة طَوال ثلاثة عشر عاماً لم يقاتل أحداً على الدخول في الإسلام، بل كان الأمر قاصراً على التبشير به، والإنذار من عقاب الله يوم القيامة لمن لا يؤمن. وكان الله سبحانه ينزل عليه من الآي ما يقويه على الصبر أمام ما كان يلاقيه من أذى قريش، ومن ذلك قوله في سورة الأحقاف: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ[1]﴾.

بيان سبب مشروعية الجهاد في سبيل الله

بعد أن استقر رسول الله ﷺ في المدينة أذن الله للمهاجرين أن يقاتلوا مشركي قريش الذين قاتلوهم وأخرجوهم من ديارهم، ومنعوا بعض المستضعفين منهم من الهجرة فراراً بدينهم وذلك بقوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[2] .

فالآية تبين لكل ذي لب؛ أن الله أذن للذين يَعتدي عليهم غيرهم أن يدافعوا عن أنفسهم ولو بالقتال، بسبب أنه ظلمهم هذا المعتدي، وهم مشركو مكة، الذين ظلموهم وصبروا على أذاهم مدة طويلة، وأن الله سبحانه لقدير على نصر أوليائه المؤمنين.

---

[1] -سورة الأحقاف: 35.

[2] -سورة الحج: 39-40.

فهذه الآية تقرر ما تقرره القوانين الوضعية في هذا العصر؛ وهو أن الدفاع عن النفس أمر مشروع مهما كانت نتائجه، وأن المدافع عن نفسه وماله ووطنه لا يؤاخذ أمام الله وأمام العدالة، ولو قتل نفساً وأزهق أرواحاً، وإن هذا لمن أقوى الأدلة التي تردّ على بابا النصارى وأمثاله من الصليبيين والمنافقين وممن يجهلون تاريخ الإسلام ممن يزعمون أن الإسلام انتشر بالسيف؛ فهي تقرر أن المسلمين مأذون لهم في الدفاع عن أنفسهم إذا اعتدي عليهم، وتبين أن حروب المسلمين كانت حروب دفاع لا حروب هجوم، وأنهم أقاموا الإسلام ودعموه بالحجة البينة والأدلة الواضحة والبرهان.

أما الآية التي تلتها، فقد بينت نوع الظلم الذي لحق بهم؛ فذكرت أن الكفار، أي كفار مكة ظلموهم وأرغموهم على ترك وطنهم مكة والهجرة منها، وما كان لهم من ذنب عندهم إلا أنهم عرفوا الله فعبدوه وحده، ولولا أن الله سخر للحق أعواناً ينصرونه، ويدفعون عنه طغيان الظالمين لساد الباطل وتمادى الطغاة في طغيانهم، وأخمدوا صوت الحق، ولم يتركوا للنصارى كنائس، ولا لرهبانهم صوامع، ولا لليهود معابد، ولا للمسلمين مساجد يذكر فيها اسم الله ذكراً كثيراً، وقد أخذ الله العهد الأكيد على نفسه أن ينصر كل من نصر دينه، وأن يعز كل من أعز كلمة الحق في الأرض، ووعد الله لا يتخلف، لأنه قوي على تنفيذ ما يريد، عزيز لا يغلبه غالب.

ثم أمرهم بعد ذلك بقتال من يقاتلهم فقط، ولا يقاتلوا من لم يقاتلهم واعتبر قتالهم لمن لم يقاتلهم بأنه ظلم، وأن الله لا يحب الظالمين.

أي إنهم إذا قاتلوا من لم يقاتلهم يكونون ظالمين، أي سوف يتعرضون لعقاب الله يوم القيامة. قال الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ، وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ، فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ،

قَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[1].

وبذلك لم يكن الرسول ﷺ يتعرض إلا لقريش دون سائر العرب. فلما اعتدى على المسلمين غير أهل مكة من مشركي العرب واتحدوا عليهم مع الأعداء أمر بقتال المشركين كافة بقوله في سورة التوبة: ﴿ وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾[2].

وبذلك صار القتال واجباً لجميع المشركين من العرب في الجزيرة العربية، وهذا مصداق قوله ﷺ: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله".

فإن المراد بالناس في هذا الحديث مشركو الجزيرة العربية الذين كانوا يقاتلون المسلمين.

وكما ابتلى الله المسلمين في مكة بمشركي قريش، إبتلاهم في المدينة بالمنافقين واليهود.

أما المنافقون وهم الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، طمعاً في المصالح الدنيوية، فقد كانوا على صلة باليهود للكيد للإسلام وأهله، ولا شك أن ضرر المنافقين أشد على المسلمين من ضرر الكفار، لأن أولئك يدخلون بين المسلمين فيعلمون أسرارهم ويشيعونها بين أعدائهم، ويجهلهم كثير من الناس. ومع ذلك لم يقتل الرسول ﷺ. أي واحد منهم.

وبالنسبة لليهود في المدينة، فقد نقضت القبائل اليهودية عهودها مع رسول الله ﷺ قبيلة تلو قبيلة.

---

[1] -سورة البقرة: 190-193.

[2] -سورة التوبة: 36.

وأول قبيلة نقضت عهدها مع رسول الله ﷺ بنو قينقاع. فبعد انتصار المسلمين في بدر أظهرت هذه القبيلة مكنون ضمائرها، فبدت البغضاء من أفواههم، وانتهكوا حرمة سيدة من الأنصار فنصرها أحد المسلمين حينما استغاثت بالمسلمين، وكان ماراً بسوق بني قينقاع فتمالأ عليه بنو قينقاع فقتلوه. فدعا الرسول عليه السلام رؤساءهم وحذرهم عاقبة البغي ونكث العهد؛ فقالوا: يا محمد لا يغرنك ما لقيت من قومك في بدر فإنهم لا علم لهم بالحرب، ولو لقيتنا لتعلمن أنا نحن الناس، وكانوا أشجع اليهود في المدينة. فأنزل الله قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ، قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَّأُوْلِي الأَبْصَارِ﴾[1] .

وعند ذلك تبرأ من حلفهم عبادة بن الصامت أحد رؤساء الخزرج – حيث كانت قبيلة الخزرج حليفة لبني قينقاع في الجاهلية– وتثبت بالحلف عبدالله بن أبي زعيم المنافقين في ذلك الوقت، وقال: إني رجل أخشى الدوائر، فأنزل الله تعليماً للمسلمين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ، فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُواْ عَلَى مَا أَسَرُّواْ فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾[2] . وعندما تظاهر يهود بني قينقاع بالعداوة وتحصنوا بحصونهم، سار إليهم رسول الله ﷺ فحاصرهم خمسة عشر يوماً، ولما رأوا من أنفسهم العجز عن مقاومة المسلمين وأدركهم الرعب، ولم ينصرهم زعيم المنافقين عبدالله بن أبي خوفاً من المسلمين؛ سألوا رسول الله: أن يخلي سبيلهم فيخرجوا من المدينة، ولهم النساء والذرية، وللمسلمين الأموال، فقبل منهم ذلك الرسول عليه السلام،

[1] –سورة آل عمران: 12–13.

[2] –سورة المائدة: 51–52.

ورحلوا إلى بلاد الشام التي كانوا جاءوا منها نتيجة اضطهاد النصارى لهم. فتحقق إخبار الله لهم في الآية التي قبل السابقة، وهو قوله تعالى لرسوله: ﴿قل للذين كفروا ستغلبون...﴾ هو نوع من الإعجاز القرآني الذي هو بالإخبار بالشيء قبل وقوعه.

أما قبيلة بني النضير من اليهود، فبينما كان رسول الله ﷺ وبعض من أصحابه في ديارهم إذا ائتمر جماعة منهم على قتله، بأن يأخذ أحد منهم صخرة ويلقيها عليه من علو وهو جالس، فأطلع الله سبحانه رسوله عليه السلام على قصدهم، فرجع وتبعه أصحابه، ثم أرسل لهم: اخرجوا من بلادي، فقد هممتم بما هممتم من الغدر.

فتهيأ القوم للرحيل إلى بلادهم بلاد الشام -وكانوا حلفاء لقبيلة الخزرج أيضاً في الجاهلية- فأرسل إليهم إخوانهم المنافقون بقيادة عبدالله بن أبي زعيمهم، وحليف بني النضير في الجاهلية، يقولون لهم: لا تخرجوا من دياركم ونحن معكم. ولقد ذكر الله قول المنافقين في كتابه: ﴿ أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ، لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾[1] ، ولكن اليهود طمعوا بهذا الوعد وتأخروا عن الجلاء، فأمر الرسول عليه السلام التهيؤ لقتالهم، فلما اجتمع المسلمون خرج بهم رسول الله ﷺ لقتالهم.

أما بنو النضير فتحصنوا في حصونهم وظنوا أنها مانعتهم من الله، فحاصرهم رسول الله ﷺ ، فقذف في قلوبهم الرعب، ولم يروا من عبدالله بن أبي وممن معه من المنافقين مساعدة، بل خذلهم، كما أخبر الله في الآية السابقة أيضاً. وهذا أيضاً نوع من الإعجاز بتحقق ما أخبر الله قبل وقوعه.

---

[1] –سورة الحشر: 11-12.

فسألوا رسول الله أن يجليهم ويكف عن دمائهم، وأن لهم ما حملت الإبل من أموالهم، إلا آلة الحرب، ففعل.

ولما سار اليهود وخرجوا من حصونهم نزل بعضهم بخيبر ومنهم قادتهم حيي بن أخطب وسلام بن أبي الحقيق، ومعظمهم رجعوا إلى بلادهم التي كانوا جاءوا منها، وهي بلاد الشام وهي أرض الميعاد في رأيهم.

إلا أن حيي بن أخطب وسلام بن أبي الحقيق بعد أن ذهبا إلى خيبر خرجا مع بعض بني النضير الذين كانوا ذهبوا إلى خيبر، كأمثال كنانة بن أبي الحقيق ومع بعض أهل خيبر إلى مكة، لتأليب قريش والقبائل العربية على رسول الله ﷺ ومن معه، فسأل مشركو مكة حيي بن أخطب عن قومه فقال: تركتهم بين خيبر والمدينة يترددون حتى تأتوهم، فيسيروا معكم إلى محمد وأصحابه، وسألوه عن قبيلة قريظة، فقال: أقاموا بالمدينة مكراً بمحمد حتى تأتوهم فيميلوا معكم.

وقالت قريش للوفد: يا معشر اليهود، إنكم أهل الكتاب الأول، وأهل العلم، بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خير أم دينه؟!! قالت اليهود: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه!!

وإلى ذلك يشير القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَؤُلاء أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ سَبِيلاً، أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيراً﴾[1] . فاليهود هنا يفضلون وثنية كفار مكة على التوحيد الذي يدعو إليه النبي ﷺ ، فهم فضلوا عبادة الأصنام على عبادة الله وحده الذي يدعو إليه الإسلام، والتجأوا إلى عبدة الأصنام للقضاء على الإسلام.

[1] –سورة النساء: 51–52.

أقول: وما نراه اليوم من تعاون اليهود مع عباد الصليب في أوروبا وأمريكا للقضاء على الإسلام، يشبه ما حصل من اليهود في زمن رسول الله ﷺ.

ولم يكتف حيي بن أخطب واليهود الذين معه في تحريض قريش وتفضيلهم وثنية العرب على التوحيد الذي يدعو إليه النبي ﷺ، بل خرج أولئك اليهود إلى غطفان، وبني مرة، وبني فزارة، وبني سليم، ومعظم القبائل العربية يحرضونهم على محاربة النبي ﷺ، ويحمدون لهم وثنيتهم، ويعدونهم النصر لا محالة.

وخرجت قريش ومعها القبائل العربية الوثنية التي حرضتها اليهود والتي تجاوز عددها عشرة آلاف مقاتل، للقضاء على رسول الله ﷺ ومن معه من المؤمنين الموحدين.

وسميت تلك الغزوة بغزوة الأحزاب لكثرة القبائل التي جمعها اليهود لاستئصال الإسلام وأهله.

ولما اتصل نبأ هذا المسير إلى النبي ﷺ أمر المسلمين بحفر خندق بين الحرتين التي تقع بينهما المدينة، حيث إن المسلمين لا طاقة لهم في لقاء هذا الجيش الجرار من قريش والأعراب الذين جمعهم اليهود ليسحق المسلمين ويقضي عليهم ويستأصلهم.

وقد كان يهود خيبر وعدوا قبيلة غطفان ثمار سنة كاملة من ثمار مزارع خيبر وحدائقها.

وكان يهود بني قريظة الذين كانوا يحاذون الخندق، وتقع منازلهم وبساتينهم ما بين الحرة الشرقية والخندق قد بقوا في أول الأمر على عهودهم مع رسول الله ﷺ وولائهم، ثم ذهب حيي بن أخطب إلى كعب بن أسد صاحب عقد بني قريظة، وحرضه على نقض عهده مع محمد وقال له: "ويحك يا كعب!

جئتك بعز الدهر وببحر طام، جئتك بقريش وبغطفان مع قادتها وسادتها، وقد عاهدوني وعاقدوني على ألا يبرحوا حتى يستأصلوا محمداً ومن معه".

وتحركت في نفس كعب يهوديته، ونقض عهده مع رسول الله ﷺ وانضم إلى الأحزاب.

ولما علم النبي ﷺ نبأ انضمام قريظة إلى الأحزاب بعث سعد بن معاذ سيد الأوس، وبعث معه سعد بن عبادة سيد الخزرج ومعهما بعض الصحابة ليقفوا على جلية الأمر، فلما أتى هؤلاء الرسل ألفوا قريظة على أخبث ما بلغهم عنهم.

وحاول سعد بن معاذ رضي الله عنه -وكان حليفهم في الجاهلية- أن يقنع قبيلة بني قريظة ببقائها على العهد، مخافة أن يحل بها ما حل ببني النضير أو ما هو شر منه، فانطلقت اليهود ووقعوا بالنبي ﷺ ، وقال كعب: من رسول الله!! لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد، وكاد الفريقان يتشاتمان.

هنالك عظم البلاء واشتد خوف المسلمين، حيث رأوا أن طريق قريظة قد فتحت للأحزاب، فماذا لو دخلوا عليهم واستأصلوهم.

وفي هذا الموقف العصيب نزلت هذه الآيات من سورة الأحزاب: ﴿إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا، هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً، وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً، وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَاراً﴾[1].

أقول: ولو أن النبي ﷺ لم يسمح لبني النضير بالجلاء وقضى عليهم واستأصلهم، أو قضى على زعمائهم كأمثال حيي بن أخطب وأمثاله الذين ذهبوا

---

[1] -سورة الأحزاب: 10-13.

مع زعماء خيبر، يحرضون قريشاً وغطفان ومعظم القبائل العربية للمشاركة في قتال المسلمين واستئصالهم لما حصلت غزوة الأحزاب.

ولكن رسول الله ﷺ لم يكن يرغب في سفك الدماء، ولا بنشر الإسلام بالسيف كما يزعم بابا النصارى وأمثاله، وإنما بعث كما قال الله سبحانه عنه في كتابه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[1] .

إلا أن الله سبحانه لم يتخل عن جنده، عباد الله المؤمنين في هذه الشدة ففي ليلة ليلاء عصفت ريح شديدة، وهطل المطر الغزير، وقصف الرعد ولمع البرق، واشتدت العاصفة واقتلعت خيام الأحزاب وأكفأت قدورهم، وأدخلت الرعب في قلوبهم، وخيل إليهم أن المسلمين انتهزوها فرصة ليعبروا إليهم وليوقعوا فيهم، فقام أحد قادة الأحزاب، وهو طليحة بن خويلد الأسدي فنادى: إن محمداً قد بدأكم بشر فالنجاة النجاة.

وقال أبو سفيان: يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف -أي الخيل والجمل المسن-، وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا منهم ما نكره، ولقينا من شدة البرد ما ترون، فارتحلوا فإني مرتحل، -وكانت قريظة رفضت النزول لقتال المسلمين حتى يأخذوا رهائن من رجال قريش وغطفان على أن لا يدعوهم حتى يستأصلوا محمداً ومن معه، وذلك بسبب خديعة محكمة قام بها نعيم بن مسعود بين الأحزاب وقريظة- فاستخف القوم ما استطاعوا حمله من متاع، وانطلقوا راجعين، وما تزال الريح تعصف بهم، وأصبح الصبح ولم يجد المسلمون أحداً منهم.

ورجع المسلمون، إلى منازلهم في المدينة، يرفعون أكف الضراعة إلى الله شكراً أن كشف الضر عنهم، وأن كفى المؤمنين القتال.

---

[1] -سورة الأنبياء: 107.

وقد سمى الله سبحانه جلاء الأحزاب نعمة منه سبحانه حيث قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً﴾[1] ، ولما رجع عليه السلام بأصحابه وأراد أن يخلع لباس الحرب، أمره الله باللحوق ببني قريظة، حتى يطهر أرضه من قوم لم تعد تنفع معهم العهود ولا تربطهم المواثيق، ولا يأمن المسلمون جانبهم في الشدة فقال لأصحابه: "لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة، فساروا مسرعين وتبعهم عليه السلام. ولما رأى بنو قريظة جيش المسلمين تحصنوا بحصونهم، وأخذوا يطعنون برسول الله وينالون من أعراض نسائه أمام المسلمين. وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من عقاب الله لهم، نتيجة نقضهم لعهدهم مع رسول الله ﷺ وانضمامهم للأحزاب. وحاصرهم المسلمون خمساً وعشرين ليلة، فلما رأوا أن لا مناص من الحرب، وأنهم إن استمروا على ذلك ماتوا جوعاً، طلبوا من المسلمين أن ينزلوا على ما نزل عليه بنو النضير، من الجلاء بالأموال وترك السلاح، فلم يقبل الرسول ﷺ ، بل قال لا بد من النزول والرضا بما يحكم عليهم خيراً أو شراً.

ثم إن بني قريظة لم يروا بداً من النزول على حكم رسول الله ﷺ ، فنزلوا على حكمه دون قيد أو شرط، وقد طلب اليهود أن يحكم فيهم سعد بن معاذ حليفهم في الجاهلية، وكأنما القدر أعماهم فأنساهم مقدم سعد إليهم أول نقضهم للعهد وتحذيره إياهم، ووقوعهم في النبي ﷺ أمامه، وسبهم المسلمين بغير حق، فحكم سعد فيهم أن تقتل المقاتلة، وتقسم الأموال وتسبى النساء والذرية، فكان هذا جزاء الخائن الغادر.

ولأنه لولا ارتحال الأحزاب، ولولا ما وقع في صفوفهم من شقاق وانقسام، ولولا أن الله سلط على الأحزاب الريح الشديدة، كانت بنو قريظة على أهبة النزول إلى المدينة والفتك بالمسلمين، والمعاونة على استئصالهم مع

---

[1] -سورة الأحزاب: 9.

الأحزاب، فكان لا بد من القضاء على بني قريظة نتيجة ما فعلوه، ولذلك قال رسول الله ﷺ بعد حكمه : "لقد حكمت فيهم حكم الله يا سعد".

فرد الله كيد اليهود بنحورهم؛ لأنهم كانوا يريدون استئصال المسلمين والتمثيل بهم فجزاهم بمثل ما عرّضوا المسلمين له.

فلو عاملهم رسول الله ﷺ كما عامل بني النضير بأن سمح لهم بالجلاء لكانوا قادرين على أن يعودوا مع بني النضير لتأليب قريش والأعراب عليه مرة أخرى، وأن يختاروا فصلاً من السنة غير الشتاء القارس الذي كان من جند الله في هزيمة الأحزاب.

ولو أن بني قريظة حافظت على عهدها مع رسول الله ﷺ ولم تنقضه وتنضم إلى الأحزاب، لم يصبها أي شر أو مكروه. وبقيت في المدينة آمنة مستقرة.

وأما بالنسبة لمشركي قريش فقد أراد رسول الله ﷺ أن يؤدي العمرة في مكة المكرمة، وذلك في السنة السادسة من الهجرة.

والعمرة هي من المناسك التي بقيت عند العرب من شريعة أبيهم إبراهيم عليه السلام مع مناسك الحج، فخرج عليه السلام مع المهاجرين والأنصار، وكان عددهم ألفاً وأربعمائة، وأخرج معه الهدي ليعلم الناس أنه لم يأت محارباً.

ولم يكن مع أصحابه شيء من السلاح إلا السيوف في أغمادها، فمنعتهم قريش من ذلك. وحصل بعد ذلك مفاوضات بينه وبين قريش، واتفق معهم على عقد صلح بينه وبينهم، واتفقوا في الصلح على ما يلي:

1-وضع الحرب بين المسلمين وقريش أربع سنوات.

2-من جاء المسلمين من قريش يردونه، ومن جاء قريشاً من المسلمين مرتداً لا يلزمون برده!!

3-أن يرجع النبي من غير عمرة هذا العام ثم يأتي العام المقبل فيدخلها بأصحابه، بعد أن تخرج منها قريش، فيقيم فيها ثلاثة أيام ليس مع أصحابه من السلاح إلا السيف في القراب والقوس.

4-من أراد أن يدخل في عهد محمد من غير قريش من القبائل دخل فيه، ومن أراد أن يدخل في عهد قريش [1] دخل فيه.

ثم وقع الفريقان على الصلح.

وبعد ذلك توافدت قبيلة خزاعة وهي مشركة، فدخلت في عهد رسول الله ﷺ ، وتوافدت قبيلة بكر فدخلت في عهد قريش.

وقد اعترض بعض المسلمين على البند الثاني من الاتفاقية فقالوا: سبحان الله! كيف نرد إليهم من جاءنا مسلماً ولا يردون من جاءهم مرتداً؟ فقال عليه السلام: إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله، ومن جاءنا منهم فرددناه إليهم، فسيجعل الله له فرجاً ومخرجاً.

وكانت نتيجة هذا الصلح؛ أن وضعت الحرب أوزارها بين المسلمين وقريش، بل بين المسلمين وسائر العرب في الجزيرة العربية، واختلط المسلمون بسائر الناس، فخالطت حقيقة الإسلام قلوب أكثرهم، حتى قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن هذا الصلح: "ما كان فتح في الإسلام أعظم من صلح الحديبية".

وقال الزهري أحد علماء الحديث عنه: (فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، إنما كان القتال حيث التقى الناس، فلما كانت الهدنة، ووضعت الحرب، وأمن الناس بعضهم بعضاً، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه، ولقد دخل في تينك السنتين -أي بعد الصلح وقبل فتح مكة- مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر).

---

[1] نور اليقين صفحة 190 للشيخ محمد الخضري بك. المفتش بوزارة المعارف ومدرس التاريخ الإسلامي بالجامعة المصرية رحمه الله. طبعة المكتبة التجارية الكبرى بمصر.

قال ابن هشام معلقاً على قول الزهري بعد أن ذكره: (والدليل على قول الزهري؛ أن رسول الله ﷺ خرج في ألف وأربعمائة في قول جابر بن عبدالله، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف، أي فقد دخل في الإسلام بعد الصلح الذي حصل بين رسول الله ﷺ وقريش خلال سنتين، أكثر من ستة أضعاف من دخل في الإسلام خلال ما ينوف على ثمانية عشر عاماً، بسبب تمكن المسلمين من نشر الإسلام بحرية وأمان.

فبعد رجوع رسول الله ﷺ من صلح الحديبية ، وأمن الطريق من قريش أرسل رسول الله إلى ملوك الأرض رسله يدعوهم إلى الإسلام.

فأرسل إلى قيصر ملك الروم، وإلى كسرى ملك الفرس، وإلى المقوقس أمير مصر من جهة قيصر، وإلى أمير بصرى من قبل قيصر، وإلى عامل الروم على معان، وإلى ملك البحرين، وملك عُمان، وملك اليمامة ومعظم القبائل العربية، فمنهم من استجاب، ومنهم من رد رداً حسناً، ومنهم من مزق كتابه استكباراً وهو كسرى ملك الفرس، ولم يكتف كسرى بذلك، فقد أرسل إلى عامله باليمن أن يوجه إلى الرسول من يأتي به إليه، وقد قال رسول الله ﷺ عندما بلغه الخبر: "مزق الله ملكه" وقد قام ابنه شيرويه عليه وقتله.

وممن استجاب وأسلم المنذر بن ساوى ملك البحرين، فقد رد على كتاب رسول الله : "أما بعد؛ يا رسول الله، فإني قرأت كتابك على أهل البحرين فمنهم من أحب الإسلام وأعجبه ودخل فيه، ومنهم من كرهه، وبأرضي مجوس ويهود فأحدث إليّ في ذلك أمرك.

فكتب إليه عليه السلام: أن اترك للمسلمين ما هم عليه، ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية[1]. وممن استجاب جيفر وعبد ابنا الجلندي

---

[1] -انظر نور اليقين في سيرة سيد المرسلين للشيخ محمد الخضري، ص200-201، طبعة المكتبة التجارية الكبرى /القاهرة.

ملكي عُمان. وكذلك فروة بن عمرو الجذامي عامل الروم على معان، فقد استجاب لدعوة الرسول ﷺ ودخل في دين الإسلام. وكتب إلى رسول الله ﷺ يخبره بإسلامه، وأرسل مع حامل الرسالة بهدية ثمينة.

ولما بلغ ملك الروم إسلام فروة بن عمرو الجذامي، طلب منه أن يترك الإسلام ويرجع إلى دين النصرانية. فأبى ذلك قائلا: لا أفارق دين محمد. وإنك تعلم أن عيسى بشر به، ولكنك تضن بملكك. فحبسه وقتله!!.

وبالنسبة لأمير بصرى فقد أرسل إليه الحارث بن عمير الأزدي، فلما بلغ مؤتة –وهي قرية تقع في الأردن قرب الكرك– تعرض له شرحبيل بن عمرو الغساني، فقال له أين تريد؟ قال: الشام. قال لعلك من رسل محمد؟ قال: نعم. فأمر به فضربت عنقه.

وقد وجد رسول الله ﷺ على ذلك وجداً شديداً.

وكذلك جهز جيشاً لغزو يهود خيبر الذين كانوا من مهيجي الأحزاب ضد رسول الله ﷺ في غزوة الخندق كما سبق بيان ذلك. كما كانوا لا يزالون مجتهدين في محالفة الأعراب ضد رسول الله ﷺ ، ففتحها ثم قضى على أوكار اليهود التي كانت شمال خيبر، فأمن حدود الدولة الإسلامية التي تقع شمال المدينة.

ثم جهز بعد ذلك جيشاً للقصاص ممن قتلوا الحارث بن عمير رسوله إلى أمير بصرى، وكانت عدة الجيش ثلاثة آلاف، فساروا وشيعهم عليه السلام وكان فيما وصاهم به: "اُغزوا باسم الله فقاتلوا عدو الله وعدوكم بالشام، وستجدون فيها رجالاً في الصوامع معتزلين فلا تتعرضوا لهم، ولا تقتلوا امرأة ولا صغيراً ولا بصيراً فانياً، ولا تقطعوا شجراً ولا تهدموا بناء. ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا مؤتة مقتل الحارث بن عمير، وهناك وجدوا الروم قد

جمعوا لهم جمعاً عظيماً منهم ومن العرب المتنصرة، فلقوا هذه الجموع المتكاثرة فقاتل قائد الجيش زيد بن حارثة حتى استشهد.

فأخذ الراية جعفر بن أبي طالب ولم يزل يقاتل حتى استشهد هو الآخر.

فأخذ الراية عبدالله بن رواحة فاقتحم بفرسه جيش العدو ولم يزل يقاتل رضي الله عنه حتى استشهد.

فاستشهد بذلك ثلاثة ممن تولوا قيادة الجيش، وهم الذين كان رسول الله ﷺ قد أوصى لهم بقيادة الجيش حين خروجه.

واتفق المسلمون بعد ذلك على تأمير البطل الباسل خالد بن الوليد. وبهمته ومهارته الحربية حمى هذا الجيش من الضياع، إذ ما تفعل ثلاثة آلاف أمام مائة وخمسين ألفاً؛ فإنه لما أخذ الراية قاتل يومه قتالاً شديداً، وفي اليوم التالي خالف ترتيب العسكر، فجعل الساقة مقدمة، والمقدمة ساقة، والميمنة ميسرة، والميسرة ميمنة، فظن الروم أن المدد جاء للمسلمين فرعبوا، ثم أخر خالد الجيش وصار يرجع إلى الوراء حتى انحاز إلى مؤتة، ثم مكث يناوش الأعداء سبعة أيام، ثم تحاجز الفريقان، لأن الكفار ظنوا أن الأمداد تتوالى إلى المسلمين، وخافوا أن يجروهم إلى وسط الصحراء حيث لا يمكنهم التخلص، وبذلك انقطع القتال. وكانت خطة خالد رضي الله عنه من مكايد الحرب لإنقاذ الجيش، وقد أثنى رسول الله ﷺ على خالد لمهارته وأطلق عليه سيفاً من سيوف الله، وكان خالد بن الوليد رضي الله عنه ممن جاءوا إلى المدينة مهاجرين بعد صلح الحديبية، ولم يمض على إسلامه إلا سنة واحدة أو أقل من ذلك.

وفي السنة الثانية من صلح الحديبية، نقضت قريش عهدها مع رسول الله ﷺ حيث اعتدت على قبيلة خزاعة المشركة، والتي كانت قد انضمت إلى حلف رسول الله ﷺ ، فهب رسول الله ﷺ إلى نجدتها ضد قومه وهي مشركة، فخرج بعشرة آلاف مقاتل، فاستسلمت قريش، ودخل مكة دون قتال، وأمر مناديه

أن ينادي: من دخل داره وأغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن.

فعفى عن أهل قريش التي آذته وأخرجته هو ومن آمن معه، ولم يقل من أعلن إسلامه فهو آمن، ومن لم يسلم فالسيف، بل وقف عليه الصلاة والسلام فقال: يا معشر قريش، ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً أخ كريم وابن أخ كريم، فقال عليه السلام: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

ثم خطب عليه السلام خطبة جاء فيها: "يا معشر قريش، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، والناس من آدم وآدم من تراب. ثم تلا هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1] ثم شرع الناس يبايعون رسول الله ﷺ على الإسلام، وممن أسلم في هذا اليوم معاوية ابن أبي سفيان، وأبو قحافة والد الصديق.

وبعد فتح مكة عاصمة دولة الأوثان، جاءت معظم القبائل العربية تعلن إسلامها فدخلوا فيه أفواجاً .

أما قبيلة هوازن وثقيف فأدركتهما حمية الجاهلية واجتمع الأشراف منهما للشورى وقالوا: قد فرغ محمد من قومه ولا ناهية له عنا فلنغزه قبل أن يغزونا، فأجمعوا أمرهم على ذلك، وولوا رياستهم مالك بن عوف النضري، فاجتمع له من القبائل جموع كثيرة، فيهم بنو سعد بن بكر الذين كان رسول الله مسترضعاً فيهم.

فلما بلغ رسول الله ﷺ أن هوازن وثقيفاً تستعدان لحربه، أجمع رأيه على المسير إليهم، وخرج معه في الجيش ثمانون من المشركين، منهم صفوان ابن أمية، وسهيل بن عمرو، فانتصر المسلمون بعد أن ولت هوازن وثقيف ومن

---

[1] –سورة الحجرات: 13.

معهم من الأعراب الأدبار، ثم حاصر الطائف واستمر الحصار ثمانية عشر يوماً ولم يستسلموا، فأمر عليه السلام بالرحيل، وطلب منه بعض الصحابة أن يدعو على ثقيف، فقال: اللهم اهد ثقيفاً وائت بهم مسلمين. وقد استجاب الله دعاءه فقد جاءت قبيلة هوازن وقبيلة ثقيف وأعلنوا إسلامهم.

وبعد فتح مكة وإعلان أهل الطائف إسلامهم، انكسرت شوكة المشركين، في الجزيرة العربية، الذين كانوا يحاربون المسلمين، فلم يبق فيهم إلا فئات قليلة يسوقهم الطيش إلى شهر السلاح في وجه الإسلام، ثم لا يلبثون أن يغمدوا السيوف حينما تظهر لهم حقيقة الإسلام الساطعة، فيعلنوا إسلامهم.

وبالنسبة لقتال رسول الله ﷺ للروم في بلاد الشام، فبعد غزوة مؤتة، والتي كان سببها الاعتداء على رسول الله ﷺ وقتله، بلغه أن الروم جمعت الجموع تريد غزوه في بلاده. وكان ذلك في زمن عسرة الناس، وجدب البلاد وشدة الحر، حين طابت الثمار، والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم، ومع جهد حال المسلمين وشدة الحر، وبعد المسافة، حيث تبعد حدود بلاد الروم أكثر من ستمائة كيلو متر عن المدينة، أمر عليه السلام بالتجهيز لقتالهم، فاجتمع ثلاثون ألفاً، وتخلف كثير من المنافقين، يرأسهم عبدالله بن أبي، بسبب شدة الحر وبعد المسافة والخوف من الروم، وقال عبدالله بن أبي: يغزو محمد بني الأصفر مع جهد الحال والحر والبلد البعيد!! أيحسب محمد أن قتال بني الأصفر -أي الروم- معه اللعب؟ والله لكأني أنظر إلى أصحابه مقرنين في الحبال.

وقد استأذن كثير من المنافقين في التخلف عن الخروج فأذن لهم. وعند خروج الجيش أعطى أبا بكر الصديق رضي الله عنه لواءه الأعظم، فسار بالجيش حتى وصل تبوك، فلم ير رسول الله ﷺ بتبوك جيشاً كما كان قد سمع، فأقام هناك أياماً، جاءه أثناءها يوحنا صاحب إيلة -أي العقبة- فصالح رسول الله ﷺ على إعطاء الجزية ولم يسلم، وكتب له رسول الله كتاباً في ذلك، جاء فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم، هذا أمن من الله ومحمد النبي رسول الله ليوحنا وأهل

إيلة: سفنهم وسياراتهم في البر والبحر، لهم ذمة الله ومحمد النبي ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر، فمن أحدث منهم حدثاً فإنه لا يحوز ماله دون نفسه، وإنه لطيبة لمن أخذه من الناس، وإنه لا يحل أن يُمنعوا ماء يردونه من بر أو بحر.

كما جاء أهل أذرح وجرباء –وهي قرى تقع جنوب الشام– فصالحوه أيضاً على الجزية وأمنهم على أنفسهم وأموالهم.

ثم إن رسول الله ﷺ استشار أصحابه، في مجاوزة تبوك إلى ما هو أبعد منها من ديار الشام، فقال له عمر: يا رسول الله، إن للروم جموعاً كثيرة وليس بالشام أحد من أهل الإسلام، وقد دنونا، وقد أفزعهم دنوك، فلو رجعنا في هذه السنة حتى ترى أو يحدث الله أمراً. فتبع رسول الله مشورته، وأمر بالقفول، فرجع الجيش إلى المدينة.

وكانت غزوة تبوك في السنة التاسعة من الهجرة، وهي آخر غزوة لرسول الله ﷺ.

و في أوائل السنة الحادية عشرة من الهجرة جهز جيشاً برياسة أسامة ابن زيد وأمره أن يذهب إلى المكان الذي قتل فيه أبوه زيد بن حارثة في غزوة مؤتة، إلا أن رسول الله ﷺ توفي قبل خروج الجيش.

مما سبق يظهر لكل ذي لب أن محمداً ﷺ لم ينشر الإسلام بالسيف، كما زعم البابا بسبب حقد صليبي كامن في نفسه، وهو كامن في نفس كثير من الصليبيين كأمثال جورج بوش وأمثاله، وإنما شرع حمل السيف للدفاع عن الدين وأهله. في خلال ثلاثة عشر عاماً من الدعوة الإسلامية في مكة لم يكن رسول الله ﷺ يدافع عن نفسه وعمن آمن معه مما اضطروا معه للهجرة إلى الحبشة مرتين، ثم مهاجرة من تبقى منهم إلى المدينة، ثم هجرة رسول الله إليها عندما

تآمرت قريش على قتله بعد أن ناله صنوف الأذى والاضطهاد، في نفسه وأتباعه.

وبعد أن انتقل إلى المدينة أذن له بالقتال بسبب ما لحقهم من ظلم، كما بين الله ذلك في الآية التي شرع فيها الجهاد، وبعد الهجرة إلى المدينة سمح الله سبحانه لهم بالانتصار لأنفسهم بسبب ما لحقهم من ظلم، وبسبب إخراجهم من أوطانهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله.

ثم أمرهم أن يقاتلوا الذين يقاتلونهم ولا يعتدوا، وأخبرهم بأن الذي يقاتل من لم يقاتله هو معتد وظالم، أي أن الله سبحانه سوف يعاقبه، وذلك بقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ﴾[1].

وهذا الحكم في الإسلام باق إلى يوم القيامة لم يطرأ عليه تبديل ولا تغيير، لأنه إخبار من الله سبحانه عن نفسه والقول بنسخه يفضي إلى الكذب، وهذا لا يجوز على الله سبحانه وتعالى، والخبر لا يجوز فيه النسخ، فلذلك قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله: "وأما الأخبار والصفات التي قد كانت فإنه ليس فيها شيء منسوخ، وإنما دخل الناسخ والمنسوخ في الأمر والنهي"[2].

ومن المؤسف له أنه استقر في أذهان بعض المسلمين وبعض غير المسلمين أن الدعوة الإسلامية ظهرت وانتشرت تحت ظلال السيوف، وأن المسلمين حملوا كتاب الله في رقابهم وحملوا سيوف الحق في أيديهم. وذلك بناء على زعم بعض المفسرين من غير الفقهاء والأصوليين بأن قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[3] منسوخة بالآية التي تليها مباشرة وهي قوله تعالى: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ

---

[1] -سورة البقرة: 190.

[2] -كتاب العالم والمتعلم رواية أبي مقاتل عن أي حنيفة رضي الله عنهما بتحقيق محمد زاهد الكوثري صفحة 16.

[3] -سورة البقرة: 190.

وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾[1] وهذا جهل منهم لأن الأخبار والصفات لا يجوز فيها النسخ كما قال أبو حنيفة. ولأن القول بنسخ ما أخبر الله عن نفسه هو تكذيب الله لما أخبره به عن نفسه، وحاشا لله أن يخبر شيئاً ثم يكذب نفسه.

كما أن دعوى النسخ لهذه الآية هي دعوى من غير دليل ولا يجوز النسخ من غير دليل.

كما أنه لا تعارض بين الآية الأولى التي تأمر المسلمين بقتال من يقاتلهم فقط ولا يقاتلوا من لم يقاتلهم، والآية الثانية فالأولى أمر صريح للمسلمين بأن لا يبدؤوا بقتال أحد حتى يقاتلهم، فإن قتال من لم يقاتلهم هو اعتداء محرم من قبل الله سبحانه لأنه اعتداء، والله لا يحب المعتدين.

أما الآية الثانية التي تلتها فهي تقول للمسلمين اقتلوا أولئك الذين بدؤوكم بالقتال حيث وجدتموهم، وأخرجوهم من مكة كما أخرجوكم من وطنكم، حيث حملوكم على الخروج منه، ولا تتحرجوا من قتالهم، فقد فعلوا ما هو أشد من القتل، إذ حاولوا فتنة المؤمنين عن دينهم بالتعذيب في مكة، حتى فروا بدينهم من وطنهم، وفتنة المسلم عن دينه هي عند الله أشد من القتل.

أقول: فأين التعارض بين الآيتين حتى يزعم هؤلاء المفسرون أن الآية الثانية نسخت الآية الأولى، وهل إخبار الله عن نفسه بأنه لا يحب المعتدين نسخت بالآية الثانية، إن هذا زعم باطل لا يقوله ذو عقل سليم. وما أكثر ما يزعمه بعض المفسرين أنه منسوخ في القرآن الكريم!!!

ومما يدل دلالة قاطعة على عدم جواز قتال من لم يقاتل هو انضمام قبيلة خزاعة المشركة إلى رسول الله ﷺ في صلح الحديبية، وخروجه لنصرتها بعشرة آلاف مقاتل عندما اعتدت عليها. ولم يكره أحد من أهل مكة بعد فتحها

[1] -سورة البقرة: 191.

على الإسلام بل تركهم يفكرون في حقيقة الإسلام من شاء فليسلم ومن شاء فليكفر، كما قال الله في كتابه: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ، وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ، وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ، وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ، لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[2] ، وقوله: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[3]وقوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[5] ، وقوله: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[6] .

مما سبق يظهر لنا أن دعوة الإسلام في مكة هي تاريخ المسلمين الصابرين، وذلك مدة ثلاثة عشر عاماً حيث اضطروا أولاً إلى الهجرة مرتين إلى الحبشة، وذلك بقطع الصحارى والبحار.

أما رسول الله ﷺ فقد حوصر هو ومن آمن معه وقومه بنو هاشم وبنو المطلب في شعب أبي طالب حتى أكلوا ورق الشجر، وقد بقوا محاصرين ومنبوذين لا يبايعهم أحد حقبة من الزمن، ثم خرج رسول الله ﷺ بعد ذلك مباشرة وفقد زوجه وعمه أبو طالب اللذين أنهكهم شدة الحصار، وبعد ذلك أخذ يعرض نفسه على القبائل لتحميه من أذى قريش أثناء نشر دعوة الإسلام، وذهب إلى الطائف يطلب حماية أهلها، فردوه رداً قبيحاً، وأغروا سفهاءهم وأطفالهم بأن يضربوه بالحجارة، ولم يتمكن من دخول بلده إلا في حماية المطعم بن عدي

---

[1] -سورة الكهف: 29.

[2] -سورة الكافرون.

[3] -سورة البقرة: 256.

[4] -سورة آل عمران: 20.

[5] -سورة الممتحنة: 8

[6] -سورة الأنفال: 61.

من كفار قريش، وقد أجاره نخوة ومروءة منه، وهي عادة العرب في قبول من استجار بهم، ولو كان على خلاف دينهم ومن أعدائهم!!

وعندما أسلم بعض أهل المدينة سمح لمن آمن معه بالهجرة إليها، ولما عجز المشركون من أهل مكة عن مقاومة دعوته بالحجة والبرهان وتآمروا على قتله سمح الله له بالهجرة إلى المدينة، وذلك بعد ثلاثة عشر عاماً من دعوته وصبره على أذى المشركين. وبعد أن انتقل إلى المدينة سمح له ولمن هاجر معه بالدفاع عن أنفسهم بسبب ما لحقهم من أذى في مكة، وبسبب إجبارهم على ترك بلدهم ومسقط رأسهم ومسقط رأس آبائهم وأجدادهم فراراً بدينهم، وقولهم إن الله هو ربنا وخالقنا وهو الذي يستحق العبادة دون سواه، هذا هو سبب قتال رسول الله ﷺ لأهل مكة.

ولما قاتلهم جميع المشركين في الجزيرة العربية، ممن لم يؤمن بالإسلام منهم، أمروا بالدفاع عن أنفسهم فقال الله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾[1] .

وقد قبل رسول الله ﷺ بشروط في صلح الحديبية، لم يكن ليرضاها لو كان عماد دعوته السيف، لأن هدفه كان إغماد السيوف بينه وبين قريش، فقريش هي التي كانت تمنع من انتشار الإسلام، ثم كانت هدنة الحديبية فتحاً مبيناً كما سماها القرآن الكريم في قوله تعالى في أول سورة الفتح: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً﴾[2].

فقد دخل الناس في أيام الهدنة أفواجاً في دين الله حيث التقى المسلمون بالمشركين فعرضوا عليهم الإسلام بالحكمة والبرهان والموعظة الحسنة، فخالطت حقيقة الإسلام بشاشة قلوبهم فأعلنوا إسلامهم.

---

[1] -سورة التوبة: 36.

[2] -سورة الفتح: 1.

وكان خروج رسول الله ﷺ لفتح مكة بسبب انتهاك قريش لصلح الحديبية، باعتدائها على قبيلة خزاعة المشركة، والتي كانت مع رسول الله ﷺ في الحلف، فانتصر لها وهي مشركة بسبب ما لحقها من ظلم بالاعتداء، عليها وخرج بعشرة آلاف مقاتل، وبعد فتح مكة واستسلام أهلها لم يكره أحداً منهم على الإسلام بل عفا عما ارتكبوه بحقه وحق المسلمين، عندما كان في مكة قبل الهجرة، كما عفا عنهم مع محاربتهم له بعد ذلك مدة ثماني سنوات وقال لهم: "اذهبوا فأنتم الطلقاء".

وعندما أراد أهل الطائف، وبعض القبائل التي حولها، مهاجمته بعد فتح مكة خرج إليهم ومعه ثمانون مشركاً من أهل مكة ومنهم صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو وكانوا من قادة المشركين في مكة. وبعد انتصاره على أهل الطائف أعطاهم من غنائمها.

والخدمة الوحيدة التي أداها السيف للإسلام هو أنه منع الرسول من أن يقع فريسة لخصومه من العرب واليهود والروم، فمكن له من نشر دعوته وإيصالها لعقول الناس وقلوبهم.

فالجهاد لم يشرع لإكراه الناس على الإسلام، وإنما شرع للدفاع عن النفس ولتمكين الرسول ﷺ من نشر الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، فإذا منع الدعاة من توصيل الدعوة إلى عامة الناس، بالحكمة والموعظة الحسنة، عند ذلك يجب قتال الدولة التي تمنع ذلك وتعتدي على دعاتها ورسلها.

أما بالنسبة لقتال المسلمين لدولة الروم والخروج من قلب الجزيرة العربية؛ فقد سبق أن ذكرت أن رسول الله ﷺ أرسل إلى ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام وأنه اعتدي على رسول رسول الله وهو الحارث بن عمير، وقتله شرحبيل بن عمرو والي مؤتة من قبل الروم، فأرسل جيشاً للانتقام منه فتجمع على الجيش مائة وخمسين ألفاً من الروم ونصارى العرب الذين كانوا موالين لهم، فلم يتمكن من الانتقام وتحقيق النصر عليهم. فماذا يفعل ثلاثة آلاف مقاتل

أمام مائة وخمسين ألفاً؟ ثم تجمع الروم لقتاله في السنة التاسعة من الهجرة، فخرج إليهم ولكنهم تفرقوا ولم يلق حرباً، وذلك في غزوة تبوك وهي آخر غزوة لرسول الله ﷺ ، كما روى الكولونيل (فريدريك بيك) في مؤلفه "تاريخ شرق الأردن" -وهو نصراني- أن النبي ﷺ أوفد كتيبة من خمسة عشر رجلاً إلى حدود شرق الأردن ليدعو الناس إلى الإسلام، فخرج عليهم جمع غفير في مكان يقال له "ظل‘" بين الكرك والطفيلة وقتلوهم كلهم إلا واحداً لاذ بالفرار[1] وهو قائدهم واسمه عمرو بن كعب الغفاري، حيث وقع جريحاً فتحامل على نفسه وعلى جرحه حتى وصل المدينة، فأخبر رسول الله ﷺ بما حدث.

كما كان ملك الشام يقتل كل من اعتنق الإسلام، فلذلك قتل عامل الروم على مدينة مُعان، وما حولها، لأنه اعتنق الإسلام ورفض أن يعود إلى النصرانية بعد أن سجنه ملك الروم، وقال شعراً في سجنه، ولما قدموه ليقتلوه قال:

بلِّغ سراة المسلمين بأنني سلْم لربي أعظمي ومقامي

ثم ضربوه وصلبوه[2].

وذكر الكولونيل قتلهم له بسبب إسلامه إلا أنه قال إنه كان عامل الروم على عَمّان[3]. والصحيح ما ذكره ابن هشام وهو أنه كان عامل الروم على مُعان، وهو خطأ مطبعي على ما أظن.

---

[1] -الرسالة الخالدة- لعبدالرحمن عزام ص281 طبعة وزارة التربية الأردنية الطبعة الأولى 1395- 1975م.

[2] -انظر سيرة ابن هشام ج4 ص238، تحقيق مصطفى السقا ورفيقيه /دار التراث العربي - بيروت.

[3] -الرسالة الخالدة، ص280 نقلاً عن كتاب الكولونيل عن صفحة 85.

فهذا هو السبب في وقوع القتال بين المسلمين والروم في بلاد الشام، كما روتها كتب السيرة، وكما رواها الكولونيل (فريدريك بك) حيث ذكر هو الآخر سبب غزوة مؤتة وما حصل فيها.

ومما يرويه المؤرخ الكولونيل عن التسامح الإسلامي، وأن الإسلام لم ينشر بالسيف أيضاً؛ أن أسرة مسيحية تدعى (العزيزات) كانت تعيش في مؤتة، فلما قدم الجيش الإسلامي خرج أخوان من هذه الأسرة للقائه، وفتحا أبواب القرية وقدما له الطعام والشراب، ثم اعتنق أحدهما الإسلام، وبقي الآخر على نصرانيته -فلما علم رسول الله ﷺ بذلك- أمر ألا يُستوفى منهما ولا من أعقابهما جزية ولا خراج، وظل أمر النبي ﷺ نافذاً فترة ألف وثلاثمائة سنة، ثم أخذت الحكومة التركية تحصل منهم الأموال الأميرية، بعد سنة 1911 فقط، لما ثار أهل الكرك. والعزيزات يقطنون اليوم "مادبا" وهم من أقوى العشائر[1]. ويقال: إن هذه القبيلة سميت بالعزيزات لإعزاز الرسول ﷺ لها بإسقاط الجزية والخراج عنها -والله أعلم-.

وبناء على ذلك يكون حكم أهل الكتاب، الذين لم يعلنوا حرباً على الإسلام وأهله: ليس عليهم الجزية.

ويدل على ذلك أيضاً معاملة الرسول ﷺ ليهود المدينة حيث لم تفرض عليهم الجزية ولم يقاتلوا إلا عندما نقضوا عهودهم.

وكذلك معاملته لأهل نجران، عندما وفدوا إلى المدينة وعادوا إلى بلادهم، بعد المؤتمر الذي عقد بينهم وبين رسول الله ﷺ وحضره يهود المدينة.

وكذلك أيضاً وصيته عليه السلام لجيش مؤتة، وكان فيما وصاهم به: "اغزوا باسم الله فقاتلوا عدو الله وعدوكم في الشام، وستجدون فيها رجالاً في

---

[1] -الرسالة الخالدة لعبدالرحمن عزام ص286-233 طبعة وزارة التربية والتعليم في الأردن مصدر سابق نقلاً عن كتاب تاريخ شرق الأردن و قبائلها للكولونيل فريدريك بك.

الصوامع معتزلين فلا تتعرضوا لهم، ولا تقتلوا امرأة ولا صغيراً ولا بصيراً فانياً ولا تقطعوا شجراً ولا تهدموا بيتاً"[1]، فهذا النص يدل دلالة قاطعة على عدم جواز قتل من ذكر في هذا الحديث، وهم الذين لا يقاتلون المسلمين وأنه لا قتال إلا لمن قاتلنا. والمسلمون بعد رسول الله ﷺ ساروا على نهج رسول الله ﷺ.

كما يدل على ذلك أيضاً عدم الأمر بقتال المنافقين، مع أن ضررهم أعظم من ضرر الكافرين، لعدم حملهم السلاح ضد المسلمين، وقد كانوا كثيرين في زمن رسول الله ﷺ ويعيشون في المدينة المنورة وما حولها كما ذكر القرآن، قال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾[2].

فقد كان رسول الله لا يعلمهم، إلا أن الله أعلمه إياهم بعد ذلك، ويروى أن رسول الله ﷺ أعلم بهم حذيفة بن اليمان، كما ظهروا لرسول الله ﷺ وللمسلمين في أقوالهم وأفعالهم.

ومن أعمالهم بناؤهم لمسجد ضرار في قباء، وقت غياب رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، للتآمر على المسلمين، وقد أمره الله بهدمه. ومع ذلك لم يقتل واحداً منهم لأنهم لم يشهروا السلاح في وجه المسلمين ويقاتلوهم.

كما نقل الدكتور عبدالرحمن عزام عن المؤرخ الكبير والمختص في أسباب انتشار الإسلام في الأمم المسيحية أسباب ترك المسيحيين السير توماس أرنولد دينهم في العصور والأوطان المختلفة، وسرد الحوادث سرداً علمياً مدعماً بالحجج القاطعة، وفي كل زمان ومكان تتكرر مفخرة المسلمين التي لا يدانيهم فيها أحد؛ وهي التسامح وسعة الصدر والإنصاف للمخالفين في العقيدة.

---

[1] -نور اليقين للخضري ص214.

[2] -سورة التوبة: 101.

وسواء أكان المسيحيون الذين تركوا دينهم قد فعلوا ذلك إعجاباً بالـــدين الجديد وبأصحابه، أم بغضاً لما هم فيه من فرقة، أم يأساً من الإصلاح، أم فراراً من أذى بعضهم البعض، أم إهمالاً من قساوستهم ومرشديهم، أم طمعاً في دنيا، أم هدى من الله، فإن هذه الأسباب المتنوعة التي يشير إليها مؤرخ من أهل الملل الأخرى في تعليل إسلام المسيحيين، أدلة على بعد السيف عن ميـــدان العقيـــدة الإسلامية[1].

بل إن من أعظم الأدلة، على أن الإسلام لم ينشر بالسيف، إسلام طوائف من الصليبيين الذين حشدوا من كل جنس وجيل وجاءوا المشرق تغلي صدورهم بالبغضاء، وتقطر من أيديهم الدماء حتى ذبحوا النصارى في طريقهم، ممن لـــم ينشط لدعوتهم، أو ممن خالف رأيهم أو كان على غير مذهبهم فـــي المـــسيحية، هؤلاء العتاة القساة ما لبثوا أن اقتبسوا أدب أعدائهم، فاتسعت صدورهم، وتهذب تعصبهم، وتعلموا ممن يبغضونه التسامح.

بل إن كثيراً من زعماء الصليبيين، وكثيراً من عامتهم الـــذين قطعـــوا الأرض لقطع رقاب المسلمين، ارتموا في أحضان الدعوة التـــي غـــامروا كـــل مغامراتهم للقضاء عليها، منذ أول تعارف، ذلك هو أعجب آثار التـــسامح فـــي الإسلام.

فقد أسلم في الحرب الصليبية الأولى (رينورد) أمير طوائف الجرمـــان واللمبارديين، وأسلم معه خلق كثير منهم.

كما يروي السير توماس، عن راهب من رهبان سنت دنيس، كان قسيساً في المعبد الخصوصي للملك لويس السابع، ورافقه في هذه الغـــزوة، أن ثلاثـــة آلاف من الحجاج الصليبيين دخلوا الإسلام نتيجة غدر إخوانهم في الدين لهـــم، ولما لقوا في قلوب المسلمين من الرحمة في معاملتهم لهم، حيث واسوا المريض

[1] -انظر الرسالة الخالدة /لعبد الرحمن عزام من صفحة 292 إلى صفحة 296..

منهم، وأطعموا المساكين بسخاء وكرم، بعكس إخوانهم في الدين حيث نهبوا أموالهم وضربوهم.

يقول الراهب بعد أن سرد قصتهم: (كان الفرق عظيماً لدرجة حملت الصليبيين على اعتناق دين الأعداء المنقذين ومن غير أن يكرهوا أو يقهروا) ويقول: (واحسرتاه لقد ارتدوا عن المسيحية من غير أن يجبر واحد منهم على ترك دينه)[1].

وقد بلغ تأثير الإعجاب بشجاعة صلاح الدين وفضائله في الصليبيين أن كثيراً من أمرائهم وعامتهم المعجبين به ذهب بهم هذا الإعجاب إلى ترك دينهم وأهلهم والدخول في الإسلام.

مثل ذلك ما فعل الزعيم الإنجليزي (روبرت سنت أليان)، وكان ذلك قبل انتصار صلاح الدين في معركة حطّين الفاصلة، التي وقع فيها ملك القدس (جاي) أسيراً، ويقول بعض مؤرخي النصارى: إن ستة من أمراء هذا الملك استولى عليهم الشيطان ليلة المعركة فأسلموا وانضموا إلى صفوف الأعداء، دون أن يقهروا من أحد على ذلك[2].

أقول: هذه بعض الأمثلة والشواهد على انتشار الإسلام بالحجة والبرهان، بين أشد خصومها المحاربين، وفي أحلك أيام الدولة الإسلامية أيام غارات الصليبيين والتتار، بشهادة رجال التاريخ من النصارى ورجال الدين منهم، ومن أراد المزيد من الأمثلة والشواهد فليرجع إلى كتاب الرسالة الخالدة لعبدالرحمن عزام من صفحة 290 إلى صفحة 316.

---

[1] -انظر المصدر السابق من صفحة 300-304.

[2] -انظر المصدر السابق من ص300 إلى 304.

أسباب مشروعية الجزية في الإسلام

إلا أنه قد يقال: إن الإسلام فرض على أهل الكتاب وعلى المجوس الجزية إذا قاتل هؤلاء المسلمين وانتصر عليه المسلمون.

فالجواب: إن الجزية التي كان يدفعها هؤلاء دينار واحد على القادر منهم في السنة، ليس على النساء، ولا الأطفال، ولا العجزة، ولا الرهبان ورجال الدين، وفي مقابل ذلك يكون لكل واحد يعيش في الدولة الإسلامية حرية العقيدة، والحرية الاجتماعية، ومساواة المسلمين في الحقوق والواجبات، مع إعفائهم وجوب الدفاع عن الدولة الإسلامية.

أسباب فتح المسلمين لبلاد فارس

أما بالنسبة لما حصل بين المسلمين وبلاد فارس وأسباب قتال المسلمين لهم بإرسال أبي بكر الصديق رضي الله عنه جيشاً بقيادة خالد بن الوليد لقتالهم.

فأول ما حصل بين المسلمين وبين هذه الدولة الفارسية من اتصال، هو أن رسول الله ﷺ أرسل بعد صلح الحديبية كتاباً إلى ملوك العالم يدعوهم إلى الإسلام، فمنهم من رد رداً حسناً ومنهم من رد رداً قبيحاً مثل أبرويز كسرى ملك فارس، كما سبق أن ذكرت ذلك، حيث إن كسرى مزق كتاب رسول الله استكباراً وعتواً في الأرض، وهذا مما يدل على الجبروت والكبرياء، اللذين كانا شعاراً للملوك الأكاسرة في ذلك الوقت، ثم أرسل لعامله (باذان) على اليمن أن يبعث برجلين جلدين يأتيانه برسول الله ﷺ !! فتوجها كما أمر، فلما وصل الرجلان المدينة كلمهما رسول الله ﷺ وقال لهما:

في هذا اليوم قتل أبرويز قتله ابنه، وكان الأمر كما أخبر رسول الله ﷺ ، فإن ابنه شبرويه ثار عليه بمساعدة كبار الفرس فقتله واستولى على ملك فارس، فلما علم الرجلان صدق رسول الله ﷺ أسلما.

وفي عهده عليه السلام فتحت اليمن، وأسلم باذان، فولاه عليه السلام عليها، فكانت أول بلاد تحت حماية الفرس انضمت للإسلام، ثم انضم إليه أيضاً البحرين وعُمان، وكانتا تحت حماية الفرس أيضاً، فلما توفي رسول الله ﷺ، وولي الخلافة أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ارتدت كثير من القبائل العربية وأراد بعضها مهاجمة المدينة المنورة، وممن ارتد بعض أهل البحرين التي يسكنها بنو شيبان.

ويروى أن المثنى بن حارثة الشيباني، وهو من بني شيبان الذين كانوا يسكنون البحرين، كان قد وفد على رسول الله ﷺ بعد فتح مكة هو وزوجته سلمى بنت حفص مع وفد من قومه وأعلنوا إسلامهم، وبعد أن أسلم هذا الوفد بعث إليهم رسول الله ﷺ العلاء بن الحضرمي ليتولى شئون الدين عندهم ويعلمهم مبادئه وأصوله، ويفقههم فيه، ويؤمهم في صلاتهم، ويقضي بينهم بما يقضي به الدين[1].

ولما ارتد أهل البحرين بقي المثنى وزوجته على إسلامهم، حيث كان المثنى آمن عن عقيدة وعن ثقة في أن الإسلام هو الدين الذي بعث به الله إلى الناس كافة. وقد اتخذ موقفاً إيجابياً منه، فقد صمم أن يدافع عن هذا الدين، وانضم إلى جيش العلاء بن الحضرمي، ودعا أهله من بني شيبان ليبقوا على دينهم، وليخرجوا مع الخارجين لمحاربة المرتدين ولصيانة الدين[2].

وما أن تم للعلاء الانتصار على المرتدين، حتى أسرع المثنى، على رأس جيش كبير العدد، ونشر جنده على طول ساحل البحر، ليصد المنهزمين الفارين عن ركوبه وفتك بهم فتكاً ذريعاً، وقد استطاع المثنى أن يستولي على

---

[1] -انظر: إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء ص44 للشيخ محمد الخضري طبعة المكتبة التجارية الكبرى بمصر . الطبعة التاسعة 1383هـ -1964م.

[2] -انظر: كتاب المثنى بن حارثة الشيباني ص36-37 تأليف عقيد محمد فرج، طبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي للتأليف والترجمة والطباعة والنشر /مصر.

القطيف، وأن يصل بقواته إلى دلتا الفرات، مهدداً دولة الفرس التي كانت تسند القوات المرتدة بقيادة الحطم بن ضبيعة قائد المرتدين وتؤيدها وتعينها على ردتها ومهاجمة المسلمين، وتمكن المثنى من مقاومة دسائس الفرس ومن القضاء على أنصارها من مختلف القبائل العربية. ولقد كان اتصاله بأرض العراق في مقاومة المرتدين الذين تساندهم بلاد فارس بداية ومقدمة لفتح العراق وضمه إلى البلاد الإسلامية[1].

وبناء على ما تقدم فيكون تصرف كسرى أبرويز؛ بتمزيق كتاب رسول الله ﷺ ثم أمره لعامله على اليمن بإرسال شخصين لإلقاء القبض على رسول الله ﷺ ثم مساعدة المرتدين من البلاد العربية، التي كانت تحت حكم بلاد فارس، كأمثال اليمن والبحرين وعمان، في قتال المسلمين، هو السبب الرئيسي في توجه المسلمين لفتح بلاد فارس.

وقد تقدم المثنى بن حارثة رضي الله عنه، بقواته التي بلغت ثمانية آلاف من بني شيبان، حتى وصل إلى العراق الذي كان مستعمرة فارسية، على الرغم من كثيراً من العرب يعيشون فيه.

ولذا كان العرب يرونه أرضاً عربية يجب إنقاذه من أيدي الفرس، وكان الفرس يسيمون العرب صنوف العذاب والاضطهاد، ويشنون عليه الغارات مستغلين في ذلك ملوك الحيرة الذين يخضعون لسلطانهم.

وقد سمع أبو بكر الصديق رضي الله عنه، بانتصارات المثنى على المرتدين، وأنه سار بقواته شمالاً ووضع يده على القطيف، وتابع سيره إلى الشمال، وقضى على الفرس وعمالهم وتابع سيره إلى الشمال ونزل في قبائل العرب التي تقيم بدلتا النهرين وتحدث إليهم وتعاهد معهم.

---

[1] -انظر المصدر السابق ص51-52.

سأل أبو بكر الصديق رضي الله عنه، من حوله عن المثنى قائلاً: "من هذا الذي تأتينا أخبار وقائعه قبل أن نعرفه"؟ فانبرى له قيس بن عاصم بن سنان وأجابه قائلاً: "هذا رجل غير خامل الذكر ولا مجهول النسب ولا ذليل العماد، هذا المثنى بن حارثة الشيباني"[1].

فلذلك رأى أبو بكر الصديق رضي الله عنه الفرصة مواتية للانتقام، من الفرس الذين مزقوا كتاب رسول الله ﷺ ، والذين طلب ملكهم كسرى عامله على اليمن بإلقاء القبض على رسول الله ﷺ ، ولتأمين الدولة الإسلامية التي كانت تضم شبه الجزيرة العربية، من دسائس الفرس وعدوانهم على الدولة الإسلامية من قبل أتباعهم، وذلك بسبب ما سمعه من انتصارات المثنى عليهم، فأمر خالد بن الوليد أن يجمع بقية جنده الذين معه في معركة اليمامة التي انتصر فيها على مسيلمة الكذاب، وأن يسير بهم إلى العراق، على أن تكون له القيادة بطبيعة الحال، وفي ذات الوقت أمر أبو بكر عياض بن غنم بالسير إلى دومة الجندل، فإذا ما أخضع أهلها المتمردين تحركا شرقا إلى الحيرة لمعاونة خالد في مهمته. وتحرك خالد رضي الله عنه وكان تحت إمرته عشرة آلاف مقاتل، واستقبله المثنى ومعه ثمانية آلاف، وبذلك تكون الجيش الإسلامي الذي على يديه تم فتح معظم بلاد فارس، وعلى المعتدي تدور الدوائر.

والسؤال هنا للبابا هل المسلمون كانوا هم البادئين في الاعتداء، أم الفرس الذين مزقوا كتاب رسول الله ﷺ ؟

وبعد هذا البيان بالنسبة لتاريخ الدعوة الإسلامية، سواء بالنسبة للجزيرة العربية أو بالنسبة لقتال المسلمين للروم، أم قتالهم للفرس، يظهر لنا أن الرسول ﷺ والمسلمين من بعده، لم يشهروا السلاح لإكراه الناس على الدخول في الإسلام، وإنما عدوهم هو الذي بدأ العدوان وشهر السلاح والسيوف في وجوههم، وأن الخدمة التي أداها السيف للإسلام هي: منع الرسول والمسلمين أن

---

[1] -المصدر السابق ص62-63.

يقعوا فريسة لخصومهم من العرب واليهود والروم والفرس، كما مكن لهم من نشر دعوة الإسلام ونشرها وإيصالها إلى عقول الناس وقلوبهم جميعاً من العرب والروم والعجم، وإلى جميع أنحاء المعمورة، بالحكمة والموعظة الحسنة.

وينقل لنا الدكتور نظمي لوقا، المسيحي المعتقد، في كتابه (عمر بن الخطاب) أمثلة من بر المسلمين في أهل الذمة، وذكر فيما ذكره (الوثيقة العمرية) والتي تتضمن نص الصلح الذي صالح فيه عمر بن الخطاب أهل إيلياء (بيت المقدس) الجابية، وكتب لهم فيها الصلح، والتي جاء فيها:

(بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان: أعطاهم لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقض منها ولا من حيزتها، لا من صليبهم ولا شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود. وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم السراق (أي اللصوص) فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية. ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم، حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان، فمن شاء منهم قعدوا عليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية. ومن شاء سار مع الروم. ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم. وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية. شهد على ذلك

خالد ابن الوليد وعمرو بن العاص وعبدالرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان. وكتب وحضر سنة خمس عشرة)[1].

أقول: هذه الوثيقة نقلها د.نظمي لوقا عن ابن جرير الطبري وهي مذكورة في معظم كتب التاريخ القديمة، وقد كانت موجودة في كتاب التربية الإسلامية للصف السادس الابتدائي لطلاب المملكة الأردنية الهاشمية ثم حذفت من هذا الكتاب عام 1972م لأجل التطبيع مع دويلة اليهود المزعومة.

ويسكن اليهود فيها الآن مخالفين في ذلك هذه الوثيقة التي تم فيها الصلح بين المسلمين، ويمثلهم فيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وبين النصارى ويمثلهم فيها بطريق النصارى، منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام.

ويعلق الدكتور نظمي لوقا على زهد عمر وعلى ما جاء في هذه الصحيفة فيقول:

(فكيف لا يبهر الناس بهذا الزهد، وهذا العفو عند المقدرة، وهذه السماحة، وأين هذا من صلف الرومان وبطشهم وجورهم؟ وكيف بعد هذا لا يرون فيه "المخلص"؟

وينقل عن الطبري فيقول: ويستطرد الطبري بعد ذلك فيصف فرح أهل إيلياء والبطريق بهذا الصلح السخي، فيقول:

وبعدها شخص عمر إلى بيت المقدس من الجابية فرأى فرسه يتوجع "أي يتألم من وجع أو إصابة في حافره" فينزل عنه فأتوه ببرذون (بغل) فركبه، فهزه "متبختراً" فنزل عنه، فضرب وجه البرذون بردائه ثم قال: قبح الله من علمك هذا ! هذا من الخيلاء!.

---

[1] -الدكتور نظمي لوقا: عمر بن الخطاب البطل والمثل والرجل ص199 الناشر مكتبة غريب القاهرة.

ثم دعا بفرسه، بعدما أجمه "أراحه" أياماً حتى صلب حافره، فركبه ثم سار حتى انتهى إلى بيت المقدس.

وعن أبي مريم مولى سلامة قال: شهدت فتح إيلياء مع عمر رحمه الله، فسار من الجابية فاصلاً حتى يقدم إيلياء، ثم مضى حتى يدخل المسجد "يعني الكنيسة الكبرى" ثم مضى حتى محراب داود ونحن معه، ثم قرأ سجدة داود، فسجد وسجدنا معه.

ثم يقول الدكتور نظمي لوقا: إن عمر صار في نظر أهل إيلياء بزهادته وحمايته حقوق النصارى المضطهدين نِعْمَ "المُخَلِّص" فأسموه "الفاروق"... فصار الفاروق علماً عليه إلى يومنا هذا... حتى قال الشاعر المعاصر:

مفرق الحق والضلال أتى فادع منه الفاروق أو عمرا

وقد بلغ من تحرج عمر، واحتياطه لحقوق المسيحيين في كل مكان، أنه عندما حان موعد الصلاة، وأراد البطريق أو الأسقف له أن يصلي في الكنيسة أبى، وخرج إلى سلمها الخارجي، حتى لا يطالب المسلمون من بعده بالكنيسة قائلين: إنها "مصلى عمر".

"نعم الفاروق هو"

ونعم ولي الأمر هو لأهل دينه وغير دينه على السواء.

نعم البطل هو على الجملة، ونعم المثل) وضرب بعد ذلك أمثلة كثيرة من رحمته وعدله في معاملته لأهل الذمة.

أقول: هذا كاتب مسيحي المعتقد، بل هو من أقباط مصر، يروي لنا أمثلة من عدل أمير المؤمنين عمر وعفوه عنهم بعد قدرته عليهم.

ونص الصلح الذي عقده مع أهل القدس عندما دخلها قد وفى به في حياته. كما أن المسلمين من بعده وفوا للنصارى بما جاء فيه، وإن نكث بعضهم

بعد أكثر من ألف عام، بالسماح لليهود بالسكنى في بيت المقدس. وكان من نتيجة ذلك أن تجمع بعض اليهود في القدس قبل الحرب الأولى، وقامت إسرائيل بمساعدة من النصارى الغربيين الصليبيين، فنقض ما تم الاتفاق عليه بين المسلمين ونصارى الشرق الذين اشترطوا على عمر عدم السماح لليهود بسكنى بيت المقدس. وكان ينبغي على خلفاء المسلمين وحكامهم، محافظة على ما جاء يف العهدة العمرية،ألا يسمحوا لليهود بسكنى بيت المقدس.

أقول بعد هذا للبابا: هل أتباعك من النصارى كانوا يحافظون على عهودهم ومواثيقهم في أي بلاد انتصروا فيها على المسلمين؟

هل أسلافك من النصارى حافظوا عليها أثناء الحروب الصليبية، حيث قاموا بمجازرهم الوحشية ضد المسلمين والنصارى الذين كانوا يسكنون بيت المقدس؟ حتى تجاوزت قتلاهم المائة ألف، سوى ما قتلوه أثناء طريقهم بعد ما دخلوا اليونان وإستنبول، وذبحوا إخوانهم النصارى الذين رفضوا اعتناق المذهب الكاثوليكي.

إن كنت لا تعلم ذلك، فاسأل من أرخ من أتباعك للمحاربين الصليبيين الذين يتباهون بما قتلوه من المسلمين والنصارى على حد سواء.

كما أسألك كم قتل أسلافك من المسلمين واليهود الذين كانوا يسكنون الأندلس بحد السيف والصلب، ليجبروهم على التنصر بواسطة محاكم التفتيش، ونقضوا عهودهم ومواثيقهم معهم التي عقدوها حين استسلم المسلمون لهم، وخاصة مدينة غرناطة، إن كنت تجهل ذلك فاسأل التاريخ الذي كتبته أقلام أتباعك يجيبك عن ذلك، لتعلم أن النصرانية هي التي انتشرت بحد السيف، بواسطة محاكم التفتيش التي أقامها أتباع مذهبك الكاثوليكي.

بل اسأل التاريخ والواقع كم حول من مساجد المسلمين إلى كنائس في الأندلس، وآثار المساجد ما زالت قائمة في الكنائس إلى الآن!! ثم تزعم بعد هذا

أن محمداً نشر دينه بحد السيف، فأنت ممن يصدق بهم المثل القائل "رمتني بدائها وانسلت".

ويذكر التاريخ أنه كان قد بقي في المدينة المنورة في زمن عمر بعض النصارى واليهود، وحسبك، كما يقول الدكتور نظمي لوقا، أن أبا لؤلؤة الذي قتل عمر كان عبداً نصرانياً وأن غيره من الأحرار أيضاً كانوا فيها، من النصارى وبعضهم من اليهود ثم يقول: وفيمن بقي من اليهود بالمدينة كان شيخ أعمى رآه يسأل، فتألم عمر وقال: ما أنصفناه! أكلناه لحماً ونرميه عظماً!

ثم أمر بتسجيل سائر أمثاله من العجزة الذميين كي يكون لهم من بيت مال المسلمين ما يكفيهم الحاجة! وما كان اليهود أحب الذميين إليه بطبيعة الحال!

وهذا هو معنى أنهم "أهل ذمة" وهو يتأدب بأدب يشبه الذي قرر؛ أن من آذى ذمياً كان النبي خصمه يوم القيامة.

ثم يقول: وما كانت الجزية إلا ما نسميه اليوم "بدل التجنيد" أي مقابل قيام المسلمين بالدفاع عن الذميين عسكرياً، لأنه لا ينخرط في سلك الجندية بالدولة الإسلامية –والدولة يومئذ دينية لا قومية– أحد غير المسلمين، إنها ضريبة الدفاع وضريبة الأمن.

ومقطوع أن الذميين في ذلك العهد كانوا يدركون أن الدولة دينية، لأن القومية لم تكن قد برز مفهومها بروزه في العصور الحديثة، ولذا كانوا يقبلون تلك الجزية فرحين[1].

---

[1] -انظر عمر بن الخطاب للدكتور نظمي لوقا الصفحتين 204-205.

المراد بالكتاب المقدس عند النصارى

وبعد أن بينت عدم صحة افتراءات البابا على رسول الله ﷺ ، وعلى العقيدة الإسلامية، وعلى زعمه أن الإسلام ينافي العقل، وذلك بما لا يدع مجالاً للشك في أن ما قاله هو ناتج عن تعصب أعمى وعن حقد صليبي كامن في نفسه؛ أبين أن ما زعمه بأن الإسلام ينافي العقل السليم هو حقيقة الديانة النصرانية، وذلك بذكر بعض ما ورد في الكتاب الذي يؤمن به البابا وجميع النصارى في العالم وهو ما يسمى "بالكتاب المقدس" وهو يتكون من جزأين رئيسيين هما: "العهد القديم" و"العهد الجديد". ويتكون -حسب عقيدة البروتستانت- من 39 سفراً بخلاف ملحق يعرف بالأبو كريفا (الأسفار المحذوف)، على حين تضيف الطوائف النصارنية الأخرى مثل الكاثوليك والإنجيليين والكنائس الآرثوذكسية تلك الأسفار المحذوفة -وعددها 14سفراً- إلى أسفار العهد القديم، وبذلك يصبح مجموع أسفاره 53سفراً.

ويتكون العهد القديم من ثلاثة أجزاء:

الجزء الأول: الناموس وهو يتكون من الأسفار التالية:

1-التكوين 2-الخروج 3-اللاويين 4-العدد. 5-التثنية.

وهذه الأسفار الخمسة تنسب إلى موسى ولذلك تعرف بالتوراة.

أما باقي الأسفار فمنها ما ينسب إلى الأنبياء السابقين قبل موسى، ومنها ما ينسب إلى الأنبياء المتأخرين الذين جاءوا بعد موسى على رأي اليهود، ومنها ما يطلقون عليها الكتب.

ويؤمن اليهود بهذه الأسفار التسعة والثلاثين، ولذلك يطلق عليها الأسفار اليهودية.

أما أسفار العهد الجديد فهي التي تكون الجزء الرئيسي الثاني من الكتاب المقدس عندهم، فهي الأسفار المسيحية التي قبلتها الكنائس المختلفة بدرجات متفاوتة، على مدى قرون عديدة من الجدل والاختلاف.

ويحتوي العهد الجديد على سبعة وعشرين كتاباً، ومنها الأناجيل الأربعة وفق روايات: متى، ومرقس، ولوقا، ويوحنا.

هذه فكرة موجزة عن الكتاب المقدس الذي يؤمن به النصارى حيث يشمل العهد القديم الذي يؤمن به اليهود، والعهد الجديد الخاص بالنصارى.

أقول: إن بيان ما ورد في أسفار العهد القديم والجديد، مما يخالف العقل السليم، يطول بنا ويحتاج إلى مجلدات، وقد بينها كثير من العلماء المسلمين، وبعض كتاب النصارى كأمثال الدكتور موريس بوكاي في كتابه (القرآن والتوراة والإنجيل والعلم) والكاتب الدكتور جورج كنعان في كتابه (أمجاد إسرائيل في أرض كنعان) وغيرهما.

وأكتفي هنا أولاً ببيان بعض ما ورد في التوراة من افتراءات تناقض العقل السليم، وذلك بالنسبة للعهد القديم، ثم ببيان بعض ما ورد في بعض الأناجيل بالنسبة للعهد الجديد.

<u>أولاً: بالنسبة للتوراة.</u>

1-الافتراء على هارون عليه السلام أنه هو الذي صنع العجل وأنه دعاهم لعبادته.

جاء في سفر الخروج من التوراة في الإصحاح الثاني والثلاثين ما يلي: (ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له: قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا. لأن هذا موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه. فقال لهم هارون: انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتوني بها. فنزع كل الشعب أقراط

الذهب التي في آذانهم وأتوا بها إلى هارون، وأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالأزاميل وصنعه عجلاً مسبوكاً، فقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر، فلما نظر هارون بنى مذبحاً أمامه. ونادى هارون وقال: غداً عيد الرب، فبكروا في الغد وأصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة. وجلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب.)[1].

أقول: انظر أيها القارئ لهذا النص وتأمل بعقلك، فهل من المعقول أن نبياً من الأنبياء يصنع لقومه عجلاً من ذهب ثم يدعوهم لعبادته، ثم يجعل له عيداً، ثم يبني له مذبحاً لكي يذبحوا له. أليس هذا افتراء على سيدنا هارون عليه السلام؟

ولقد جاء في القرآن ما يكذب هذا النص. وذلك في سورة طه قال الله تعالى مخاطباً سيدنا موسى: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَى، قَالَ هُمْ أُولَاء عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى، قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ، فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناً أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي، قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَاراً مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ، فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ، أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً، وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي، قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى، قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا، أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي، قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي، قَالَ فَمَا

---

[1] -الكتاب المقدس أي (كتب العهد القديم والعهد الجديد) ، طبعة جمعيات الكتاب المقدس المتحدة بيروت، 1958 سفر الخروج الإصحاح الثاني والثلاثون الفقرات من 1 إلى 9، صفحة 98.

خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ، قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي، قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِداً لَّنْ تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفاً، إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً﴾[1] .

فهذه الآيات بينت قصة سيدنا موسى، مع قومه الذين عبدوا العجل، وهي: أن موسى عليه السلام سبق قومه إلى الطور لمناجاة ربه، فسأله الله عن السبب الذي أعجله بالحضور دون قومه، فقال موسى: إن قومي قريبون مني لاحقون بي سائرون على أثري في الطريق، وإنما سبقتهم إليك يا رب رغبة في رضاك. قال الله له: إنا قد امتحنا قومك من بعد مغادرتك لهم ليتميز الخبيث منهم من الطيب، إذ أضلهم رجل إسرائيلي أصله من منطقة السامرة في فلسطين، وكان قد رحل إلى مصر بعد إقامة بني إسرائيل فيها، وخرج معهم، فعاد موسى إلى قومه في غضب شديد مع شدة الأسف والحزن. وخاطب قومه منكراً عليهم بقوله: لقد وعدكم ربكم النجاة والهداية، بإعطائكم التوراة التي فيها هدى ونور، والنصر بدخول الأرض المقدسة، ولم يطل عليكم العهد حتى تنسوا وعد الله لكم، وقد أردتم بسوء صنيعكم أن ينزل بكم غضب الله بطغيانكم الذي حذركم منه، فأخلفتم عهدكم لي، بالسير على أثري وبالثبات على ديني. فقال قوم موسى: ما أخلفنا العهد بإرادتنا واختيارنا. بل كنا مكرهين حيث حملنا أثقالاً و أحمالاً من حلي آل فرعون -إذ كانوا استعاروا الحلي من آل فرعون- فطرحناها في النار بأمر السامري، وكذلك فعل السامري: ألقى ما كان معه من حلي القوم في النار، حيث قال لهم السامري لما أبطأ موسى في العودة إنما احتبس عليكم موسى لأجل ما أخذتموه حيلة من أهل مصر لأنه نجس، فجمعوه ودفعوه إلى السامري فرمى به في النار، وصاغ لهم منه عجلاً، ثم ألقى عليه قبضة من أثر جبريل عليه السلام، فصار له خوار وهو صوت البقر، ودعاهم

---

[1] -سورة طه: 83-98.

إلى عبادته فاستجابوا له. فقال هو وأتباعه: هذا العجل إلهكم وإله موسى، فنسي موسى إلهه هنا، وذهب يطلبه في الطور.

فقال الله رداً عليهم وبياناً لسخافة عقولهم في عبادة العجل: أفلا يعلمون أن العجل الذي زعموا أنه إلههم لا يرد لهم جواباً، ولا يقدر أن يدفع عنهم ضراً أو يجلب لهم نفعاً، فكيف يكون إلهاً؟ والاستفهام للتوبيخ والتقريع، ولقد قال لهم هارون قبل مجيء موسى، وذلك عندما عبدوا العجل: يا قوم لقد وقعتم في فتنة السامري وضللتم بهذا العجل، وإن ربكم المستحق للعبادة هو الله الرحمن دون سواه فاتبعوني فيما أنصحكم به وامتثلوا رأيي بترك عبادة هذا العجل، واعبدوا الله وحده الذي خلقكم، قالوا: سنظل مستمرين على عبادة هذا العجل، إلى أن يعود موسى إلينا فننظر في الأمر.

فلما رجع موسى ووجدهم عاكفين على عبادة العجل امتلأ غضباً لله، وأخذ برأس أخيه هارون يجره إليه وقال له: أي شيء منعك حين رأيتهم كفروا بالله ، أن تكفهم عن هذه الضلالة إذ وقعوا فيها؟ ولم تقم مقامي بنصحهم كما عهدت إليك، أفلا تتبعني فيما عهدت به إليك، أم هل عصيت أمري. فأجابه هارون استعطافاً وترفقاً: يا ابن أمي لا تعاجلني بغضبك، ولا تمسك بلحيتي ولا برأسي، لقد خفت، إن زجرتهم بالقوة، أن يقع قتال بينهم ويتفرقوا شيعاً وأحزاباً، وأن تقول لي فرقت بين بني إسرائيل، ولم تخلفني فيهم كما عهدت إليك.

ثم توجه بالخطاب إلى السامري فقال له: ماشأنك فيما صنعت؟ وما الذي حملك عليه يا سامري؟

قال السامري: رأيت ما لم يروه إذ رأيت آثار جبريل عليه السلام، فأُلقي في نفسي أن أقبض من أثره قبضة، فطرحتها على العجل، فكان له خوار، وكذلك زينت لي نفسي أن أفعل ما فعلت.

فقال موسى للسامري: اخرج من جماعتنا وابعد عنا، وإن جزاءك في الدنيا أن تهيم على وجهك وتقول للناس: لا يقربني منكم أحد، فلا تمس أحداً ولا يمسسك أحد. وإن لك موعداً محدداً في الآخرة لا تستطيع الفرار منه، وانظر إلى هذا العجل الذي اتخذته إلهاً لك وأقمت ملازماً لعبادته، لنحرقنه في النار، ثم لنطيرنه رماداً في البحر لا يبقى منه أثر.

ثم توجه إلى بني إسرائيل مخاطباً إياهم:

إنما معبودكم المستحق للعبادة هو الله الذي لا رب سواه، الذي وسع علمه كل شيء فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

فهذه القصة التي وردت في القرآن الكريم تبرئ سيدنا هارون مما ورد في التوراة المحرفة، بأنه هو الذي صنع لهم العجل ودعاهم لعبادته وأن الذي صنعه هو السامري، وأن هارون نصحهم وأمرهم بعدم عبادته، ولم يزجرهم بالقوة كما فعل سيدنا موسى، لأنه كان ليناً، وخاف إن زجرهم بالقوة أن ينقسموا أحزاباً وشيعاً.

فانظر أيها الإنسان، سواء كنت يهودياً أو نصرانياً، الفرق الكبير بين ما ذكر في التوراة وما جاء في القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لأنه تنزيل من رب العالمين.

2-افتراء على النبي لوط عليه السلام بأنه زنى بابنتيه:

جاء في سفر التكوين في الإصحاح التاسع عشر ما يلي: (وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه، لأنه خاف أن يسكن في صوغر. فسكن في المغارة هو وابنتاه. وقالت البكر للصغيرة: أبونا قد شاخ، وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض، هلم نسقي أبانا خمراً ونضطجع معه، فنحيي من أبينا نسلاً. فسقتا أباهما في تلك الليلة، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. وحدث في الغد أن

البكر قالت للصغيرة: إني قد اضطجعت البارحة مع أبي. هلمّ لنسقيه خمراً الليلة أيضاً، فادخلي واضطجعي معه فنحيي من أبينا نسلاً. فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة أيضاً، وقامت الصغيرة واضطجعت معه. ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. فحملت ابنتا لوط من أبيهما. فولدت البكر ابناً ودعت اسمه مؤاب. وهو أبو المؤابين إلى اليوم. والصغيرة أيضاً ولدت ابناً ودعت اسمه بَن عمّى. وهو أبو بني عمون إلى اليوم)[1].

أقول للنصارى واليهود الذين يؤمنون بهذه التوراة:

هل السكران يفقد حواسه فلا يعرف ابنتيه من غيرهما؟

ثم لو فرضنا أن السكر زاد به فلا يعرف من اضطجع إلى جنبه، فبمثل هذه الحالة يفقد السكران قوته الجنسية ولا يتمكن من أن يجامع امرأة وخاصة إذا كان شيخاً كبير السن مثل لوط وابنتيه البكرين، وكيف استطاع أن يفض بكارة كل واحدة منهما ولا يعرف أية واحدة منهما؟

ثم من أين لهما الخمر، وقد دمرت القرى الأربع التي كانوا فيها؟ كذلك قول بنته البكر (وليس في الأرض رجل ليدخل علينا) أليس إبراهيم عليه السلام ورعاة مواشيه بالقرب منهم؟

اللهم إن هذا افتراء على نبي الله لوط عليه السلام وعلى بنتيه.

3-افتراء على أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام بأنه أمر زوجته أن تكذب ليتزوجها فرعون ويتمتع بها ولا يغار عليها إبراهيم!!

جاء في سفر التكوين أيضاً في الفصل الثاني عشر ما يلي: (وحدث جوع في الأرض فانحدر أبرام –أي إبراهيم عليه السلام– إلى مصر ليتغرب هناك. لأن الجوع في الأرض كان شديداً. وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه

---

[1] –سفر التكوين الإصحاح التاسع عشر الفقرات من 30 إلى 38، الصفحة: 21، المصدر السابق.

قال لسارة أي امرأته: إني قد علمت أنك امرأة حسن المنظــر. فيكــون إذا رآك المصريون أنهم يقولون: هذه امرأته، فيقتلونني ويستبقونك. قولي: إنك أختــي، ليكون لي خير بسببك!! وتحيا نفسي من أجلك.

فحدث لما دخل أبرام إلى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها حــسناء جداً. ورآها رؤساء فرعون، ومدحوها لدى فرعون، فأخذت المرأة إلــى بيــت فرعون، فصنع إلى أبرام خيراً بسببها. فصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال. فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب سارة امــرأة أبرام. فدعا فرعون أبرام وقال: ما هذا الذي صنعت بي؟ لماذا لم تخبرني أنهــا امرأتك؟ لماذا قلت: هي أختي؟ أخذتها لي لتكون زوجتي. والآن هوذا امرأتــك واذهب. فأوصى عليه فرعون رجالاً فشيعوه وامرأته وكل ما كان له)[1].

أقول: انظر أيها الإنسان العاقل، كيف يفترون على سيد الأنبياء إبراهيم عليه السلام، وهل من المعقول عقلاً أن يأمر زوجته أن تكذب فتزعم بأنها أخته لأجل أن ينجو من القتل، ويحسن إليه فرعون فيعطيــه غنمــاً وبقــراً وجمــالاً وحميراً وإماء وأتناً وجمالاً، في مقابل أن يتزوج فرعون زوجته، ويتمتــع بهــا كزوجة فترة من الزمن. أوليس في مصر كلها نساء جميلات فيختــار فرعــون إحداهن زوجة له. وهل كانت زوجة إبراهيم أجمل من نساء مــصر فاختارهــا فرعون زوجة له؟!!!

وهل من المقبول عقلاً أن لا يغار إبراهيم على زوجته إذ يرى فرعون يتمتع بها؟!!

إن الحيوانات كلها تغار على أنثاها إلا الخنزير. فهل وصل إبراهيم عليه السلام، في نظر اليهود والنصارى وعلى رأسهم البابا، إلى درجة الخنزير، كما ورد في التوراة التي يؤمنوا بها؟!! حاش وكلا لإنسان فيه الغيرة والمــروءة أن

[1] –سفر التكوين الإصحاح الثاني عشر الفقرات من 10-20 صفحة 14.

يصل إلى هذا المستوى الأخلاقي بنبي من أنبياء الله، فضلاً عن إبـراهيم أبـي الأنبياء!!

إن اليهود، في هذا النص، يوحون إلى اتباع ديانتهم أن أباهم إبراهيم هو الذي كيف الأوضاع ورتب الأمور، بحيث أصبح من الممكن أن يسمع فرعـون أن في مصر رجلاً غريباً، وأن معه امرأة جميلة جداً، فيرسل فرعون في طلبها، ويكون لزوجها خير بسببها. وفي قول إبراهيم لامرأته (قولي إنك أختي) يـشعر القارئ لهذا النص بأنه كان يرسم خطة لما يأمل أن يتم، فهو يصرح بهذا بقصده (ليكون لي خير بسببك) وذلك على جواز "أن الغاية تبرر الوسيلة" .

ومن حقي أن أسأل البابا، بالنسبة لهذا النص، أكثر من سـؤال: كيـف استطاع إبراهيم أن يصل إلى ما توقعه، مستنداً إلى علة افترض حصولها وهـو يدخل مصر أول مرة؟

هل للبابا أن يصور لنا مبلغ الإغراء في ساراي وهي التي كان لها مـن العمر خمسة وستون عاماً على رواية التوراة؟

هل كان فرعون رجلاً همجياً شهوانياً يغتصب النساء من بيوتهن لمجرد كونهن جميلات؟

اللهم إن هذا بهتان عظيم على نبيك إبراهيم عليه السلام.

أقول: وما جاء في هذه القصة (فضرب الرب فرعون وبيته ضـربات عظيمة بسبب ساراي امرأة أبرام فدعا فرعون إبرام وقال: ما هذا الذي صنعت بي؟ لماذا لم تخبرني بأنها امرأتك؟ لماذا قلت هي أختي حتى أخذتها لي لتكـون زوجتي؟ والآن هوذا امرأتك).

ترى ما ذنب فرعون لكي يتعرض هو وبيته إلى ضربات عظيمة؟

أقول: هذا مثال العدل الذي تقوم به إسرائيل، اليوم في فلـسطين، مـن إجرام واتهام الشعب الفلسطيني بأنه هو الإرهابي وهي على حق، وكـأني فـي

كتابتهم لهذه القصة وزعمهم بأنها من التوراة التي نزلت على موسى، أرادوا أن يعطوا مثالاً للشعب اليهودي كي يستعينوا بنسائهم لنيل مآربهم، وهذا ما هو حاصل اليوم، وكما ورد في بروتوكولات حكماء صهيون.

والعجيب أن هذه القصة نسبوا إلى إبراهيم بأنها كررها في جنوب سوريا مع أبي مالك ملك جرار الفلسطيني، وحصل في مقابل ذلك على غنم وبقر وعبيداً وإماء، وذلك كما ورد في سفر التكوين الإصحاح20. الفقرات من 1 إلى 7 صفحة 21.

4-الافتراء على أم البشرية حواء زوجة آدم عليه السلام بأنها هي التي أغرت آدم بالأكل من الشجرة.

ورد في سفر التكوين في الإصحاح الثالث: قصة آدم وحواء بالنسبة للأكل من الشجرة، والتي بسببها يزعمون بأن حواء هي التي أخرجت آدم عليه السلام من الجنة:

(وكانت الحية أصل جميع الحيوانات البرية التي عملها الرب الإله، فقالت للمرأة –أي حواء– أحقاً قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة، فقالت المرأة للحية: من ثمر شجر الجنة نأكل، وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة، فقال الله: لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا.

فقالت الحية للمرأة: لن تموتا، بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر. فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل، وأنها بهجة العيون، وإن الشجرة شهية للنظر، فأخذت من ثمرها وأكلت، وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل، فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان، فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزراً.

وسمعا صوت الرب الإله ماشيا في الجنة عند هبوب ريح النهار، فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة، فنادى الرب الإله آدم

وقال له: أين أنت؟ فقال سمعت صوتك في الجنـة فخشيت، لأنني عريـان فاختبأت، فقال من علمك أنك عريان، هل أكلت من الشجرة التي أوصـيتك ألاّ تأكل منها، فقال آدم: المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلـت، فقال الرب الإله للمرأة: ما هذا الذي فعلت؟ فقالت المرأة: الحية غرتني فأكلت.

فقال الرب الإله للحية: لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميـع البهـائم ومن جميع الوحوش البرية، على بطنك تسعين، وتراباً تأكلين كل أيام حياتـك. وأضع عداوة بينك وبين المرأة، وبين نسلك ونسلها، هو يسحق رأسـك وأنـت تسحقين عقبه.

وقال للمرأة: تكثيراً أكثر أتعاب حبلك، بالوجع تلدين أولاداً، وإلى رجلك يكون اشتياقك، وهو يسود عليك.

وقال لآدم: لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التي أوصـيتك قائلاً لا تأكل منها، ملعونة الأرض بسببك، بالتعب تأكل منها كل أيـام حياتـك، وشوكاً وحسكاً تنبت لك، وتأكل عشب الحقل، بعرق وجهك تأكل خبـزاً، حتـى تعود إلى الأرض التي أخذت منها، لأنك تراب وإلى التراب تعود. ودعا آدم اسم امرأته حواء، لأنها أم كل حي، وصنع الرب الإله لآدم وامرأته حواء، أقمـصة من جلد وألبسهما.

وقال الرب الإله: هوذا الإنسان صار كواحد منا عارفاً الخير والـشر، والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا إلى الأبد.

فأخرجه الرب الإله من جنة عدن، ليعمر الأرض التي أخذ منها، فطرد الإنسان، وأقام شرقي جنة عدن الكروبيم، ولهيب سيف متقلب لحراسة طريـق شجرة الحياة)[1].

[1] –المصدر السابق: سفر التكوين الإصحاح الثالث ص5–6.

أقول: هذه قصة حواء والأكل من الشجرة كما وردت في التوراة التي يؤمن بها النصارى واليهود، وعلى رأسهم البابا الذي يزعم صحتها، والتي بسببها يعتبرون المرأة لعنة لأنها أغوت آدم بالأكل من الشجرة وأخرجته من الجنة!!!

وإني أسأل البابا، ومن يؤمن بصحة هذه التوراة، عن هذه القصة التي لا يستسيغها عقل سليم، وزعموا أنها جزء من التوراة أي كلام الله؟!!

هل الله يجهل ما يحصل في ملكه حتى ينادي ويقول يا آدم أين أنت؟ ثم يستفسر منه ما حصل له، فيقول هل أكلت من الشجرة؟

هل الحية تتكلم فكلمت حواء وأغوتها حتى أكلت من ثمرة تلك الشجرة هي وزوجها آدم؟؟

وهل الحية تأكل التراب كما ورد في هذه القصة في التوراة، أم أنها تأكل الحشرات؟.

وبالنسبة لقوله (على بطنك تسعين) فهل الحية كان لها أرجل فذهبت أرجلها بسبب إغوائها لحواء أم أن الله خلقها بدون أرجل من يوم خلقها؟

وهل هناك شجرة إن أكلت من ثمرها تعرف الخير والشر؟

هل الإله الذي خلق السموات والأرض وما فيهن كذاب -حاش لله- حيث قال لآدم وحواء: "لا تأكلا منه أي من ثمر تلك الشجرة ولا تمساه لئلا تموتا"؟

هل هناك شجرة اسمها شجرة الحياة من أكل منها يحيا إلى الأبد ويصبح مثل الإله كما ورد في القصة؟

أما بالنسبة لما جاء في القرآن الكريم، بالنسبة للأكل من الشجرة، فقد ورد في ثلاثة مواضع: من سورة البقرة، وسورة الأعراف، وسورة طه.

فقد قال الله تعالى في سورة طه: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى، فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى، ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾[1] .

وقال في سورة الأعراف: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾[2] .

وقال في سورة البقرة: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ، فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾[3].

أقول: فتأمل أيها الإنسان العاقل، في قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾ ولم يقل إن الحية هي التي قالت للمرأة وأغرتها بالأكل من الشجرة، ثم إن حواء أغرت زوجها كما ورد في التوراة.

وورد في الآية الثانية أن الوسوسة حصلت لحواء أيضاً، في قوله تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾. كما ورد في الآية التالية: ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ﴾.

أي إن السبب في الأكل من الشجرة هو الشيطان وليست الحية، وأن حواء لم تغر آدم وتدفعه للأكل من الشجرة، كما ورد في التوراة المزعومة والمقدسة عند البابا وجميع النصارى واليهود، والتي من أجلها يحقدون على المرأة ويقولون: إن المرأة هي التي أخرجت آدم من الجنة، كذباً وافتراء على المرأة. وإن المرأة بريئة من هذه التهمة التي وردت في التوراة.

---

[1] –سورة طه: 120–122.

[2] –سورة الأعراف: 20.

[3] –سورة البقرة: 35–36.

5-افتراء على يعقوب عليه السلام بأنه صارع الله وصرع الله!!

جاء في سفر التكوين في الإصحاح الثاني والثلاثين ما يلي: (فبقي يعقوب وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر. ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حُقّ فخذه، فانخلع حقُّ فخذ يعقوب في مصارعته معه، وقال: أطلقني لأنه قد طلع الفجر، فقال: لا أطلقك إن لم تباركني، فقال له: ما اسمك قال: يعقوب، فقال: لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل إسرائيل، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت، وسأل يعقوب وقال: أخبرني باسمك؟ فقال: لماذا تسأل عن اسمي فباركهُ هناك.

فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل قائلاً: لأني نظرت الله وجهاً لوجه و نجيت نفسي)[1].

وقيل إن (إسرائيل) لفظ آرامي مركب من كلمتين (اصرع) واقتتل (وإيل) الله والمعنى (قتل الله) أو قاتل الله.

والذي تدل عليه هذه القصة المفتراة أن يعقوب صرع الله ونال منه البركة بالقهر والقوة!!!

اللهم إن هذا إفك مفترى، ولا أدري من يقرأ هذا النص من النصارى واليهود، هل يبقى على ديانته يا سيادة البابا، لأنه يناقض العقل السليم!!

6-افتراء على ابني يعقوب شمعون ولاوي وإخوتهم، بأنهم كانوا أهل غدر وخيانة حيث قاموا بمجزرة وحشية بأهل مدينة شكيم، أي نابلس أمام يعقوب عليه السلام.

---

[1] -سفر التكوين الإصحاح 32 الفقرات من 24 إلى 31، مصدر سابق.

جاء في سفر التكوين الإصحاح 33 و 34 ما يلي:

(ثم أتى يعقوب سالماً إلى مدينة شكيم التي في أرض كنعان، حين جاء من فدان آرام. ونزل أمام المدينة، وابتاع قطعة الحقل التي نصبت فيها خيمته من يد بني حمور أبي شكيم بمئة قسيطة، وأقام هناك مذبحاً ودعاه إيل إله إسرائيل)[1].

(وخرجت دينة ابنة ليئة التي ولدتها ليعقوب لتنظر بنات الأرض، ورآها شكيم بن حمور الحويسي رئيس الأرض، وأخذها واضطجع معها وأذلها، وتعلقت نفسه بدينة ابنة يعقوب، وأحب الفتاة ولاطف الفتاة، فكلم شكيم حمور أباه قائلاً خذ لي هذه الصبية زوجة، وسمع يعقوب أنه نجس دينة ابنته.

وأما بنوه فكانوا مع مواشيه في الحقل.فسكت يعقوب حتى جاءوا. فخرج حمور أبو شكيم إلى يعقوب ليتكلم معه، وأتى بنو يعقوب من الحقل حين سمعوا، وغضب الرجال واغتاظوا جداً، لأنه صنع قباحة في إسرائيل لمضاجعة ابنة يعقوب، وهكذا لا يصنع.

وتكلم حمور معهم قائلاً: شكيم ابني قد تعلقت نفسه بابنتكم، اعطوه إياها زوجة، وصاهرونا تعطوننا بناتكم وتأخذون لكم بناتنا، وتسكنون معنا، وتكون الأرض قدامكم. اسكنوا واتجروا فيها وتملكوا بها.

ثم قال شكيم: لأبيها ولإخوتها دعوني أجد نعمة في أعينكم، فالذي تقولون لي أعطي، كثّروا عليّ جداً مهراً وعطية، فأعطي كما تقولون لي، وأعطوني الفتاة زوجة.

فأجابوا بنو يعقوب شكيم وحمور أباه بمكر وتكلموا، لأنه كان قد نجس دينة أختهم، فقالوا لهما: لا نستطيع أن نفعل هذا الأمر: أن نعطي أختنا لرجل أغلف، لأنه عار لنا. غير أننا بهذا نواتيكم إن صرتم مثلنا بختنكم كل ذكر،

[1] -سفر التكوين الإصحاح الثالث والثلاثين الفقرات من 18-20.

نعطيكم بناتنا ونأخذ لنا بناتكم، ونسكن معكم ونصير شعباً واحداً، وإن لم تسمعوا لنا أن تختتنوا نأخذ ابنتنا ونمضي.

فحسن كلامهم في عيني حمور وشكيم بن حمور، ولم يتأخر الغـــلام أن يفعل الأمر، لأنه كان مسروراً بابنة يعقوب، وكان أكرم جميع بيت أبيه، فـــأتى حمور وشكيم إلى باب مدينتهما، وكلما أهل مـــدينتهما قـــائلين: هـــؤلاء القـــوم مسالمون لنا، فليسكنوا في الأرض ويتجروا فيها: وهوذا الأرض واسعة الطرفين أمامهم، نأخذ لنا بناتهم زوجات ونعطيهم بناتنا، غير أنه بهذا فقط يواتينا القـــوم، على السكن معنا لنصير شعباً واحداً، بختننا كل ذكر كما هم مختونون. ألا تكون مواشيهم ومقتناهم وكل بهائمهم لنا، نواتيهم فيسكنون معنا.

فسمع لحمور وشكيم ابنه جميع الخارجين من باب المدينة، واختتن كـــل ذكر وكل الخارجين من باب المدينة.

فحدث في اليوم الثالث، إذ كانوا متوجعين، أن ابني يعقـــوب شـــمعون ولاوي أخوي دينة أخذا كل واحد سيفه وأتيا على المدينة بأمن وقتلا كل ذكـــر، وقتلا حمور وشكيم ابنه بحد السيف، وأخذا دينه من بيت شكيم وخرجا.

ثم أتى بنو يعقوب على المدينة على القتلى ونهبوا المدينة لأنهم نجـــسوا أختهم، غنمهم وبقرهم وحميرهم وكل ما في المدينة وما في الحقل أخذوه، وسبوا ونهبوا كل ثروتهم وكل أطفالهم ونسائهم وكل ما في البيوت...)[1].

أقول: إن ما حصل بين أمير شكيم وبين دينة ابنة يعقوب ليس بـــالأمر الغريب بالنسبة لما ورد في التوراة المزعومة؛ فقد جاء فيها: (إذا وجد رجل فتاة عذراء غير مخطوبة فأمسكها واضطجع معها فوجـــدا، يعطـــي الرجـــل الـــذي اضطجع معها لأبي الفتاة خمسين من الفضة وتكون هي له زوجة)[2]، وشكيم كان

---

[1] -سفر التكوين، الإصحاح الرابع والثلاثون، الفقرات من 1-29.

[2] -سفر التثنية الإصحاح 21 الفقرة 28 مصدر سابق.

على استعداد للقيام بأحكام هذا القانون، والأكثر من ذلك، أنه لم ينتظر من أب الفتاة أن يأتي إليه طالباً منه تنفيذ أحكام هذا القانون، وذلك بإعطائه خمسين من الفضة والزواج من الفتاة، وإنما بادر فوراً إلى أبيه أن يأخذ له هذه الصبية لأنه أحبها وتعلقت نفسه بها، ثم إن دينة كانت راضية بفعلتها، بدليل عدم رجوعها إلى بيت أبيها.

وبالفعل فقد خرج حمور أبو شكيم ليتكلم مع يعقوب ومع بنيه فقالوا صاهرونا تسكنون معنا وتكون الأرض قدامكم، اسكنوا وتملكوا، وانبرى شكيم قائلاً، بصفاء قلب ورغبة في التقرب منهم، دعوني أجد نعمة في أعينكم، وأنا مستعد أن أعطي ما تطلبون، كثروا علي جداً مهراً وعطية.

هذا ما ورد في القصة المزعومة التي وردت في التوراة وأنهم اتفقوا وتصالحوا على ذلك.

إلا أن الحقد والغدر والضغينة في نفس بني إسرائيل الذين سبكوا هذه القصة ذكروا فيها؛ بأنهم غدروا بأهالي نابلس، وهاجموهم في اليوم الثالث من الاتفاق إذ كانوا متوجعين، وأخذ شمعون ولاوي أخوا دينة أخذا كل واحد سيفه وأتيا على المدينة وقتلا كل ذكر وقتلا حمور وشكيم أنسباءهم!!

أقول: مما يدل على أن هذه القصة مفتراة أنه لا يعقل أن اثنين يبيدان أهل مدينة مهما كانت قوتهما ومهما أصاب أهل المدينة من ضعف بسبب الختان!!

7-إن الله أمر يعقوب أن يبطش بسبعة شعوب كانت تعيش في فلسطين ولا يقطع لهم عهداً ولا يشفق عليهم.

جاء في سفر التثنية الإصحاح السابع (متى أتي بك الرب إلى الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها وطرد شعوباً كثيرة من أمامك الحثيين والجرجاشيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين سبعة

شعوب أكثر منك وأعظم منك، ودفعهم الرب إلهك أمامك فإنك تحرمهم، لا تقطع لهم عهداً ولا تشفق عليهم ولا تصاهرهم).

أقول: هذا بعض ما جاء في التوراة، التي هي جزء من العهد القديم، من افتراءات على أنبياء الله وعلى الله سبحانه، والتي يؤمن بها البابا وأتباعه من النصارى ويؤمن بها اليهود، ستة منها في سفر واحد وهو سفر التكوين. ومن أراد الاطلاع على المزيد من الافتراءات على الله وأنبياء الله فليرجع إلى أسفار التوراة.

أما ما جاء في أسفار غير التوراة من العهد القديم من الأخلاقيات التي تنافي العقل السليم وجميع الأخلاق عند الأمم، فمن ذلك:

1-ما ينسب إلى داود عليه السلام افتراء عليه بأنه زنى بامرأة أحد جنوده، وأرسل به إلى القتال وأمر قائده بأن يجعله في وجه الحرب الشديدة ليقتل ليخفي جريمته، ولأجل أن يتزوجها.

فقد جاء في صموئيل الثاني في الإصحاح الحادي عشر ما يلي[1]:

(وأما داود فأقام في أورشليم، وكان في وقت المساء، أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك، فرأى من على السطح امرأة تستحم، وكانت المرأة جميلة المنظر جداً، فأرسل داود وسأل عن المرأة، فقال واحد: أليست هذه بتشبع بنت اليعام امرأة أوريا الحثي، فأرسل داود رسلاً وأخذها، فدخلت إليه، فاضطجع معها وهي مطهرة من طمثها، ثم رجعت إلى بيتها، وحبلت المرأة وأرسلت وأخبرت داود، وقالت إني حبلى، فأرسل داود إلى يواب يقول: أرسل إلى أوريا الحثي، فأرسل يواب أوريا إلى داود، فأتى أوريا إليه، فسأل داود عن سلامة يواب وسلامة الشعب ونجاح الحرب.

[1] -صموئيل الثاني، الإصحاح الحادي عشر الفقرات: من 3-27، مصدر سابق.

وقال داود لأوريا: انزل إلى بيتك وأغسل رجليك، فخرج أوريا من بيت الملك وخرجت وراءه حصة من عند الملك، وقام أوريا على باب الملك مع جميع عبيد سيده، ولم ينزل إلى بيته، فأخبروا داود قائلين بأنه لم ينزل إلى بيته.

فقال داود لأوريا أما جئت من السفر، فلماذا لم تنزل إلى بيتك؟ فقال أوريا لداود: إن التابوت وإسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام، وسيدي يوآب وعبيد سيدي نازلون على وجه الصحراء!! وأنى آتي إلى بيتي لآكل وأشرب واضطجع مع امرأتي؟. وحياتك وحيوة نفسك لا أفعل هذا الأمر.

فقال داود لأوريا: أقم هنا اليوم أيضاً وغدا أطلقك.

فأقام أوريا في أورشليم ذلك اليوم وغده، ودعاه داود فأكل أمامه وشرب وأسكره، وخرج عند المساء ليضجع في مضجعه مع عبيد سيده، وإلى بيته لم ينزل.

وفي الصباح كتب داود مكتوباً إلى يوآب وأرسله بيد أوريا، وكتب في المكتوب يقول:

اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة، وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت، وكان في محاصرة يوآب المدينة أنه جعل أوريا في الموضع الذي علم أن رجال البأس فيه، فخرج رجال المدينة وحاربوا يوآب فسقط بعض الشعب من عبيد داود ومات أوريا الحثي أيضاً، فأرسل يوآب وأخبر داود بجميع أمور الحرب، وأوصى الرسول قائلاً:

عندما تفرغ من الكلام مع الملك عن جميع أمور الحرب، فإن اشتعل غضب الملك وقال لك: لماذا دنوتم من المدينة للقتال. أما علمتم أنهم يرمون من على السور، من قتل أبيمالك بن مريوشت؟ ألم ترمه امرأة بقطعة رحى من على السور، فمات في تاباص، لماذا دنوتم من السور؟ فقل: قد مات عبدك أوريا الحثي أيضاً.

فذهب الرسول، ودخل وأخبر داود بكل ما أرسله فيه يوآب، وقال الرسول لداود: قد تجبر علينا القوم وخرجوا إلينا إلى الحقل فكنا عليهم إلى مدخل الباب، فرمى الرماة عبيدك من على السور، فمات البعض من عبيد الملك ومات عبدك أوريا الحثي أيضاً. فقال داود للرسول: هكذا تقول ليوآب: لا يسوء في عينيك هذا الأمر، لأن السيف يأكل هذا وذاك، شدد قتالك على المدينة وأخربها وشدده!!

فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات أوريا رجلها، ندبت بعلها، ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته وصارت له امرأة وولدت له ابنا) أي ابناً من الزنى!!!.

وهذه التي صارت امرأته وهي تشيع بنت بلعام هي التي ولدت له سليمان عليه السلام على زعمهم فقد جاء في سفر صموئيل الثاني أيضاً في الإصحاح الثاني عشر: (وعزى داود بتشييع امرأته ودخل إليها واضطجع معها فولدت ابناً فدعا اسمه سليمان والرب أحبه)[1].

2-كذلك ورد في صموئيل الثاني أن أمنون بن داود زنى بأخته لأبيه تامار بعد أن احتال عليها.

فقد جاء في صموئيل الثاني: [2](وجرى بعد ذلك أنه كان لابشالوم بن داود أخت جميلة اسمها تامار فأحبها أمنون بن داود وأحصر أمنون للسقم من أجل ثامار أخته لأنها كانت عذراء، وعسر في عيني أمنون أن يفعل لها شيئاً، وكان لأمنون صاحب اسمه يونداب بن شمعي أخي داود. وكان يونداب رجلاً حكيماً جداً، فقال له: لماذا يا ابن الملك أنت ضعيف هكذا من صباح إلى صباح، أما تخبرني، فقال له أمنون إني أحب ثامار أخت ابشالوم أخي فقال يوناداب: اضطجع على سريرك وتمارض، وإن جاءك أبوك ليراك فقل له: دع ثمارا

---

[1] صموئيل الثاني الإصحاح الثاني عشر الفقرة: 24.

[2] -صموئيل الثاني الإصحاح الثالث عشر الفقرات من 1 - .

أختي فتأتي وتطعمني خبزاً. وتعمل أمامي الطعام فأرى فآكل من يدها. فاضطجع أمنون وتمارض، فجاء الملك ليراه، فقال أمنون للملك: دع ثمارا أختي فتأتي وتصنع أمامي كعكتين فآكل من يدها، فأرسل داود إلى ثمار إلى البيت قائلاً: اذهبي إلى بيت أمنون أخيك واعملي له طعاماً، فذهبت ثامار إلى بيت أمنون أخيها وهو مضطجع، وأخذت العجين وعجنت وعملت كعكاً أمامه، وخبزت الكعك، وأخذت المقلاة وسكبت أمامه، فأبى أن يأكل. وقال أمنون: أخرجوا كل إنسان عني، فخرج كل إنسان عنه، ثم قال أمنون لثمار إيتِ بالطعام إلى المخدع فآكل عن يدك، فأخذت ثامار الكعك الذي عملته وأتت به أمنون أخاها إلى المخدع، وقدمت له ليأكل فأمسكها وقال لها: تعالي اضطجعي معي يا أختي، قالت له: لا يا أخي لا تذلني، لأنه لا يفعل هكذا في إسرائيل، لا تعمل هذه القباحة، أما أنا فأين أذهب بعاري! فلم يشأ أن يسمع لصوتها، بل تمكن منها وقهرها واضطجع معها...)!!!.

10-ما جاء في سفر الملوك الأول في الإصحاح الحادي عشر افتراء على سليمان عليه السلام بأنه كان له سبعمائة زوجة وثلاث مئة من السراري، فأملن بعض النساء قلبه وراء آلهة أخرى غير الآلهة التي كان يعبدها حيث كفر بها.

فلقد جاء في هذا السفر ما نصه: [1](وأحب سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون، مؤابيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات، من الأمم الذين قال لهم الرب لبني إسرائيل لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم، لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم، فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة، وكانت له سبع مئة من النساء السيدات وثلاث مئة من السراري، فأمالت نساؤه قلبه، وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه، وراء آلهة أخرى!! ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه، فذهب سليمان وراء عشتروت إلاهة الصيدونيين،

---

[1] -سفر الملوك الأول الإصحاح الحادي عشر الفقرات من 1-10.

وملكوم رجس العمونيين، وعمل سليمان الشر في عيني الرب، ولم يتبع الرب تماماً كداود أبيه، حينئذ بنى سليمان مرتفعة، كلموسن رجس المـوآبيين علـى الجبل الذي اتجاه أورشليم، ولمولك رجس بني عمون. وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتي كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن. فغضب الرب علـى سليمان لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذي تراءى له مرتين، وأوصاه في هذا الأمر أن لا يتبع آلهة أخرى، فلم يحفظ ما أوصى به الرب).

أقول: هل من المعقول أن يتزوج الإنسان سبعمائة امرأة علاوة علـى ذلك ثلاث مائة من السراري؟

وكيف تصبر المرأة ثلاث سنين لكي تأتيها ليلة واحدة، فلو كان كذلك لأصبحت أولاد سليمان على عدد نسائه إن لم يكونوا أكثر منهن عدداً.

هذا بالنسبة للافتراء الأول وهو أنه كان عنده سبعمائة زوجة وثلاثمائة من السراري.

وأما بالنسبة لاتهام سليمان بالكفر جرياً وراء ديانة نسائه، وذلك بالإشراك وراء عشتاروت وغيره من أصنام الصيدونيين وأنه بنـى مرتفعة لنسائه الغريبات لأجل أن يوقدن ويذبحن لآلهتهن، فهذا افتراء ثان على نبي الله سليمان عليه السلام.

والله سبحانه قد برأه في القرآن من هذه التهمة بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾[1] ومدحه في سورة ص بقوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[2] مما يدل على كذب افتراءاتهم عليه.

ومن العجيب أن الذين يؤمنون بالعهد القديم، الذي ورد فيه أنه كان لسليمان سبعمائة زوجة وثلاثمائة من السراري من اليهود والنصارى، وعلـى

---

[1] -سورة البقرة: 102.

[2] -سورة ص: 30.

رأسهم البابا وأتباعه، الذين يعدون بمئات الملايين، يعيبون على رسول الله ﷺ تعدد زوجاته، وإباحة الإسلام للمسلم أن يتزوج بأربع نساء إن كان يستطيع أن يعدل بينهن.

علماً بأن رسول الله ﷺ لم يتزوج إلا زوجة واحدة حتى تجاوز الخمسين عاماً وهي خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، وقد تزوجها قبل البعثة بخمسة عشر عاماً وعمره خمسة وعشرون، وعمرها أربعون عاماً، وبقيت عنده عشر سنوات بعد البعثة ولم يتزوج عليها، وذلك ما ورد في كتب السيرة وكتب التاريخ أي كان عمره حين ذاك خمسون عاماً.

ولو كان رسول الله ﷺ جامح الشهوة مطلقاً العنان لشهوته، كما يزعم المفترون، لما رضي أن يعيش مع زوجة واحدة تزوجها وعمرها يفوق عمره خمسة عشر عاماً، ويعيش معها خمسة وعشرين عاماً، عز شبابه وقسماً من كهولته وكان عمرها عند وفاتها رضي الله عنها خمسة وستين عاماً.

وكان يذكرها دائماً بعد وفاتها ويحسن إلى صواحبها، ولكثرة ذكره لها تجرأت عائشة رضي الله عنها مرة عليها عند ذكره لها، فقالت له: ماذا تذكر من عجوز من عجائز قريش وقد أبدلك الله خيراً منها وهي تعني نفسها، إذ لم يتزوج بكراً غيرها، وهي بنت صديقه أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فغضب وقال: "لا والله، ما أبدلني الله خيراً منها، آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء" قالت: "فقلت في نفسي: لا أذكرها بسوء قط"[1].

وهذا الوفاء المنقطع النظير لها، وقوله: "ما أبدلني الله خيراً منها" أمام ضرتها يتسم بمنتهى الوفاء لزوجة متوفاة يعز وجوده في هذا العصر.

---

[1] -رواه الإمام أحمد في مسنده، ج6 ص117، والطبري في المعجم الكبير، ج23 ص21.

ومما يلفت النظر أنه لم يذكر، حين ذكر أسباب حبه لها، جمالها الذي ينم عن الناحية الجنسية التي تحبب الرجل بالمرأة.

أقول: ربع قرن قضاها رسول الله ﷺ معها، وهو في سن الشباب وفي سن ابنها، لو كان هذا الزواج شهوانياً كما يقول المبشرون أتباع البابا والمستشرقون والمنافقون لتزوج عليها أخرى أو اتخذ السراري كما ينسبون إلى أنبيائهم داود وسليمان وغيرهما، أو اتخذ خليلات كمعظم زعماء أوروبا وأمريكا.

نعم تسع زوجات تزوجهن رسول الله ﷺ بعد أن تجاوز الخمسين، وهو في سن الكهولة، وتوفيت إحداهن في حياته، وهي زينب بنت خزيمة، فيكون قد جمع بين تسع زوجات في حياته، وليست واحدة منهن بكراً إلا عائشة، والعبرة ليست بالعدد، ولكن العبرة بالظروف التي أفضت به إلى الزواج بكل واحدة منهن، مما أدى إلى الجمع بينهن، فمنها ظروف اجتماعية ومنها ظروف سياسية، وهي ترجع إلى الأحداث التي كان هو محورها، ولا يمكن أن يعفى من المسؤولية والالتزام بآثارها وهي ظروف كثيرة بينتها في كتابي الذي ألفته مع الدكتورة جميلة الرفاعي بعنوان: (حقوق المرأة في الإسلام)[1].

وأما الخرافات غير المعقولة عقلاً ووردت في العهد القديم سوى ما سبق من الافتراءات على أنبياء الله فهي كثيرة من ذلك:

1-لقد ورد في سفر العدد الإصحاح الثاني والعشرين أن بلعام عندما كان راكباً أتانا تكلمت الأتان، فقد جاء فيه: (فلما أبصرت الأتان ملاك الرب ربضت تحت بلعام، فحمي غضب بلعام وضرب الأتان بالقضيب، ففتح الرب فم الأتان فقالت لبلعام: ماذا صنعت بك حتى ضربتني الآن ثلاث دفعات فقال بلعام

[1] -انظر حقوق المرأة في الإسلام تأليف الدكتورة جميلة الرفاعي والدكتور محمد رامز العزيزي من صفحة 357-404، الناشر دار المأمون-عمان.

للأتان لأنك ازدريت بي. ولو كان في يدي سيف لكنت الآن قد قتلتك، فقالت الأتان لبلعام: ألست أنا أتانك التي ركبت عليها منذ وجودك إلى هذا اليوم، هل تعودت أن أفعل بك هكذا. فقال: لا)[1].

2-ولادة البنات تضاعف نجاسة الأمهات عن الأبناء: فقد ورد في الإصحاح الثاني عشر من سفر اللاويين ما يلي: (وكلم الرب موسى قائلاً: كلم بني إسرائيل قائلاً: إذا حبلت امرأة وولدت ذكراً تكون نجسة سبعة أيام، كما في أيام الطمث علتها تكون نجسة، وفي اليوم الثامن يختن لحم غرلته، ثم تقيم ثلاثة وثلاثين يوماً في دم تطهيرها، كل شيء مقدس لا تمس وإلى المقدس لا تجيء، حتى تكمل أيام تطهيرها. وإن ولدت أنثى تكون نجسة أسبوعين كما في طمثها، ثم تقيم ستة وستين يوماً في دم تطهيرها)[2]!!.

3-وجاء في سفر القضاة أن اهود بن جبرا ضرب هو أتباعه من الإسرائيليين نحو عشرة آلاف رجل من أهالي مؤاب كل نشيط وكل ذي بأس فذل المؤابيون في ذلك اليوم تحت يد إسرائيل واستراحت الأرض ثمانين سنة. وجاء في الفقرة بعد ذلك: (وكان بعده شجر بن عناة فضرب من الفلسطينيين ست مائة رجل بمنساس بقرة وهو أيضاً خلص إسرائيل) [3].

فقد جاء في سفر القضاة في الإصحاح الثالث: (وقال لهم اتبعوني لأن الرب قد دفع أعداءكم المؤابيين ليدكم، فنزلوا وراءه وأخذوا مخاوض الأردن إلى مواب ولم يدعوا أحداً يعبره فضربوا من مؤاب في ذلك الوقت عشرة آلاف رجل كل نشيط وكل ذي بأس ولم ينج أحد[4].

---

[1] -سفر العدد الإصحاح الثاني والعشرين، الفقرات: 27-30.

[2] -سفر اللاويين الإصحاح الثاني عشر الفقرات من 1-5.

[3] -انظر سفر القضاة الإصحاح الثالث الفقرة 31.

[4] -سفر القضاة الإصحاح الثالث: الفقرة: 26-29.

أقول: هل ما ورد في سفر القضاة من قتل ست مائة رجل من أهالي فلسطين بمنساس البقر يقبله عقل سليم يا بابا الفاتيكان؟ وهل قتل عشرة آلاف من أهالي مؤاب بدون ذنب إلا لأجل الاستيلاء على أراضيهم من العدل، أم هو من أعمال الشر والفساد في الأرض الذي لا تقره شريعة سماوية ولا شريعة أرضية، أيها البابا؟!

5-وورد في سفر القضاة أيضاً أن شمشون قتل ألفاً من الفلسطينيين بفك حمار!! وذلك بعد أن أحرق الزرع وكروم الزيتون لهم. فقد جاء فيه: (ووجد – شمشون الإسرائيلي- لحي حمار طرياً، فمد يده وأخذه، وضرب به ألف رجل، فقال شمشون: (بلحي حمار كومة كومتين، بلحي حمار قتلت ألف رجل. ولما فرغ من الكلام رمى اللحي من يده ودعا ذلك المكان رمت لحي)[1].

6-ورد في سفر صموئيل الأول في الإصحاح السادس ما ينافي العقل السليم بالنسبة لله سبحانه، فقد جاء فيه: (وضرب أهل بيتشمس لأنهم نظروا إلى تابوت الرب، وضرب من الشعب خمسين ألف رجل وسبعين رجلاً فناح الشعب لأن الرب ضرب الشعب ضربة عظيمة)[2].

هذه بعض افتراءاتهم بالنسبة لأنبيائهم وبالنسبة لقادتهم وبالنسبة لله جل وعلا تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً وذلك في العهد القديم.

وقد نقل الدكتور جورجي كنعان والذي هو من نصارى بلاد الشام كثيراً من افتراءاتهم وأباطيلهم وخاصة فيما يتعلق بأنبيائهم وبالنسبة لفلسطين في كتابه: (أمجاد إسرائيل في أرض فلسطين) فمما ذكره في مقدمة كتابه ما يلي:

-(هل تعلم أن أكبر عملية تزييف في التاريخ تتم بصمت وتآمر هي عملية تهويد المسيحية).

---

1 -سفر القضاة الإصحاح الخامس عشر الفقرتين: 15-16-17.

2 -سفر صموئيل الأول الإصحاح السادس الفقرة 19.

-هل فكرت يوماً أن يكون من حملة الفوانيس الهادية في حلكة هذا الليل الباسط فوق الوجوه، أجنحة الجهل والتخلف وضحالة الوعي؟

-ألا تعلم أن كتاب العهد القديم ألغى تاريخ فلسطين، حين أرادها أرضاً مطهرة من أصحابها الشرعيين، ومعقمة من جميع بناهم الحضارية، تنتظر شعباً وعده إلهه الخاص بإعطائه هذه الأرض ميراثاً أبدياً؟

-وهل تعلم أن يهوه، إله قبيلة بني إسرائيل، أراد أن يعطي مريديه أرضاً معينة، مأهولة بأصحابها الأصليين، وأراد لهم أن ينطلقوا منها إلى سائر الأمم، حاملين الرسالة التي تتلخص في بسط سيطرتهم على كافة الشعوب؟[1]

-فهل تعلم أن النفسية اليهودية قد شوهتها خرافات التوراة وأساطيرها ومزاعمها الباطلة، وملاحمها البربرية، حتى أمست نفساً ممسوخة، متحجرة، متقوقعة على ذاتها، تريد أن تفنى في أمراضها الاجتماعية وعاهاتها الأخلاقية.

-هل تظن أن الصهيونية، هذه الموجة البربرية، الشبيهة بموجات الصليبيين و موجات المغول والتتر والأتراك، تستطيع أن تضرب جذورها في أرض فلسطين؟

-ألا تعتقد أن أصحاب الأرض هم أنفسهم سيقتلعون آخر جذور تضربها إسرائيل في هذه الأرض، مهما يكن دعم حضارة المركبات الفضائية والقنابل الذرية والصواريخ القارية، كما اقتلعوا قديماً الجذور التي حاول بنوإسرائيل غرزها في مرتفعات فلسطين، منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد؟[2]

وينقل الدكتور جورجي بعض افتراءاتهم وفساد أخلاقهم كما ورد في العهد القديم وهو الكتاب المقدس عند اليهود والمقدس عند البابا وأتباعه فيقول:

---

[1] -أمجاد إسرائيل في أرض فلسطين، للدكتور جورجي كنعان/ المقدمة صفحة: 8/ دار الطليعة للطباعة والنشر /بيروت الطبعة الأولى 1978.

[2] -انظر: المرجع السابق من صفحة 9-10.

1-هل تعلم أن ابن يعقوب (راويين ذهب واضطجع مع بلهه زوجة أبيه وسمع إسرائيل -سفر التكوين 22/35-) وأن ابنه الآخر يهوذا، الذي طبع أحفاده باسمه (يهود) قد زنى بكنته؟

-هل تعلم أن أبناء عالي الكاهن "كانوا يضاجعون النساء المجتمعات في باب خيمة الاجتماع -سفر صموئيل الأول 32/2-" وخيمة الاجتماع هي بيت يهوه (الرب) الذي يضم المذبح وتابوت العهد القديم وجميع مقدسات بني إسرائيل.

هل تعلم أن يفتاح كان "ابن امرأة زانية. سفر القضاة 1/11" وقد قضى لإسرائيل ست سنين 7/12" والقاضي عند بني إسرائيل بمثابة الملك عند بقية الأمم؟

-وهل تعلم أن كتاب العهد القديم -سجل المفاخر والأمجاد لدى بني إسرائيل، ووثيقتهم في استملاك أرض فلسطين، يصنف "ملك الملوك" داود "النبي" بطلاً من أبطال قطاع الطرق صعلوكاً، وقائد مرتزقة، وأن أحفاده جاءوا بقوة المال، والإعلام، والأدمغة المغسولة في الغرب، جاءوا ليعيدوا أمجاد داود الذي هرب من وجه شاول "وسكن في بلاد الفلسطينيين سنة وأربعة أشهر.. وكان يغزو جنوبي يهوذا "قبيلته" ويرجع بما غنمه من الغنم والبقر والحمير والثياب إلى الملك الفلسطيني، أخيشن، وهكذا كانت عادته كل أيام إقامته في بلاد الفلسطينيين. فصدق اخيشن داود قائلاً في نفسه: قد صار مكروهاً لدى شعبه إسرائيل فيكون لي عبداً إلى الأبد. سفر صموئيل الأول 7/27".... ثم يقول:

-هل تظن أن إلها يخاطب شعبه بمثل ما خاطب يهوه شعبه الخاص "إسرائيل" في قوله: "ويقف الأجانب ويرعون غنمكم، ويكون بنو الغريب حراثيكم وكراميكم. أما أنتم فتدعون كهنة الرب تأكلون ثروة الأمم وعلى محدهم تتآمرون. سفر اشعبا 5/61"؟

-وهل تعلم أن وثيقة الصهيونية، في استملاك أرض فلسطين، قائمة في كتاب العهد القديم. الجزء الأول من الكتاب المقدس لدى جميع الطوائف المسيحية؟ وأن دعوات الصهيونية تسربت إلى نفوس المسيحيين في الغرب الأوروبي والأمريكي- الحاضن والمرضع للصهيونية، بفعل نصوص العهد القديم من كتابهم المقدس؟ وأن الجذور الدينية لفكرة تجميع اليهود وإقامة دولة إسرائيل في فلسطين راسخة في جميع صدور الغربيين؟

-هل تعلم أن لا شيء يدمي قلوب الصهاينة ويفتت أكبادهم مثل الكتاب المشعل، الذي يمزق حجب التجهيل، ويبدد ظلام التضليل عن عيون الأمم والشعوب، التي طبخوا أفكارها في أفرانهم وحولوا عقولها في مخابزهم؟

ويختم مقدمة كتابه فيقول:

وهل تعلم أن الغالبية ممن يسمون أنفسهم بشراً لا نرفض تقبل الحقيقة فحسب، بل إنها تحاربها بعنف وبجميع الوسائل.

فاسمح لي يا قارئي العزيز، إن كنت جباناً حين فكرت بإزاحة الغطاء عن بعض جوانب الحقيقة، لمن هم صمّ بكم عمي فهم لا يعقلون، وحين حاولت تمزيق الغشاء الثقيل عن الأدمغة المغسولة.

وخوفي كان من ناحية بسيطة وتافهة، وأعتقد أن أساريرك تنفرج حين تعلم النقطة التي كنت جباناً في تحديدها على سطح هذه الكرة البشرية؟[1]

أقول: إن التوراة والتي هي جزء من أسفار العهد القديم ليست هي التوراة الحقيقية التي نزلت على سيدنا موسى عليه السلام، فهي مجموعة من القصص، والخرافات، والافتراءات على أنبياء الله سبحانه.

ومما يدل على ذلك؛ ما جاء في سفر التثنية أحد أسفار التوراة الإصحاح 34 من قصة كيف مات موسى عليه السلام فقد جاء فيه: (وصعد موسى من

[1] -انظر المصدر السابق من صفحة 10 إلى صفحة 121.

عربان مؤاب إلى جبل نبو إلى رأس الفجة الذي قبالة أريحا، فأراه الرب جميع الأرض من جلعاد إلى دان، وجميع نفتالي وأرض افرايم ومنسى وجميع أرض يهوذا إلى البحر الغربي، والجنوب والدائرة بقعة أريحا مدينة النحل إلى صوغر.

وقال له الرب: هذه هي الأرض التي أقسمت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب قائلاً: لنسلك أعطيها قد أريتك إياها بعينك ولكنك إلى هناك لا تعبر.

فمات هناك موسى عبد الرب في أرض مؤاب حسب قول الرب، ودفنه في الجواء في أرض مواب مقابل بيت فغور، ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم.

وكان موسى ابن مئة وعشرين سنة حين مات. ولم تكل عينه ولا ذهبت نضارته.

فبكى بنو إسرائيل موسى في عربات مواب ثلاثين يوماً. فكملت أيام بكاء مناحة موسى. وبشوع ابن نون كان قد امتلأ روح حكمه إذ و ضع موسى عليه يديه فسمع له بنو إسرائيل وعملوا كما أوصى الرب موسى.

ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجهاً لوجه. في جميع الآيات والعجائب التي أرسله الرب ليعملها في أرض مصر بفرعون وبجميع عبيده وكل أرضه، وفي كل اليد الشديدة وكل المخاوف العظيمة التي صنعها موسى أمام أعين جميع إسرائيل)[1].

وهذا يناقض ما جاء في نفس السفر بأن موسى عليه السلام سلم التوراة للكهنة بني لاوي.

فقد جاء فيه في الإصحاح الحادي والثلاثون (وكتب موسى هذه التوراة وسلمها للكهنة لبني لاوي حاملي تابوت عهد الرب ولجميع شيوخ إسرائيل)[2].

---

[1] -سفر التثنية الإصحاح الرابع والثلاثون الفقرات من 1إلى 12.

[2] -سفر التثنية الإصحاح الحادي والثلاثون، الفقرة: 10، مصدر سابق.

أقول: هذا مثال لما ورد من مناقضات في سفر واحد من التوراة ومن أراد الاطلاع على ما في التوراة من مناقضات للعلم الحديث والعقل السليم وما فيها من خرافات فليرجع إلى كتاب الدكتور موريس بوكاي والذي ألفه بعنوان: (القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم) فهو يذكر فيه كثيراً من المتناقضات التي بينها بعض علماء الدين المسيحي بالنسبة للتوراة وهو كتاب يتكون من أكثر من مئتي صفحة، كتبه الكاتب الفرنسي بلغته الفرنسية وترجمه بعد ذلك إلى اللغة الإنجليزية، ثم ترجم إلى اللغة العربية. وقامت بنشره دار المعارف في القاهرة.

أما ما ورد في العهد الجديد، الذي منه الأناجيل الأربعة المعترف بها عند النصارى، مما يخالف العقل السليم فمن ذلك:

1-ما ورد في إنجيل متى مما ينم عن العنصرية وهو: (ثم خرج يسوع من هناك وانصرف إلى نواحي صور وصيداء وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت إليه قائلة: ارحمني يا سيد يا ابن داود، ابنتي مجنونة جداً، فلم يجبها بكلمة، فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين: اصرفها لأنها تصيح وراءنا، فأجاب وقال: لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة، فأتت وسجدت له قائلة: يا سيد أعني، فأجاب وقال: ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب!! فقالت: نعم يا سيد، والكلاب أيضاً تأكل من الفتات الذي يسقط من مائدة أربابها، حينئذ أجاب يسوع وقال لها: يا امرأة، عظيم إيمانك. ليكن لك كما تريدين. فشفيت ابنتها من تلك الساعة)[1].

أقول: صحيح ما نسب إلى المسيح في هذا النص بأنه قال: (لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة) فهو لم يرسل إلا لقومه خاصة، وهم بنوإسرائيل، وقد ورد ذلك أيضاً في نفس الإنجيل حيث جاء فيه: هؤلاء الإثناعشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً: إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة

---

[1] -إنجيل متى الإصحاح الخ.

السامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة[1]. وقد أكد ذلك القرآن بقوله تعالى على لسان عيسى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم﴾[2] فهو لم يرسل إلى العرب ولا إلى غيرهم من الأمم من غير بني إسرائيل، وإنما الذي أرسل إلى العرب وغيرهم من الأمم وإلى الناس كافة هو رسول الله محمد ﷺ وذلك كما نص عليه القرآن الكريم بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ[3]﴾، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾[4] .

فاتباع العرب له وغيرهم من الأمم غير بني إسرائيل مخالف لرسالة المسيح عليه السلام. كما ورد في هذا النص، وكما ورد في القرآن الكريم.

أما ما ورد في هذا الإنجيل بوصف غير بني إسرائيل بالكلاب، وذلك بما ورد في جوابه للمرأة بعد أن سجدت له قائلة: يا سيد أعني. (فأجاب وقال: ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب).

فهذا لا يعقل لأنه يعني أن غير اليهود من بني إسرائيل كالعرب والبابا وجورج بوش وغيرهم كلاب في نظر المسيح عليه السلام.

وإذا لم يعقل بأن ينسب إلى غير بني إسرائيل بأنهم كلاب، فلماذا يُنسب الكتاب المقدس إلى المسيح ويجريه على لسانه فيما ينسبونه إليه؟!!

أقول: إن هذا النص إنما يعبر عن نظرة اليهود إلى سائر الأمم من غير بني إسرائيل، فلذلك يستبيحون دماءهم وأموالهم وأعراضهم كما سبق أن نقلنا بعضه من العهد القديم.

---

[1] -إنجيل متى الإصحاح العاشر، الفقرتان 5و6.

[2] -سورة الصف: 6.

[3] -سورة سبأ: 28.

[4] -سورة الأعراف: 158.

وكما تقوم به إسرائيل اليوم من مجازر وحشية في فلسطين، وما قامت به في لبنان من قتل للأطفال والنساء وتدمير البيوت وللبنية التحتية في لبنان.

وكما قامت به في مصر منذ سنوات في مجزرة دير البقر وقتل الأسرى المصريين.

وقد ذكر القرآن الكريم استباحة اليهود لأموال غيرهم وأكلهم لها بالباطل بقوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِماً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[1] .

فالله سبحانه يخبر بهذه الآية عن اليهود خاصة -لأن الكلام فيهم من أول الآية 69 إلى الآية 78 من هذه السورة -بأنهم يقولون ليس عليهم إثم ولا مؤاخذة في أكل أموال جميع الأمم الأخرى غير اليهود، ولا ينبغي أن يرعى لهم حقوق، ويدعون أن ذلك حكم الله، وهم يعلمون أن ذلك كذب عليه سبحانه.

فالأميون جمع أمي المنسوب إلى أمة أخرى غير اليهود، والنسبة إلى الجمع تكون إلى مفرده، فنقول بالنسبة إلى أصحاب رسول الله ﷺ صحابي ولا نقول أصحابي.

2-كما ينسبون إلى المسيح أنه يدعو الذين يؤمنون به إلى كراهية أبائهم وأمهاتهم وزوجاتهم وأولادهم وإخوانهم حتى أنفسهم، فقد جاء في إنجيل لوقا الإصحاح الرابع عشر: (وكان جموع كثيرة سائرين معه -أي مع المسيح- فالتفت وقال لهم: إن كان أحد يأتي إلي ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده وإخوته وأخواته حتى نفسه أيضاً فلا يقدر أن يكون تلميذاً)[2].

فالكراهية هي الأساس في نظر المسيح كما ورد في هذا الإنجيل.

---

[1] -سورة آل عمران: 75.

[2] -سفر لوقا الإصحاح الرابع عشر الفقرة: 16.

أما الإسلام فيحض المسلم أن يحسن إلى والديه ولو كانا كافرين قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ، وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً﴾[1] .

بل إن الإسلام أمر بالإحسان وعمل الخير للكافرين إن لم يقاتلوا المسلمين وإن لم يكونوا آباءهم أو إخوانهم أو من عشيرتهم أو من جنسهم قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[2] .

3-ومن خرافات العهد الجديد التي لا يقبلها عقل سليم ما ورد في سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي: أنه رأى نمراً له سبعة رؤوس فهو يقول: (ثم وقفت على رمل البحر فرأيت وحشاً طالعاً من البحر له سبعة رؤوس وعشرة قرون وعلى قرونه عشرة تيجان، وعلى رؤوسه اسم تجديف، والوحش الذي رأيته كان شبه نمر وقوائمه كقوائم دب، وفمه كفم أسد وأعطاه التنين قدرته وعرشه وسلطاناً عظيماً..)[3].

4-ما جاء في الإصحاح السابع والعشرين، الذي ورد فيه قصة صلب المسيح على زعمهم: (ومن الساعة السادسة كانت ظلمة على كل الأرض إلى الساعة التاسعة!! ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً إيلي إيلي لما شبقتني أي إلهي إلهي لماذا تركتني؟ فقوم من الواقفين هناك لما سمعوا قالوا: إنه ينادي إيليا، وللوقت ركض واحد منهم وأخذ اسفنجة وملأها خلاً وجعلها على قصبه وسقاه، وأما الباقون فقالوا: اترك لنرى هل يأتي إيليا يخلصه؟ فصرخ يسوع أيضاً بصوت عظيم وأسلم الروح. وإذا حجاب الهيكل قد

---

[1] -سورة لقمان: 14-15.

[2] -سورة الممتحنة: 8.

[3] -العهد الجديد، رؤيا يوحنا اللاهوتي الفقرتان: 1-2.

انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل، والأرض تزلزلت، والصخور تشققت، والقبور تفتحت، وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين، وخرجوا من القبور بعد قيامته، ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين. وأما قائد المئة والذين معه يحرسون سيوع، فلما رأوا الزلزلة وما كان خافوا جداً، وقالوا: حقاً كان هذا ابن الله)[1].

أقول: هذا الذي ورد ذكره من الأحداث التي واكبت موت المسيح على زعمهم، لمَ لم يؤمن بها من رآها في ذلك العصر، وخاصة من كان حوله من الجند؟

بل كيف يستنجد ابن الله بأبيه –على زعمهم– بقوله: إلهي إلهي لماذا تتركني، ويتركه ليصلبه اليهود ويسخر به من كان حوله، ويقولون لمن أراد أن يبل ريقه بنقطة خل بواسطة إسفنجة مبلولة: "اترك لنرى هل يأتي إيليا يخلصه؟!!

اللهم إن هذا بهتان عظيم لا يقبله عقل سليم، فكيف يؤمن به البابا وأتباعه؟

وينقل لنا الدكتور موريس بوكاي في كتابه (القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم) الروايات المتناقضة بين الأناجيل الأربعة، بالنسبة لأقوال المسيح وأعماله وقصة صلبه المزعومة، وقيامه من قبره ورؤية الحواريين له بعد ذلك.

ويقول بعد ذلك: (إذن فمن يجب أن يصدق؟ أتصدق متى أم مرقس أم لوقا أم يوحنا؟)[2].

---

[1] –إنجيل متى الإصحاح السابع والعشرون الفقرات 45-54.

[2] انظر كتاب القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم من صفحة 65 إلى صفحة 93 للدكتور موريس بوكاي الترجمة العربية للكتاب طبعة دار المعارف في القاهرة.

ويقول الدكتور موريس بعد استعراضه لتاريخ كتابة الأناجيل ما نصه: (ولقد رأينا أنه قبل عام 140م لم يكن هناك ما يشهد بأن هناك من يعرف وجود مجموعة من الكتابات الإنجيلية، على عكس مما يكتب بعض المعلقين اليوم. بل يجب انتظار عام 170م حتى تكتسب الأناجيل صفة الأدب المعترف به كنسياً.

في تلك العصور المسيحية الأولى، كان هناك تداول كثير من الكتابات عن المسيح، غير أنه لم يعتد بها ككتابات جديرة بصفة الصحة، كما أوضحت الكنيسة سبب إخفائها، ومن هنا جاء اسم الأناجيل المزورة Apocrphes. ولقد بقي من هذه النصوص مؤلفات يحتفظ بها جيداً لأنها "كانت تتمتع بالتقدير العام" على ما تقول لنا الترجمة المسكونية.

ومن هذه رسالة برنابا Didache de Bamabe، ولكن هناك نصوص أخرى قد "استبعدت بشكل أكثر عنفاً" ولم يتبق منها إلا بعض أجزاء، ولأنها كانت تعتبر ناقلة للخطأ العام فقد أخفيت عن أنظار المؤمنين.

برغم ذلك فهناك من المؤلفات، مثل أناجيل الناصريين وأناجيل العبرانيين وأناجيل المصريين التي عرفت بفضل تنويهات آباء الكنيسة، ما كان يشبه عن قرب الأناجيل المعترف بها كنسياً. ونفس الأمر ينطبق على إنجيل توما وإنجيل برنابا[1].

بيان أن اليهود حرفوا التوراة

أقول: إن ما ورد في الكتاب المقدس عند النصارى سواء بالنسبة للعهد القديم المقدس عند النصارى واليهود، أو العهد الجديد الخاص بالنصارى وما اشتمل عليه من افتراءات ومناقضات للعقل السليم يصعب ذكرها في هذا الكتاب لكثرتها، وهي تحتاج إلى كتاب مستقل، ومن أراد معرفة ذلك للوصول إلى الحق، وهي أن هذه الكتب الموجودة ليست هي كلام الله، فليرجع إلى كل من

[1] –المصدر السابق الصفحتان 98و 99.

كتاب القرآن الكريم و التوراة والإنجيل والعلم للدكتور موريس بوكاي، وكتاب الدكتور جورجي كنعان بعنوان "أمجاد إسرائيل في فلسطين" وغيرهما من الكتب التي بينت ذلك.

فالتوراة، معظم ما ورد فيها هو، من وضع اليهود و قد توعدهم الله بالعذاب الأليم يوم القيامة حيث قال سبحانه: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾[1].

وقد ذكر القرآن كثيراً من افتراءاتهم ورد عليها، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللّهِ عَهْداً فَلَن يُخْلِفَ اللّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ، بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[2] .

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[3] .

حقيقة تفضيل بني إسرائيل على العالمين

ومن ذلك زعمهم أن الله فضلهم على العالمين حتى قيام الساعة ويتفاخرون بذلك، ويزعمون أن ذلك مذكور في القرآن، فينخدع به بعض السذج من الناس ممن ليس لهم علم بكتاب الله سبحانه.

---

[1] –سورة البقرة: 79

[2] –سورة البقرة:80–81.

[3] –سورة المائدة: 18.

والحقيقة؛ أن الله سبحانه فضل بني إسرائيل على العالمين تفضيلاً خاصاً موقوتاً، له أسباب وعوامل، كما أن له أمداً محدوداً وزمناً خاصاً، في زمن بعض أنبيائهم، وذلك عندما كانوا مؤمنين بالله عابدين له، وسط أقوام من الكفار، تحقق هذا لهم في مصر إبان عهد يوسف عليه السلام وبعده، وأثناء اضطهاد فرعون لهم ومجيء موسى وهارون عليهما السلام لتخليصهم وإنقاذهم.

والمؤمن عندما يفاضل بين بني إسرائيل في مصر وبين فرعون وقومه، يخرج بتفضيل بني إسرائيل على فرعون وملئه، لأن المؤمن هو المفضل والمكرم والمقدم عند الله وعند عباده المؤمنين.

كذلك فضلهم على العالمين الذين كانوا يسكنون في الأرض المقدسة في زمن موسى عليه السلام، بعد أن ذكرهم بنعم الله عليهم، حيث قال لهم: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاء وَجَعَلَكُم مُّلُوكاً وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِّن الْعَالَمِينَ، يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾[1] ، ولما لم يستجيبوا لما طلب منهم من القتال، بعد تذكيرهم بهذا التفضيل حيث ذكر الله مواقفهم بقوله: ﴿قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىَ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾[2]، عند ذلك تبرأ منهم نبيهم موسى وقال مخاطباً ربه: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾[3] فكانت النتيجة أن حرمها عليهم وجعلهم يتيهون في الأرض بسبب فسقهم وعصيانهم لأوامر الله، قال سبحانه: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾[4] .

---

[1] –سورة المائدة: 20–21.

[2] –سورة المائدة: 22.

[3] –سورة المائدة: 25.

[4] –سورة المائدة: 26.

وقد ذكر القرآن الكريم فساد بني إسرائيل في سورة البقرة من الآية 47 إلى الآية 103 وقد بينت ذلك في كتابي (المسجد الأقصى في الإسلام وشروط زوال دولة اليهود المزعومة كما ورد في القرآن الكريم) وإن الله لعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم نتيجة فسادهم حيث قال سبحانه: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ، كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾[1] .

أسباب وقوع التناقض في الأناجيل

وأما بالنسبة للعهد الجديد، وهو الخاص بالنصارى ففيه كثير من الافتراءات التي بينت بعضها فيه أيضاً كثير من المتناقضات التي بينها العلماء من مسلمين ومسيحيين، ومن هؤلاء فضيلة الأستاذ محمد أبو زهرة في كتابه محاضرات في النصرانية، وكتاب المسيح في مصادر العقائد المسيحية للمهندس أحمد عبدالوهاب، وكتاب: القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم تأليف الدكتور الفرنسي موريس بوكاي.

والسبب في وقوع هذه الافتراءات والمتناقضات في العهد الجديد: بالنسبة للأناجيل الأربعة المشتملة على أخبار المسيح من وقت الحمل إلى وقت صلبه كما يعتقدون، وقيامته من قبره بعد ثلاثة أيام، ثم رفعه بعد أربعين ليلة، وهي بهذا تشتمل على عقيدة ألوهية المسيح في زعمهم، والصلب والفداء، أي أنها تشتمل على لب عقيدة المسيحية في نظرهم بعد المسيح ومعناها.

وهذه الأناجيل الأربعة هي التي تعترف بها الكنائس وتقرها الفرق المسيحية على اختلافها وتأخذ بها.

---

[1] -سورة المائدة: 78-79.

ولكن التاريخ يروي لنا أنه كان في العصور الغابرة أناجيل أخرى قد أخذت بها فرق قديمة وراجت عندها، ولم تعتنق كل فرقة إلا إنجيلها. ولقد كثرت الأناجيل كثرة عظيمة، وأجمع على ذلك مؤرخو النصرانية، ولقد كان في مكتبة المرحوم معالي الأستاذ نصوح الطاهر كتاب يجمع سبعة عشر إنجيلاً منها، مكتوب عليه الأناجيل المحرمة وهي باللغة الإنجليزية، وقد تبرع رحمه الله بمكتبته إلى مجمع اللغة العربية في الأردن.

إلا أن الكنيسة في آخر القرن الثاني الميلادي، أو أوائل القرن الرابع، أرادت أن تحافظ على الأناجيل الصادقة -في اعتقادها- فاختارت هذه الأناجيل الأربعة من الأناجيل الرائجة إبان ذلك.

وهذه الأناجيل الأربعة لم يملها المسيح، ولم تنزل عليه هو بوحي أوحي إليه، ولكنها كتبت من بعده، وهي إنجيل متى وإنجيل مرقس وإنجيل لوقا وإنجيل يوحنا.

وقد اختلف علماء النصارى في تاريخ كتابة كل إنجيل منها، واللغة الأصلية التي كتب فيها كل واحد منها.

كما لم ترو بسند متصل إلى من كتبها ونسبت إليه، فهي منقطعة السند، فضلاً علن أن يكون سندها متواتراً وهو ما يثبت صحة العقائد، وذلك بأن يرويها جمع كثير عن المسيح عليه السلام، تحيل العادة اتفاقهم على الكذب لكثرتهم وبعد أماكنهم، وهو ما يثبت به صحة القرآن الكريم، فلذلك لم يختلف المسلمون على اختلاف مذاهبهم وأماكنهم في أية سورة أو آية منه.

ظهور الكنيسة الكاثوليكية وتشددها بما دنَّست به تاريخ الأديان

وبسبب كثرة الأناجيل في عصور الديانة المسيحية الأولى، اشتد الاختلاف بين الطوائف المسيحية في ذلك العصر، وتباعدت مسافات الاختلاف بينها، مما لا يمكن معه وفاق.

وكان الاختلاف يدور حول شخص المسيح؛ أهو رسول من عند الله فقط من غير أن تكون له ميزة عن غيره، بحيث يبلغ رسالة ربه كغيره من الرسل، أم له بالله صلة خاصة أكبر من رسول، فهو من الله بمنزلة الابن، لأنه خلق من غير أب، ولكن لا يمنع أن يكون مخلوقاً لله، ومن قائل: إنه ابن الله له صفة القدم كما لله تلك الصفة، وهكذا تباينت نحلهم واختلفت، وكل يزعم أن نحلته هي المسيحية الصحيحة التي جاء بها المسيح عليه السلام، ودعا إليها تلاميذه من بعده، ولم يكونوا متفقين إلا على التعلق باسم المسيح والاستمساك بالانتساب إليه.

فدعى قسطنطين هذه الطوائف المختلفة إلى مجمع نيقية سنة 325، واجتمع أولئك المختلفون، وسمع مقال كل فرقة من ممثليها، وجنح إلى رأي مؤلهي المسيح، وقررها باسم المجمع وفرقها على المسيحيين.

وأمر بإحراق كل إنجيل يخالف هذه العقيدة واختار المجمع هذه الأناجيل الأربعة، التي برأيهم تتفق مع عقيدتهم.

وبذلك ظهرت الكنيسة الكاثوليكية في روما.

واشتدت الكنيسة برئاسة البابا على المسيحيين المخالفين إلى درجة تجاوزت في الغلو، وسلكت سبيل العنف، وركبت متن الشدة؛ فجعلت كل رأي للعلوم الكونية يخالف رأيها كفراً، وشرعت تحرق أو تعذب من تراه كافراً بلا رفق ولا هوادة.

فهذا المجمع الثاني عشر من مجامع تلك الكنيسة وهو المجمع المسمى باللاتبرائي الرابع المنعقد سنة 1215 يقرر استئصال الهراطقة، ويعنون بذلك كل من يرى رأياً مخالفاً للكنيسة، ولو كان رأياً في الكون أو طبائع الأشياء، ولم تكتف الكنيسة بقتل من يجهرون بآراء تخالف آراءها بل أخذت تنقب على القلوب وتستكن خبايا النفوس، وتكشف عن سرائر الناس بما أسماه التاريخ

بمحاكم التفتيش التي دنست تاريخ الأديان، بما ارتكبت من آثام، وما أزهقت من أرواح وما سفكت من دماء وما عذبت من أحياء.

وإن جهر رجل من رجال الدين بالدعوة إلى الإصلاح، داعياً رجال الكنيسة إلى أخذ الناس برفق، وحث رجال الدين على الأخذ بهديه، كان عقابه الحرمان والقتل.

حدث في أوائل القرن الخامس عشر أن أحس أساقفة فرنسا بوجوب إصلاح حال البابوات، فانعقد لذلك مجمع مؤلف من 150 أسقفا و1800 من رجال الدين، ولكن هذا المجمع انتهى في قراراته بالأمر بإحراق "يوحنا هوس" مصلح كنيسة بوهيما ورفيقه آجيروم".

ولقد حرق وعذب في هذا السبيل علماء، قتلوا في سبيل العلم، بسبب مظالم تلك الكنيسة وضيق صدر القوامين عليها من الكرادلة والبابوات.

ومما يذكر في هذا؛ أن أحد العلماء واسمه "بيلارد" كان له رأي في تكفير المسيح عن خطيئة آدم، خالف به رأي الكنيسة فقال: ليست حياة المسيح وصلبه وما لاقى في ذلك من تعذيب سبيلاً لإرضاء الله، وإنزال عفوه عن خطيئة الإنسان، فعفو الله أيسر من ذلك وأقرب. وإنما لاقى المسيح ما لاقى إعلاناً لما يكنه قلبه من حب الله، وعسى أن يثير في الناس عاطفة الشكر وعرفان الجميل، فيعيدهم إلى طاعة الله، ولكنه ما أن قال ذلك القول حتى انعقد مجلس لمحاكمته، فكان نصيب كتبه التحريق، ونصيبه السجن الدائم حتى وافته منيته[1].

وسلطان البابا في رأي الكنيسة الكاثوليكية لا يُرَدّ على كل مسيحي مهما كانت مكانته، يستوي في ذلك الأمير والحقير، والراعي والرعية، فليس لأي

---

[1] -انظر كتاب محاضرات في النصارنية لفضيلة الأستاذ محمد أبو زهرة ص200 و201، الطبعة الثالثة طبعة دار الفكر العربي -القاهرة.

ملك سلطان على البابا، والبابا له سلطان على كل ملـك لأنـه مـسيحي، ولـه السلطان الكامل على كل المسيحيين.

ولأن البابا خليفة بطرس الرسول، وبطرس الرسول أقامه المسيح رئيساً على الحواريين من بعده، فالبابا على هذا الأساس خليفة للمسيح ينطق باسـمه، ويتكلم بخلافته، وينفذ سلطانه، ومن خرج عن طاعته فقد خـرج عـن طاعـة المسيح و حارب دينه، وقد لقب بالبابا على أساس أنه أبو جميع المسيحيين.

وبهذا المنطلق فرض البابا أوامره على الملوك، كما فرضها على سائر الناس، وقد ادعى البابا لنفسه حق بيع الجنة وغفران الخطايا، وحتم على النـاس دفع الضرائب له.

وكان الناس في القرون الوسطى يحبون دينهم ويغارون عليه، ويؤمنون إيماناً عميقاً في قدسية رجاله.

ومما زادهم حباً في رجال الدين إشعال رجال الدين وعلى رأسهم البابـا الحروب الصليبية، التي ظهرت فيها وحشية البابا وأتباعه بما قاموا فيه من سفك للدماء، حيث قتل في سوريا وفلسطين وبيت المقدس، عندما استولوا عليها، مـا ينوف على مائة ألف مسلم، وذلك باسم الصليب.

وقد كان في يد البابوية سلاحان قويان تجردهما عند الضرورة في وجه الأمراء والملوك العاصين:

أما أولهما: فحقها الذي تدعيه في إخراج الأمير أو الملك مـن حظيـرة الكنيسة ودعوة شعبه للتمرد عليه، وفقدان حقه في الولاية والاعتـراف بـأمير غيره.

أما السلاح الآخر: فهو منع القسس والرهبان وعمال الكنيسة وموظفيها من القيام بالطقوس الدينية في دولة من الدول، وهو سـلاح مرعـب، وعقوبـة صارمة في زمن الإيمان الساذج، لأنه يؤدي إلى منـع القـساوسة مـن القيـام

بوظائفهم العادية؛ فلا يزوجون ولا يدفنون الموتى، ممن يتمردون على الكنيسة، فكان ذلك بمثابة إضراب عام يتناول طقوس الدين التي لا يمكن ممارستها من غير أمر البابا.

وقد استعمل هذا السلاح البابا غريغوري السابع ضد الملك هنري الرابع وأثار شعبه عليه، فهرب المسكين واجتاز جبال الألب في إبان الشتاء حيث كان البرد قارساً، ولبث عاري القدمين في الثلوج ثلاثة أيام كاملة، حتى منحه البابا الغفران!!!

وبالنسبة للسلاح الثاني فقد استعمل البابا أنوسنت الثالث هذا السلاح لإخضاع الملك جون الإنجليزي.

كما استعمل في حق فردريك الثاني إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة، عندما تجاهل، في حفل، أوامر البابا غريغوريوس الرابع وأهملها، وأعلن البابا الحرمان عليه وأخرجه من دينه، فوجه فردريك خطاباً إلى أمراء أوروبا وملوكها كشف فيه بجرأة عن طمع رجال الدين وبذخهم، وأظهر لهم أن البابوية شبح مرعب للملوكية في كل أوروبا، ودعاهم لمصادرة أملاك الكنيسة وتحطيم سيادتها الدنيوية، ولم ينته هذا النزاع إلا بموت فردريك مقهوراً بعد رجوعه من فلسطين[1].

وجاء في كتاب سوسنة سليمان: (المجمع الثالث عشر انعقد في ليون من أعمال فرنسا سنة 1245 بأمر البابا إينوسنت الرابع لأجل عزل فريدريك ملك فرنسا وحرمانه، وهذا المجمع، لم تسلم كنيسة فرنسا حتى الآن بصحته أو بسلطانه مطلقاً"[2].

---

[1] -انظر كتاب معلومات مدنية تأليف محمود العابدي، ص64 و65 و66 من مقررات حكومة الانتداب البريطاني على فلسطين حيث كان مقرراً تدريسه في الصف السابع.

[2] -محاضرات في النصرانية لأبي زهرة ص202.

ونتيجة هذا التعسف من قبل البابا فقد ظهر بعض الطبقات المستنيرة، التي أخذت تعمل جادة لرفع هذا التعسف الذي احتملته طويلاً الشعوب النصرانية، تحت شعار التدين الخانع، والإيمان الساذج، في وقت كانت كلمة البابا هي كلمة الله.

وأخذت الجهود تبذل لإيقاف الناس على أصول دينهم بلا واسطة.

ظهور مارتن لوثر وزونجي وكلفن ودعوتهم لإصلاح الكنيسة

وإن من أشد من أظهر انتقاداً للكنيسة وأقواهم نفوذاً: مارتن لوثر، وزونجي، وكلفن.

1-وأما بالنسبة لمارتن لوثر:

فقد ولد سنة 1482م في ألمانيا، درس القانون في إحدى الجامعات، لكنه لم يتم دراسته وعكف على دراسة اللاهوت، وانصرف إليها، وكان موضع الرعاية لرجال الكنيسة، ثم عين مدرساً للفلسفة، التي كان تدريسها تحت رعاية رجال الدين.

ولقد دفعته نزعته الدينية الخالصة، وإجلاله للكنيسة ورجالها، إلى أن يحج إلى روما ليتيمن بلقاء رجال الدين.

ولكنه ما أن وطئت قدماه أرض روما، حتى رأى ما صدم حسه وأزعج نفسه، فقد وجد مدينة لاهية عابثة، ووجد رجال الدين قد نسب إلى بعضهم المفاسد، وأحاطت بهم الريب، وظنت بهم الظنون، ووجد جرأة على الخطايا، واستهانة بأحكام الدين، ووجد من تخيلهم قديسين صالحين وأنهم ملائكة الله تسير على الأرض، قد انغمسوا في الرذيلة ورتعوا في حماها، زاعمين أن سحائب الرضوان قد نزلت عليهم، وغفر لهم سابق ذنوبهم ولاحقها، وإن بيدهم مفاتيح الملكوت في السماوات والأرض، وسر التوبة وأبواب الغفران، يغفرون لمن

يشاءون ما تقدم من ذنبهم وما تأخر، وذلك لاعتقادهم أن البابا خليفة المسيح، ينطق باسمه ويتكلم بخلافته، هو ومن تبعه من الكرادلة ورجال الدين، فعاد إلى وطنه حانقاً مستنكراً، بعد أن ذهب راضياً مقدساً، وأعلن لوثر إصلاحه الديني الذي يرتكز على مايلي:

1-لا رهبان في النصرانية، وإنما فيها مبشرون وعاملون بدل الرهبان والعاطلين، ليقضي على الرذيلة التي رآها بينهم، وتزوج هو من راهبة.

2-لا وساطة بين الله والإنسان فلكل إنسان أن يقرأ الكتاب المقدس، وليست قراءته خاصة برجال الدين، والله يجازي كل إنسان بما فعل إن خيراً فخيراً وإن شراً فشر.

وقال بأنه لا يعرف شيئاً يغفر الذنوب إلا الندم على ما كان والإقلاع عنه فيما يكون، ورجاء رحمة الديان.

وكتب في بيان بطلان صكوك الغفران التي كان مصدرها البابا، وعلق على باب الكنيسة كتاباً يبين بطلانها. فأرسلت إليه الكنيسة تدعوه إلى الحضور لمحاكمته أمام محاكم التفتيش، التي كانت تدبيراً اتخذته المجامع ذريعة للقضاء على مخالفيها، فلم يجب لوثر لطلبها.

فلم ير البابا بداً من أن يصدر قراراً بحرمانه، ويعده زائغاً.

فما كان من لوثر إلا أن أخذته الحمية وينشط في دعوته ويجاهر بالاستهانة بأمر الحرمان، حتى إنه أحرق في وسط "وتنبرج" والجموع حاشدة حرمان البابا وقرار زيغه، فاجتمع مجمع "ورمز" سنة 1521م وأعلن حرمانه من الحقوق المدنية.

إلا أن أمير سكسونية حماه، وقد ازداد أتباعه عدداً، ولم يتمكن الإمبراطور من تنفيذ القرار.

وفي سنة 1529 حاول الإمبراطور أن ينفذ قرار الحرمان الصادر سنة 1521 ولكن أنصار لوثر احتجوا على ذلك، ومن ذلك الحين سموا البروتستنت أي المحتجين.

ثم جرت الأمور سلما فحرباً متداولين، حتى إذا مات لوثر، وكان الإمبراطور قد خلص من كل الحروب التي تشغله أنزل بالبروتستنت أقسى العذاب وأشده بلاءً، ثم أعقب ذلك صلح بين الفريقين[1].

2-وبالنسبة لزونجي وأعماله:

في الوقت الذي كان يغالب فيه لوثر الكنيسة وأنصارها من ذوي السلطان في ألمانيا، كان في سويسرة صوت قوي آخر ينادي بما يقارب ما نادى به لوثر، ذلك هو زونجلي (1484-1531) فقد آلمته حال الكنيسة، ودعا إلى مثل ما دعا إليه لوثر في مسائل الدين.

وقد ابتدأت ثورته بالثورة على صكوك الغفران كما ابتدأ لوثر، مات في أثناء صراع وقع بين أنصاره والمعتنقين لمبادئه وأنصار الكاثوليك ودعوته، وإن كانت تتلاقى في مبادئها في الجملة مع مبادئ لوثر، كانت منفصلة عنها، فلم تتوحد الدعوتان بل كانت كلتاهما تعمل في محيط إقليمها.

3-وأما كلفن: فقد ولد في فرنسا عام 1509م -1564م. ونشأ بها، وتعلم الحقوق، ولكنه مال بعد تخرجه في القانون إلى الدراسات الدينية، وقد وهب تفكيراً منطقياً ممتازاً، وأسلوباً واضحاً للإقناع، وكانت حركة لوثر قد ذاعت وشاعت في ربوع أوروبا فاعتنق مذهبه، وما أن أعلن كلفن مذهبه حتى اضطر إلى الفرار بعقيدته إلى مدينة بازل السويسرية خوفاً من اضطهاد ملك فرنسا: فرنسوا الأول الكاثوليكي، وفي مدينة بازل وضع كتابه (قواعد الدين

[1] -انظر محاضرات في النصرانية ص215 و216، لفضيلة الأستاذ محمد أبو زهرة.

المسيحي) الذي بين فيه طريقته في الإصلاح، وقد لاقى هذا الكتاب من دراسة الناس وعنايتهم أكثر مما لاقاه أي كتاب آخر في العقيدة البروتستاتية.

بعد نشر هذا الكتاب دعته مدينة جنيف لزيارتها، فقضى فيها باقي حياته، ومن جنيف انتشر اسمه وذاع صيته في كل أوروبا، وقد ساعده حالة جنيف السياسية -التي كانت قد حصلت على استقلالها من دوق سافوي- على النهوض بتعاليمه، فبقي فيها حاكماً مطلقاً دينياً وسياسياً إلى أن مات سنة 1564م.

هؤلاء الثلاثة كان لهم الفضل في التجديد والخروج على البابا، واتهامه بالنسبة لصكوك الغفران وقرارات الحرمان، وغير ذلك مما لا يقبله العقل من تعاليم البابوات، المنافية للعقل السليم والمنطق. وإن كان قد سبقهما من إنكار بعض تصرفات الكنيسة ممن قد سبق أن بينت ذلك، والذين منهم (بيلارد) الذي كان له رأي ضد ما يزعمه البابا ومن معه من الكرادلة وهو أن المسيح صلب لتكفير خطيئة آدم وإرضاء الله سبحانه، إذ انعقد مجلس لمحاكمته فكان نصيب كتبه التحريق، ونصيبه السجن الدائم حتى وافته المنية. **على أن هذا الزعم من البابوات والكرادلة بأن الصلب كان تكفيراً لخطيئة آدم ينافي العدل والحق، والتعاليم التي جاء بها الإسلام بالنسبة لخطيئة آدم** فقد ورد في القرآن الكريم أن الله غفر له هذه الخطيئة بقوله تعالى: ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[1]، أي أن الله سبحانه ألهم آدم كلمات يقولها تدل على توبته، وهي قوله كما ورد في سورة الأعراف: ﴿قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[2] فتاب عليهما سبحانه لأنه هو التواب الرحيم بعباده.

[1] -سورة البقرة: 37.

[2] -سورة الأعراف: 23.

وإني أسأل البابا وأتباعه من النصارى هل أن الله خالق السماوات والأرض وما بينهما حقود على آدم وذريته من بعده بسبب ذنب ارتكبه آدم؟ وإذا كان الله حقوداً -حاشا لله أن يكون كذلك- على آدم بسبب ذنبه وذنب زوجته فما ذنب ذريته كلها التي خلقها الله بعد ملايين السنين؟

وقد قرر القرآن الكريم أن كل إنسان مسئول عن نفسه، ولا يعذب بذنب ارتكبه أحد والديه أو أحد أبنائه أو ذريته، وذلك بقوله تعالى: ﴿ وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾[1] فالآية تقرر بأنه لا تكسب نفس ذنباً إلا كان عليها جزاؤه وحدها، ولا تؤاخذ نفس بحمل ذنب نفس أخرى، وقد كرر الله سبحانه هذا المعنى في كثير من آياته منها قوله تعالى: ﴿ مَّنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[2] وقال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى، وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى، أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[3] فالآية الأخيرة تعلن بما ورد في التوراة التي يؤمن بها اليهود والنصارى وعلى رأسهم البابا وأتباعه من الكرادلة ورجال الدين: ألم ينبأوا بما ورد في التوراة التي نزلت على موسى، والصحف التي نزلت على إبراهيم عليه السلام أبي الأنبياء، والذي بلغ الغاية في الوفاء بما عاهد الله عليه: أنه لا تحمل نفس إثم نفس أخرى؟! فهذه ترد صراحة على البابا وأمثاله الذين يزعمون بأن ذرية آدم مؤاخذة بما ارتكب أبوهم آدم من الأكل من الشجرة، والقول بأن المسيح صلب نفسه ليكفر عن ذنب أبيه آدم، لينقذ البشرية من العذاب بهذا الذنب الذي لم يرتكبوه.

كما أن ما دعى إليه لوثر وأعلنه للرد على صك الغفران الذي يصدره البابا لغفران ذنوب أتباعه من النصارى؛ بأن هذا قول باطل، وأنه لا يعرف

---

[1] -سورة الأنعام: 164.

[2] -سورة الإسراء: 15.

[3] -سورة النجم: 36-38.

شيئاً يمحو الذنوب إلا الندم على ما كان، والإقلاع عنه فيما يكون، ورجاء رحمة الديان، هو ما قرره الإسلام بأن غفران الذنوب يتم من قبل الله بلا وساطة أحد، حيث إنه لا يوجد في الإسلام رجال دين، وأن الله يغفر ذنوب عباده بالتوبة النصوح، التي من شروطها: كما قال لوثر الإقلاع عن الذنب والندم على ما فات، والعزم على أن لا يعود. وهناك شرط رابع لم يذكره لوثر، وهو إن كان الذنب يتعلق بحقوق العباد كأكل الربا أو سرقة أموال الناس فلا بد من رد الحقوق إلى أصحابها.

والإسلام قد قرر هذا قبل أن ينادي به لوثر بما يقارب ثمانمائة سنة.

وكذلك قبل أن ينادي به كل من "جيروم وهوس" اللذين كان نصيبهما الإحراق بالنار، حيث أحرقا أحياء بأمر من البابا الذي كان في عصرهم.

ويقال: إن هذه المبادئ التي نادى بها المصلحون في الديانة النصرانية إنما تأثروا بها من المسلمين أثناء اختلاطهم بهم في الحروب الصليبية وأثناء اختلاطهم بهم في الأندلس، والتي كان يؤمها كثير من النصارى الغربيين.

ومن المسائل التي أنكرها بعض المصلحين؛ هو زعم البابا وأتباعه من الكرادلة ورجال الدين، هو أن ما يأكله النصارى يوم عيد الفصح من الخبز وما يشربون معه من خمر، ويسمونه بالعشاء الرباني، يتحول فيه الخبز إلى جسد المسيح، والخمر يتحول إلى دم المسيح المسفوح، وإن من أكلهما دخل المسيح في جسده ودمه!!!

وقالوا: إن هذا الأمر غريب لا يقبله عقل سليم. وقالوا: كيف يصير لحم شخص معين معروف مات من مئات السنين إلى لحم ملايين البشر، وكيف يتحول الخمر دماً يسري في ملايين البشر؟ فهذا مستحيل التصور والقبول في العقل البشري. ولكن البابا وأتباعه من رجال الكنيسة الكثوليكية يفرضون على

أتباعهم قبوله ومنعهم من مناقشته، وإلا عرضوا للطرد والحرمان، على أن هذا الأمر لم يرد في الكتاب المقدس عندهم.

أقول: هذه بعض الأمور التي أنكرها بعض الفلاسفة ورجال الدين والعقلاء منهم، وكان جزاؤهم الطرد والحرمان أو الحرق أو الحبس، وتعرضهم إلى محاكم التفتيش التي أقيمت بأمر من البابوات في العصور الوسطى، ضد النصارى الذين ينتقدون تعاليم الكنيسة في إيطاليا ومعظم الدول التي تتبع للمذهب الكثوليكي.

جرائم الكنيسة الكاثوليكية في الأندلس وفي أثناء الحروب الصليبية

كما أقيمت في الأندلس، عندما استولى عليها أتباع المذهب الكاثوليكي، ضد اليهود وضد المسلمين لإكراههم على الدخول في النصرانية، مع أن المسلمين عندما فتحوا الأندلس لم يكرهوا أحداً على الدخول في الإسلام طوال المدة التي حكموا فيها الأندلس والتي تنوف على ثمانية قرون، فالذين شهروا السيف على اليهود والمسلمين لإكراههم على الدخول في النصرانية هم أتباع البابا في ذلك العصر، حولوا مساجد المسلمين إلى كنائس لهم، وقد بلغ عدد الذين أكرهوا على الدخول في النصرانية ما ينوف على مئتي ألف، وذلك بسبب محاكم التفتيش، وبسبب السيف الذي شهره عليهم أتباع البابا لإكراههم على ذلك، ومن استطاع أن ينجو من المسلمين واليهود منهم هرب إلى المغرب العربي.

أما بالنسبة لما قام به البابوات وأتباعهم من أصحاب المذهب الكاثوليكي من أعمال وحشية ضد الكنيسة الشرقية في اليونان واستانبول وبلاد الشام والقدس أولاً. ثم ضد المسلمين فهذه لا تعد ولا تحصى وذلك مدة مائتي عام التي دامت فيها الحروب الصليبية.

فبالنسبة لما أوقعوه أتباع البابا في إخوانهم النصارى اتباع الكنيسة الشرقية، فلنترك الحديث لذكر بعض ما حصل لهم لصاحب سوسنة سليمان النصراني فهو يقول: (حرك البابا إنوسنت الثالث قواد الصليبيين لنزع المملكة الشرقية من يد اليونان، فافتتحوا القسطنطينية عام 1204م وداموا متسلطين عليها إلى سنة 1261، فاستعملوا ما أمكنهم من البربرية، في الأراضي التي امتلكوها من بلاد سوريا وفلسطين، ليخضعوا بطارقة أورشليم -أي القدس- وجميع الاكليريس من اليونان بواسطة الحبس، وإقفال الكنائس، إلى أن أحوجوهم أن يفضلوا مودة العرب حكام البلاد الأصليين على موادتهم، ويختاروا تسلط شعب ويرتضوا بجزية على أن يتسلط عليهم ملك روحي، طمعه وطمع قواده لا يشبعان).

حينئذ أحس أولئك المسيحيون بنعمة الإسلام عليهم ونعمة حكم المسلمين لهم، فقد سامتهم الكنيسة الغربية وملوكها الخسف والهوان، ونقبوا عن قلوبهم، وبحثوا عما تكنه الصدور، ولكن نعمة الإسلام كانت تلاحقهم، فلم ينقض زمن طويل حتى جاءهم الإسلام في القسطنطينية وأعطاهم الأمن والدعة والقرار والاطمئنان، حتى لقد قالوا كما حكا صاحب السوسنة: (عمامة السلطان محمد الفاتح ولا تاج البابا المثلث).

وهكذا كان الإسلام رحيماً تسع رحمته المخالفين[1].

ومما يدل على أن رحمة الإسلام وسعت جميع المخالفين، وجود النصارى واليهود في جميع البلاد الإسلامية؛ سواء في سوريا وفلسطين ولبنان، أم في تركيا والعراق، بل وفي جميع دول العالم ممن أظلهم حكم الإسلام، فلم يقم أي حاكم إسلامي بما فعلته محاكم التفتيش في أسبانيا التابعة للبابوات، حيث أبادوا جميع المسلمين واليهود الذين كانوا فيها وعاشوا مئات السنين، قبل استيلاء الكاثوليك عليها.

---

[1] -محاضرات في ا لنصرانية لفضيلة الأستاذ محمد أبو زهرة ص 198-199.

ومما يدل على أن النصارى كانوا يعيشون بكامل حريتهم الدينية، فضلاً عن اطمئنانهم على أنفسهم وأموالهم نتيجة لتسامح المسلمين معهم، فضلاً عما سبق بيانه، تلك الرسالة التي بعث بها ثيودسيوس بطريق بيت المقدس في سنة 869م إلى زميله أجناتيوس بطريق القسطنطينية، والتي امتدح فيها المسلمين بالسماح لهم ببناء مزيد من الكنائس دون أي تدخل في شئونهم الخاصة، وقد ذكر بطريرك بيت المقدس بالحرف الواحد في رسالته: (إن المسلمين قوم عادلون ونحن لا نلقى منهم أي أذى أو تعنت)[1].

ومن أقوى الأدلة أيضاً سوى ما بينته من مراحل الدعوة الإسلامية في زمن رسول الله ﷺ ثم أسباب الحروب التي وقعت بين المسلمين والفرس وبينهم وبين الروم، الآيات التي تدل على عدم جواز إكراه أحد على الإسلام ونهي الإسلام عن التعدي على غير المسلمين، وذلك بقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ﴾[2] .

من أقوى الأدلة هو أن أكبر دولة فيها مسلمون وهي دولة أندونيسيا لم يدخلها أي جيش إسلامي فاتح، وعدد المسلمين فيها ينوف على مائة وخمسين مليون مسلم، فالإسلام فيها لم ينتشر بحد السيف كما يزعم البابا وإنما انتشر فيها بواسطة مخالطتهم للمسلمين وخاصة التجار منهم، وذلك لما لمسوه منهم من أخلاق عظيمة ومن صدق وعدل في المعاملة، ومن اقتناعهم بصدق العقيدة الإسلامية التي تدعو إلى وحدانية الله وعبادته وحده دون سائر المخلوقات.

أما بالنسبة لما قامت به البابوية وأتباعها من أصحاب المذهب الكاثوليكي من أعمال وحشية في الحروب الصليبية في سوريا وفلسطين وخاصة في بيت المقدس فهي لا تعد ولا تحصى ويكاد يجمع المؤرخون من مسلمين وغربيين

---

[1] -مدخل إلى تاريخ حركة التنصير ص 7 الهامش طبعة دار عمار /عمان، الطبعة الأولى 1416هـ -1995م.

[2] -سورة البقرة: 190.

ومستشرقين؛ أن الذين قتلوا في بيت المقدس وحدها ينوف على مائة ألف مسلم، ومع ذلك لم يعاملهم المسلمون بالمثل عندما استرجع صلاح الدين الأيوبي بيت المقدس، فقد سمح لمن أراد منهم الرجوع إلى بلاده الرجوع آمناً، ومن أحب أن يبقى فله ذلك، ولم يكره أحداً منهم على الإسلام، وما زال من بقي منهم يعيش مع المسلمين في أمان، وبعضهم اعتنق الإسلام طوعاً من غير إكراه لما لمسوه من المسلمين من خلق حسن وعدل في المعاملة، وبما لمسوه من صدق العقيدة الإسلامية التي تدعو إلى عبادة الله وحده وعدم الإشراك به.

وممن دخل الإسلام قبائل وعشائر معروفة في الأردن منها قبيلة البرارشة في منطقة الكرك، فأصلهم من فرنسا، جاءوا محاربين وحاقدين على الإسلام وأهله، وأصبحوا مسلمين ومن رعايا الدولة الإسلامية.

وقد قام النصارى الغربيون بإكراه مسلمي صقلية ومالطة وبعض الجزر التي تقع في جنوب إيطاليا سوى ما قاموا به في الأندلس بإكراههم على الدخول في النصرانية بعد الاستيلاء عليها، وكان المسلمون قد فتحوها ولم يكرهوا أحداً من أهلها على الإسلام، فقد أجبر هؤلاء المسلمون على التنصُّر بعد انتصارهم عليهم وبعد مقاومة باسلة امتدت قروناً، كانوا خلالها يتعرضون لأبشع أنواع الاضطهاد والقهر والتعذيب، لمجرد شبهة أنهم يخفون بقاءهم على دينهم الإسلامي.

وخير دليل على ذلك ما يقوله ابن جبير في رحلته عن جو القهر والاضطهاد الذي كان يعيش فيه مسلمو صقلية تحت حكم النورمان.

إذ يذكر أنه اجتمع بأحد رؤسائهم واسمه عبد المسيح، فعلم منه أنه مسلم في السر، ولا يقدر على المجاهرة بإسلامه خوفاً من البطش، وينقل على لسانه

(نحن كاتمون إيماننا خائفون على أنفسنا، ومتمسكون بعبادة الله وأداء فرائضه سراً معتقلون في مملكة كافر بالله، وقد وضع في رقبتنا ربقة الرق)[1].

وقد آل أمر معظم المسلمين في صقلية أخيراً إلى القتل في مجازر وحشية مروعة دبرت لهم، مثل مذبحة (بلرمو) التي راح ضحيتها عشرات الآلاف منهم. واستمرت سياسة التربص بهم وانتهاز أية فرصة تسنح للفتك بمن لم يتنصر منهم في حكم أسره "هوهساوفين". ولعل خير دليل على ذلك تلك المذبحة التي ارتكبها فيهم جند الإمبراطور فردريك الثاني بعد القضاء على ثورة ابن عباد[2] والتي قتل فيها الآلاف منهم، مما اضطر قسماً منهم للهجرة إلى إفريقيا، في حين تنصر الباقون.

وبالنسبة لباقي الجزر التي كانت تقع بالقرب من صقليا، وتقع جنوب إيطاليا كمالطة وسردينيا، وكورسيكا، وقوصرة، وغيرها فقد لاقوا نفس المصير بعد أن كان انتشر الإسلام فيها، ثم غزاها بعض الصليبيين واستولوا عليها ولم يبق فيها مسلم واحد، نتيجة القتل والاضطهاد، مع أن المسلمين حين استولوا على هذه الجزر، أبقوا أهلها على دينهم ولم يكرهوا أحداً منهم على الإسلام.

ومما يجدر الإشارة إليه أن المسلمين الذين لم يجبروا أحداً على الدخول في الإسلام بالنسبة للأندلس وصقلية وغيرهما من البلاد الأوروبية؛ فعندما استسلمت إماراتهم للأسبان بناء على عهود ومواثيق، توجب عدم الاعتداء عليهم وتركهم أحراراً في عقائدهم، قام الأسبانيون بنقض هذه العهود والمواثيق ولم

---

[1] -انظر كتاب مدخل إلى تاريخ حركة التنصير للدكتور ممدوح حسين صفحة 52-53 وذلك نقلاً عن رحلة ابن جبير ص299 وما بعدها -مصدر سابق.

[2] -المصدر السابق، ص 53-54، وبالنسبة لثورة ابن عباد فقد ذكر بأن هذه الثورة نشبت سنة 556هـ -1161م بسبب ما كان يعانيه مسلمو صقلية من اضطهاد، وظلت مشتعلة لمدة تزيد على السبعين عاماً حيث انتهت بقمعها وشنق قائدها الذي كان وقتئذ هو ابن عباد، ونفي معظم من نجا من القتل إلى مدينة لوجاره (lucera).

يرعو في مسلم عهداً ولا ذمة، ونصبت كنائسهم محاكم التفتيش لإكراه المسلمين على ترك ديانتهم.

وخير دليل على ذلك معاهدة تسليم غرناطة للملكين الكاثوليكيين "فردنند وإيزابلا" التي كانت تنص على إعطاء المسلمين حريتهم وعدم الاعتداء عليهم، وتركهم وما يعتقدون بالنسبة لديانتهم، إلا أن هذا العهد سرعان ما نقض ونسي أمره بمجرد تمكنهم من الاستيلاء على المدينة، وأقاموا محاكم التفتيش لإكراه المسلمين بحد السيف على ترك دينهم، وكذلك فعل الأسبان في معظم الإمارات الإسلامية التي استولوا عليها، حيث لم يراعوا في المسلمين عهداً ولا ذمة وحولوا المساجد الإسلامية إلى كنائس لهم كما هو مشاهد إلى اليوم.

وقد اضطر قسم كبير منهم، تحت شدة وطأة هذا الإرهاب الكنسي الذي لم يعرف له مثيل في عالم تاريخ الأديان، إلى إظهار التنصر وكتمان إسلامهم حتى من أقرب الناس إليهم، وكانوا يخفون في جدران منازلهم الكتب الدينية بعناية بالغة، ولا تخرج هذه الكتب من هذه المخابئ إلا عند الحاجة الماسة.

ولا زالت أعمال هدم المباني والترميم في مدن أسبانيا التي كانت مدناً إسلامية خاصة في غرناطة تكشف عن مثل هذه الكتب إلى عصرنا الحاضر[1].

وكان الخوف من بطش السلطان يفرض على رب الأسرة توخي أقصى درجات الحذر في تعليم أسرته مبادئ الإسلام، حتى لا يعرضها بأكملها للموت شنقاً، أو حرقاً، أو بحد السيف، وهو ما كانت تقوم به محاكم التفتيش وذلك إذا ما اكتشف أمره.

وزاد الطين بلة بالنسبة لهم، أن حيل بينهم وبين الهجرة إلى بلاد المغرب لأسباب عديدة، أهمها الخوف من أن يقوم هؤلاء بتجميع قواهم في تلك

---

[1] -مدخل إلى تاريخ حركة التنصير ص54 و55 للدكتور ممدوح حسن، مصدر سابق.

البلاد، ومن ثم يعدون للهجوم على الأندلس من جديد بدعم ومساندة إخوانهم من المسلمين، وقد آل أمر من لم يتمكن من الهرب منهم إلى التنصُّر.

أقول، بعد هذه البيان التاريخي؛ من كيف بدأ رسول الله ﷺ دعوته في مكة ثم انتقاله إلى المدينة المنورة، وبيان أسباب قتال المسلمين للروم والفرس ثم بيان ما قامت به الكنيسة الكاثوليكية من مجازر وحشية، سواء بالنسبة للكنيسة الشرقية في اليونان واستنبول وبلاد الشام، وما قاموا به ضد المسلمين في الحروب الصليبية، وما قاموا به في الأندلس وصقلية ومالطة، من إكراه المسلمين على التنصر بواسطة محاكم التفتيش التي أقاموها، أقول: يظهر لكل ذي لب؛ أن الإسلام لم يشهر السلاح في وجه مخالفيه إلا إذا اعتدوا عليه، أو منعوه من الدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن الذي انتشر بالسيف هي النصرانية، خاصة المذهب الكاثوليكي بقيادة البابوات السابقين كما يظهر أيضاً أن الذي لا ينسجم مع العقل السليم هو ما ورد في الكتاب المقدس للنصارى بقسميه العهد القديم والعهد الجديد من افتراءات وأكاذيب خاصة على أنبيائهم.

أما الإسلام فهو الدين الذي يدعو إلى استعمال العقل في كثير من آياته ومن ذلك قوله: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾[1] وقوله في بعض آياته: ﴿أفلا يعقلون﴾ ﴿أفلا يتفكرون﴾. فلذلك نجد كثيراً من العلماء والمفكرين والفلاسفة يدخلون في الإسلام، كما نجد كثيراً من رجال الدين النصارى ينشقون عن الكنيسة الكاثوليكية، وعدد الكنائس التي انشقت عن الكنيسة الكاثوليكية سوى كنيسة البروتستنت، في أوروبا وأمريكا، لا يعد ولا يحصى.

ومن أشهر العلماء والفلاسفة من النصارى الذين اعتنقوا الإسلام الفيلسوف الفرنسي "روجي جارودي" فهو كما يقول: من الصفر، إلى المسيحية في صورتها البروتستنتية، حيث كان رئيساً للشباب المسيحيين البروتستانت، إلى

---

[1] -سورة الرعد: 19.

اعتناق تام للماركسية فلسفة وممارسة، إلى اشتراكية التسيير الذاتي، إلى الانفتاح والحوار الحضاريين، إلى دراسة موضوعية للإسلام، واهتمام مطرد به كإيدلوجية تقدم تصوراً متكاملاً معقولاً للكون والحياة إلى إيمان تام عن قناعة بالإسلام، حيث أعلن إسلامه 1982م بجنيف[1].

يقول جارودي: (أحب أن أقول إن انتمائي للإسلام لم يأت بمحض الصدفة، بل جاء بعد رحلة عناء وبحث ورحلة طويلة تخللتها منعطفات كثيرة، حتى وصلت إلى مرحلة اليقين الكامل، والخلود إلى العقيدة أو الديانة التي تمثل الاستقرار، والإسلام في نظري هو الاستقرار)[2].

كما أن من العلماء والفلاسفة في البلاد العربية من المسيحيين، ممن كتبوا عن رسول الله ﷺ ودفاعاً عن الإسلام ما لا تجده في كتابات كثيرة من المسلمين، ومنهم الفيلسوف الأستاذ الدكتور نظمي لوقا؛ فقد كتب كتاب "محمد الرسالة والرسول" 1959م ثم تتابعت كتاباته عن رسول الله ﷺ وعن الإسلام وعن الرجال الذين كانوا حول رسول الله ﷺ كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ومن أشهر كتاباته:"محمد في حياته الخاصة" حيث دافع فيه عن رسول الله ﷺ ورد على أباطيل الحاقدين على الإسلام ورسوله، فهو يقول في هذا الكتاب: (فأي الناس أولى بنفي الكيد عن سيرته من "أبي القاسم" الذي حول الملايين من عبادة الأصنام الموبقة إلى عبادة الله رب العالمين، ومن الضياع والانحلال إلى السمو والإيمان، ولم يفد من جهاده لشخصه أو آله شيئاً مما يقتتل عليه طلاب الدنيا من زخارف الحطام؟

---

[1] –روجيه جارودي لماذا أسلمت نصف قرن من البحث عن الحقيقة تأليف محمد عثمان الخشب /طبعة مكتبة القرآن –مصر.

[2] –المصدر السابق ص88 نقلاً عن محاضرة حوار الحضارات ألقاها في الاسكندرية يوم 1983/3/21م من جريدة الأخبار 1983/3/23م.

حفاظاً على معنى الشرف وصيانة لحق المروءة أوجبت على نفسي ذلك الإنصاف لشخص أبي القاسم.

أوجبت على نفسي منذ عرفت قدره وأدركت خطره، والواجب فرع – عند ذوي الأمانة– عن الإدراك.. فشهادة الحق من أوجب الأمانات والساكت عن الحق شيطان.. فمن يجهل الحق لا لوم عليه.. والملام كل الملام على من يدرك الحق كرائعة النهار ثم يتخاذل عن إعلانه، ويترك رايته تتنكس بين السفلة والطعام، وتوطأ بأقدام الجهلة والظلمة واللئام.. وساء ذلك صنعاً: إنه كان إثماً وبيلاً...)[1].

فهو في هذا الكتاب يرد به على افتراءات المستشرقين والمبشرين الغربيين دعاة التنصير، اتهامهم لرسول الله ﷺ بالجهل وجموح الشهوة بسبب تعدد زوجاته، وهي الطعن في مروءته وصفته الإنسانية التي يعتز بها كل من ينأى بنفسه عن درك الحيوان البهيم، كما يقول الدكتور نظمي لوقا في كتابه، حيث يبين في هذا الكتاب الفرق بين الأمية والجهل، وحيث يتعرض بين المقدمة المدسوسة التي يرددها بعض المستشرقين والمبشرين، والتي خلطت بين الكم والكيف، وبين التعدد وجموح الشهوة، كما بين الحكمة في تزوج كل امرأة من زوجاته، وأنه لم يتزوج قبل البعثة سوى زوجة واحدة كان عمرها أربعين سنة وعمره خمسة وعشرون سنة، وبقيت عنده خمسة وعشرين سنة وماتت وعمرها خمسة وستون وكان عمره خمسين سنة ولم يتزوج عليها طوال حياتها، مما ينفي عنه جموح الشهوة.

ويختم كتابه بعد أن تحدث عن زوجات الرسول ﷺ والحكمة في زواج كل واحدة منهن بقوله تحت عنوان: وليذكر الذاكرون: (وليذكر الذاكرون أن التاريخ كم وعى من رجالات وأصحاب رسالات كانت لهم الزوجات الكثيرات،

---

[1] –محمد في حياته الخاصة ص14 للدكتور نظمي لوقا طبعة دار الهلال/ القاهرة.

بالعشرات وبالمئات، وكانت لهم السراري بغير عدد، لم يقدح ذلك فيما لهم من فضل ظاهر، ولا فيما لدعوتهم من أثر في العقول والسرائر.

وهل نسي الناس داود وسليمان وغير داود وسليمان؟

فكيف لا يحسب هذا التعدد اليسير إلا على محمد بن عبدالله دون سواه؟ إلا أن الميزان المستقيم لا يكيل بكيلين، ولا يحرم على زيد ما يرى أضعافه غير حرام على عمرو...؟

ومن يظلم إنما نفسه يظلم، ومن يجور في الحكم إنما يضير تفكيره وضميره وسلام على الصادقين..)[1].

وإني أرى هذا الدفاع عن رسول الله ﷺ من قبل مسيحي منصف وجهه إلى المبشرين من النصارى أتباع البابا، وإلى المستشرقين الأوروبيين الحاقدين على الإسلام وأهله، من عشرات السنين، هذا الدفاع موجه اليوم إلى البابا الذي أظهر ما تكنه نفسه من الحقد على رسول الله ﷺ وعلى الدين الإسلامي.

وأختم كلامي في هذا الكتاب بدعوة السائرين في الظلمة والضالين عن طريق الحق، والباحثين عن الخير لهم في دنياهم وآخرتهم، وهو الذي يريده الله لهم بإنزال القرآن على رسوله محمد هداية للعالمين، من أهل الكتاب من النصارى واليهود إلى الاستجابة لقول الله تعالى لهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2] .

فهذا نداء من الله سبحانه في هذه الآية لكل من آمن برسل الله السابقين قبل محمد ﷺ ، من يهود ونصارى وغيرهم بأن يتقوا الله، أي بأن ينجوا من عقاب الله يوم القيامة، وذلك بأن يؤمنوا برسوله محمد صلوات الله عليه، ويتبعوا

---

[1] -المصدر السابق ص121.

[2] -سورة الحديد: 28.

ما جاء به. وأنه في مقابل ذلك يؤتهم كفلين أي نصيبين من رحمته، أي من ثوابه وأجره، نصيباً على إيمانهم بمحمد ﷺ وآخر على إيمانهم السابق بالأنبياء والرسل الذين كانوا قبل محمد عليهم الصلاة والسلام، ويجعل لهم أيضاً نوراً يوم القيامة حيث يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم حينما يسيرون يوم القيامة إلى الجنة التي أعدها الله لعباده الصادقين المتقين. وأذكرهم بما حصل في أول مؤتمر حقيقي لأصحاب الديانات الثلاث؛ الإسلام واليهودية والمسيحية في زمن رسول الله ﷺ في المدينة المنورة في حقيقة العقيدة الصادقة التي جاء بها جميع الرسل، وفي أمر عيسى عليه السلام، وفي رد القرآن على اليهود الذين زعموا أن عيسى ساحر وابن زنى، وفي رده على النصارى الذين زعموا أنه هو الله أي أنه ثالث ثلاثة، وهو ابن الله، أو أنه هو وأمه إلهان من دون الله. وبين فيه أن عيسى عليه السلام هو رسول كغيره من الرسل وقال: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ، الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُن مِّن الْمُمْتَرِينَ، فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ، إِنَّ هَـذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ اللّهُ وَإِنَّ اللّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[1] .

فلما رفض اليهود والنصارى الذين حضروا هذا المؤتمر المباهلة وهي التضرع إلى الله بالدعاء خاشعين على الكاذب منهم، في أمر عيسى عليه السلام قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ، قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[2].

---

[1] -سورة آل عمران : 59-62.

[2] -سورة آل عمران: 63-64.

فهذه دعوة موجهة لأهل الكتاب في زمن الرسول ﷺ ، وهـــي موجهـــة اليوم لأهل الكتاب ومنهم البابا والكرادلة وجميع رجال الـــدين مـــن النـــصارى واليهود وغيرهم من أتباعهم.

اللهم إني قد بلغت اللهم فاشهد

الدكتور

"محمد رامز" عبد الفتاح العزيزي.

فهرست الكتاب

الموضوع	الصفحة
الإهداء	7
المقدمة	9
1-تفسير الآيات التي وردت في سورة آل عمران بالنسبة للمسيح عليه السلام.	22
أولا:بالنسبة لولادة مريم أم عيسى.	22
ثانيا:اصطفاء الله للسيدة مريم على نساء العالمين.	25
ثالثا: ولادة عيسى ودعوته.	27
رابعا:قصة عيسى مع قومه.	37
خامسا:المراد بالوفاة والرفع بالنسبة لعيسى عليه السلام	39
سادسا: الرد على أدلة من قال بنزول عيسى في آخر الزمان.	50
سابعا:حقيقة الإسراء والمعراج.	75
ثامنا: الروايات التي وردت في البخاري الخاصة بالإسراء والمعراج وبيان عدم صحتها.	87
تاسعا:شرح باقي الآيات.	116
عاشرا:الرد على من زعم ألوهية المسيح.	118
الحادي عشر:أول مؤتمر للأديان الثلاثة يعقد في المدينة المنورة.	126
2-تفسير الآيات التي وردت في سورة النساء بالنسبة للمسيح عليه السلام.	133
أولا: كذب اليهود وافتراؤهم على عيسى وأمه عليهما السلام.	133
ثانيا: المسيح بن مريم في نظر القرآن الكريم.	137
3-تفسير الآيات التي وردت في سورة المائدة.	140
أولا:بيان كفر من يدعي أن الله هو المسيح بن مريم.	140
ثانيا: الإله عند النصارى ومصيرهم يوم القيامة.	142
ثالثا: بعض نعم الله سبحانه على المسيح عليه السلام.	147
رابعا: قصة المائدة التي وردت في القرآن.	150

خامساً:تكذيب عيسى لقومه يوم القيامة وقوله عدم علمه بما حصل منهم بعد وفاته. 153

4-تفسير الآيات التي وردت في سورة مريم بالنسبة للمسيح عليه السلام. 157

أولاً:قصة ولادة عيسى بن مريم عليه السلام. 157

ثانياً:القول الحق في عيسى بن مريم عليه السلام. 166

ثالثاً:فرية اتخاذ الله الولد والرد عليها. 169

5-الآيات التي وردت في سورة البقرة بالنسبة للنصارى. 173

أولاً:فوز من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً يوم القيامة. 173

ثانياً: تأكيد الله سبحانه لعيسى بن مريم بالمعجزات وبجبريل عليه السلام. 173

ثالثاً:تكفير اليهود والنصارى بعضهم بعضاً بحق الطرف الآخر. 173

رابعاً:ادعاء النصارى بأن لله ولداً والرد على ذلك. 174

6-الآيات التي وردت في سورة التوبة وتتعلق بالمسيح عليه السلام. 175

أولاً:الرد على من يزعم أن لله ولداً. 175

ثانياً:آيات ذكرت أن بعض رجال الدين والرهبان يأكلون أموال الناس بالباطل ويمنعون الناس من الدخول في الإسلام. 176

7-الآيات التي وردت في سورة الزخرف عن عيسى بن مريم وخلقه دون أب ومعجزاته دليل على قيام الساعة. 178

8-الآيات التي وردت في سورة الحديد عن عيسى بن مريم وبيان أن الله أنزل عليه كتاباً اسمه الإنجيل. 180

9-الآيات التي وردت في سورة الصف بالنسبة لعيسى عليه السلام. 182

القسم الأول:بيان أن عيسى أرسل إلى بني إسرائيل خاصة وبشر قومه بإرسال النبي محمد (صلى الله علية وسلم) . . 182

القسم الثاني:بيان أن طائفة من بني إسرائيل آمنت بعيسى وطائفة لم تؤمن به وهم اليهود. 182

10-تكملة الرد على ما زعمه البابا أن محمداً نشر دعوته بالسيف وأن الإسلام يخالف الفعل. 183

أولاً: بيان سبب مشروعية الجهاد في سبيل الله، لا يقاتل إلا من يقاتل المسلمين وأن الإسلام. 185

ثانياً:ما يشمله الكتاب المقدس عند النصارى. 222

ثالثاً:الافتراء على هارون عليه السلام أنه هو الذي صنع العجل ودعاهم لعبادته. 223

رابعاً:الافتراء على نبي الله لوط بأنه زنى بابنتيه. 227

خامساً:الافتراء على إبراهيم عليه السلام أنه أمر زوجته أن تكذب ليتزوجها فرعون ويتمتع بها ولا يغار عليها إبراهيم. 228

سادساً:الافتراء على حواء زوجة آدم بأنها هي التي أغرت آدم بالأكل من الشجرة. 231

سابعاً:الافتراء على ابني يعقوب شمعون ولاوي بأنهم كانوا أهل غدر وخيانة حيث قاموا بمجزرة وحشية بأهل نابلس أمام أبيهم يعقوب. 235

ثامناً:إن الله أمر يعقوب بأن يبطش بسيفه بشعوباً كانوا يعيشون في فلسطين ولا يقطع لهم عهداً ولا يشفق عليهم. 238

تاسعاً:ما ينسبونه لداود عليه السلام بأنه زنى بامرأة أحد جنده. 239

عاشراً:ما ينسبونه إلى أمون ابن داود أنه زنى بأخته لأبيه تامار بعد أن احتال عليها. 241

أحد عشر:ما ينسبونه إلى سليمان عليه السلام بأنه كان له سبعمائة زوجة وثلاثة مائة من السراري وأن نساءه أملن قلبه نحو آلهة أخرى!! 242

إثنا عشر:ورد في سفر العدد من التوراة أن اتانا احتجت على بطعام لأنه طربها. 245

ثلاثة عشر:ما ورد في سفر لاوين من التوراة أن ولادة البنات تضاعف نجاسة الأمهات عن الأبناء. 246

أربعة عشر:أن جبرا قتل هو وأتباعه من الإسرائيليين عشرة آلاف من أهالي مؤاب، وأن شجر بن عناه قتل من الفلسطينيين ست مائة رجل بمنساس بقرة فخلص إسرائيل. 246

خمسة عشر:إن شمشون قتل ألفاً من الفلسطينيين بفك حمار. 247

ستة عشر:إن الله ضرب أهل بنتشمس فقتل منهم خمسين ألف رجل وسبعين رجلاً. 247

سبعة عشر:بعض ما ذكره الدكتور جورجي كنعان في مقدمة كتابه "أمجاد إسرائيل في أرض فلسطين" من افتراءات في الكتاب المقدس. 248

ثمانية عشر:بيان أن التوراة التي يؤمن بها اليهود والنصارى ليست هي التوراة الحقيقية التي نزلت على موسى عليه السلام. 250

11-بعض ما ورد في العهد الجديد مما يخالف العقل السليم. 252

أولاً:ما ورد في إنجيل متى مما ينم على العنصرية بوصفه غير بني إسرائيل بالكلاب. 252

ثانياً:ورد في إنجيل لوقا بأن المسيح يدعو الذين يؤمنون به إلى كراهية آبائهم وزوجاتهم وأخوانهم وأنفسهم. 254

ثالثاً:ورد في سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي أنه رأى نحراً له سبعة رؤوس وعشرة قرون وعلى قرونه عشرة تيجان. 255

رابعاً:المسيح يستنجد بأبيه وهم يصلبونه –على زعمهم- ويسخر به من كان حوله ولا ينجده. 255

12-رأي الدكتور موريس بوكاي بالنسبة للأناجيل وتناقضها. 257

13-بيان أن اليهود حرفوا التوراة. 257

14-حقيقة تفضيل بني إسرائيل على العالمين. 258

15-أسباب وقوع التناقض في الأناجيل. 260

16-ظهور الكنيسة الكاثوليكية وتشددها بما دنست به تاريخ الأديان 261

17-ظهور مارتن لوثر وزونجي وكلفن ودعوتهم لإصلاح الكنيسة. 266

18-جرائم الكنيسة الكاثوليكية في الأندلس وفي أثناء الحروب الصليبية. 272

19-إسلام بعض العلماء والفلاسفة من الأوروبيين. 278

20-دفاع الدكتور نظمي لوقا عن رسول الله (صلى الله علية وسلم) . 279